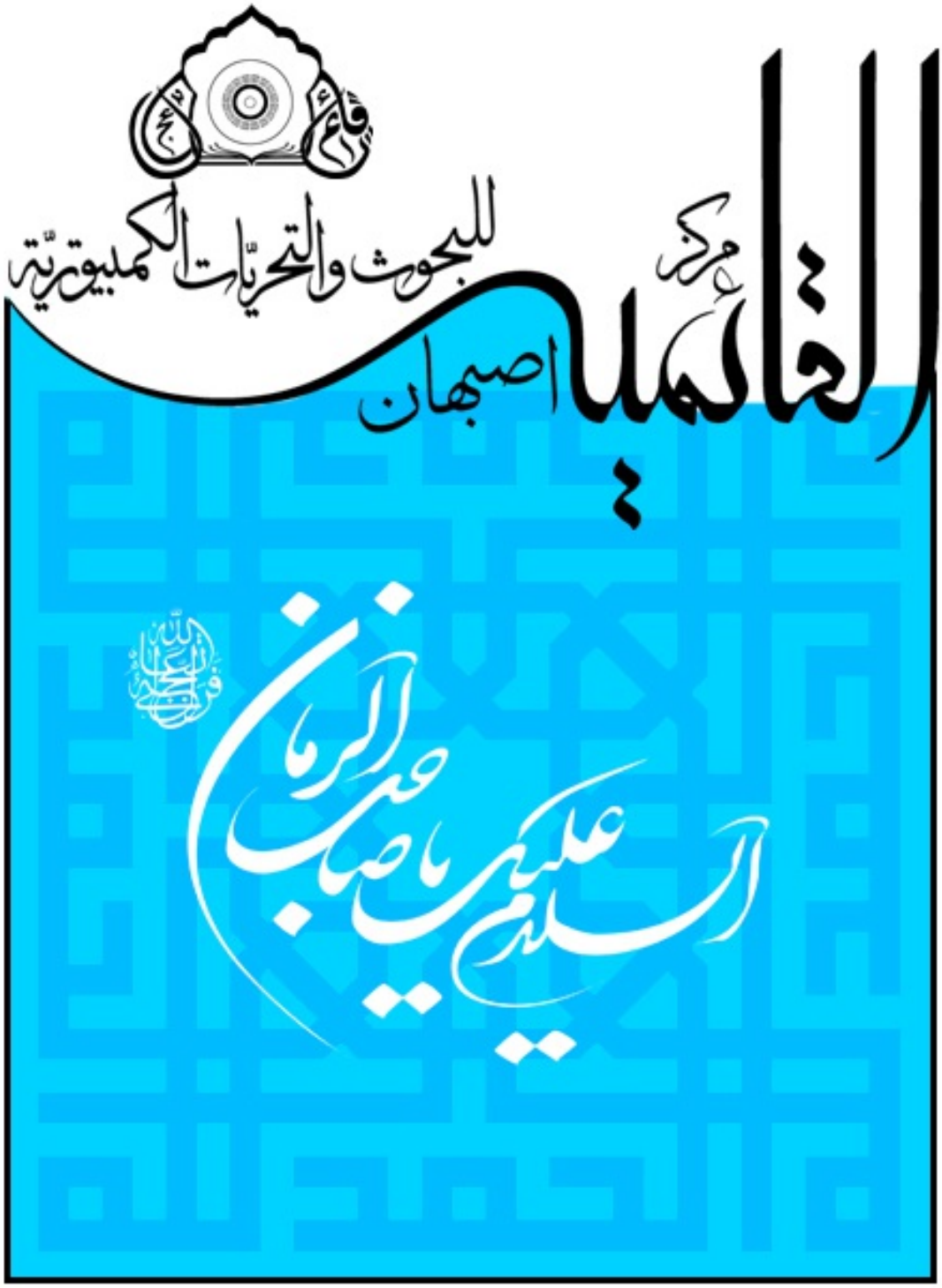

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

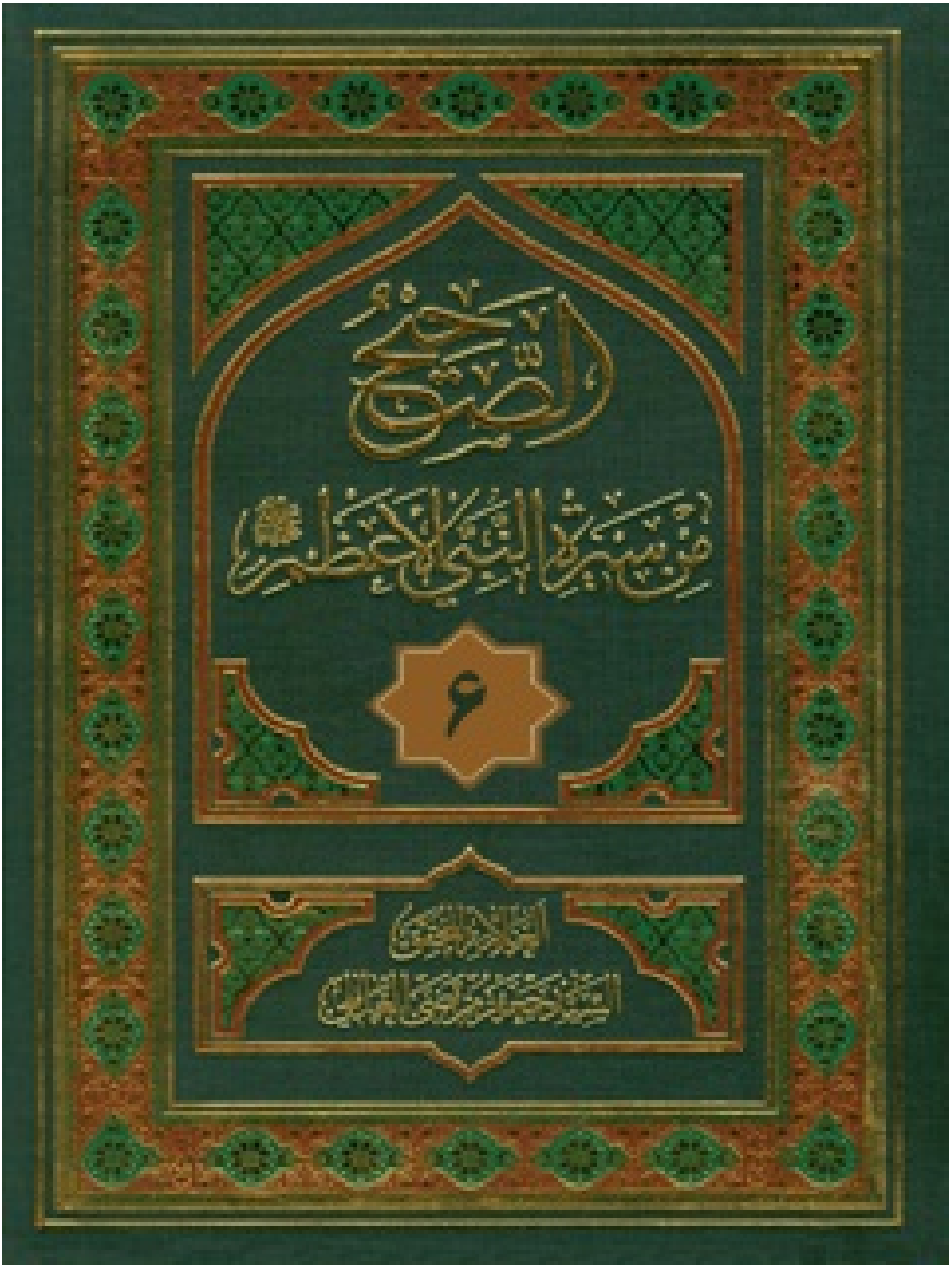

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم
٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الصحيح من سيره النبى الاعظم(ص)

كاتب:

سيد جعفرمرتضى حسينى عاملى

نشرت فى الطباعة:

سحرگاهان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص) المجلد۶ ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
[تتمة القسم الثالث: حتی غزوة الخندق] ----- ۱۶
[تتمة الباب الثالث: ما بین بدر و أحد] ----- ۱۶
الفصل الرابع: غزوات و سرایا دفاعیة ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
غزوات و سرایا: ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۷
غزوات لبنی سلیم و غطفان: ----- ۱۷
غزوة السویق: ----- ۱۷
غزوة ذی أمر: ----- ۱۸
سریّة القردة: ----- ۱۸
وقفات مع ما تقدم: ----- ۱۹
ألف: الأعمی، و القضاء: ----- ۱۹
ب: من أهداف تلک السرایا و الغزوات: ----- ۲۰
ج: العتق، و الصلاة: ----- ۲۰
د: التوریة بالغزوات: ----- ۲۱
ه: قریش فی مواجهة الأخطار: ----- ۲۲
و: مناقشة قضیة دعثور: ----- ۲۲
الفصل الخامس: غدر الیهود و مرحلة الاغتیالات المنظمة ----- ۲۳
اشارة ----- ۲۳
مع عقائد الیهود و آثارها: ----- ۲۳

ملاحظة: ----- ۲۵
من أسباب عداء اليهود للاسلام: ----- ۲۶
اليهود فی مواجهة الاسلام: ----- ۲۷
موقف النبی (ص) من اليهود: ----- ۲۹
العمليات العسكرية فی مرحلتين: ----- ۳۰
الاغتيالات المنظمة: ----- ۳۰
۱- قتل أبی عفک: ----- ۳۰
۲- قتل العصماء بنت مروان: ----- ۳۱
۳- قتل كعب بن الأشرف: ----- ۳۲
۴- قتل ابن سنينة: ----- ۳۳
۵- قتل أبی رافع: ----- ۳۴
اشارة ----- ۳۴
ألف: الإسلام قيد الفتک: ----- ۳۴
اشارة ----- ۳۴
جريمة معاوية: ----- ۳۶
ب: رعب اليهود: ----- ۳۶
ج: مع موقف عمير فی أصالته و نبله: ----- ۳۷
د: ابن الأشرف، و أبو سفيان: ----- ۳۸
و نحن هنا نسجل ما يلی: ----- ۳۸
ه: تساؤل حائر: ----- ۳۸
و: التنافس القبلی: ----- ۳۹
ز: جهل و غرور ابن الأشرف: ----- ۳۹
ح: الإسلام، و الإنسان: ----- ۳۹
الفصل السادس: حروب علنية بين المسلمين و اليهود ----- ۴۰

اشارة ----- ۴۰
قریش تحرض الیهود علی نقض العهد: ----- ۴۱
تصعید التحدی: ----- ۴۱
اشارة ----- ۴۱
ألف: نزول الآیة فی ابن أبی: ----- ۴۳
اشارة ----- ۴۳
حقیقة القضیة: ----- ۴۳
ب: حول الرایة: ----- ۴۴
ج: الخمس: ----- ۴۴
د: بعض أهداف و نتائج حرب بنی قینقاع: ----- ۴۵
ه: الحجاب: ----- ۴۵
و: الغرور، و الإیمان: ----- ۴۶
ز: الإستجابة لإبن أبی: ----- ۴۶
ح: بنو قینقاع تحت الأضواء: ----- ۴۶
الباب الرابع: غزوة أحد ----- ۴۷
اشارة ----- ۴۸
الفصل الأول: قبل نشوب الحرب ----- ۴۸
اشارة ----- ۴۸
أجواء و مواقف: ----- ۴۸
جیش المشرکین الی أحد: ----- ۴۹
اشارة ----- ۴۹
سؤال و جوابه: ----- ۵۰
وصول الخبر الی المدینة: ----- ۵۰
اشارة ----- ۵۰

سؤال یحتاج إلی جواب: ----- ۵۱
المشرکون، و أزمة الثقة: ----- ۵۱
عنصر السریة لتلافی الأخطار المحتملة: ----- ۵۳
المشرکون فی طریق المدینة: ----- ۵۳
اشارة ----- ۵۳
الأول: معرفة النبی بواقع أصحابه: ----- ۵۴
الثانی: الإفلاس علی کل صعید: ----- ۵۴
النبی (ص) یستشیر أصحابه: ----- ۵۴
اشارة ----- ۵۴
ألف: هل النبی (ص) یحتاج إلی رأی أحد؟! ----- ۵۶
اشارة ----- ۵۶
الجواب عن السؤال الأول: ----- ۵۶
ب: من أهداف استشارته (ص) لأصحابه: ----- ۵۸
اشارة ----- ۵۸
و أما الجواب عن السؤال الثانی: ----- ۵۸
ج: نظریة: خلافة الإنسان، و شهادة الأنبیاء: ----- ۵۹
اشارة ----- ۵۹
مناقشة ما تقدم: ----- ۶۱
د: ما هو رأی النبی (ص) فی أحد؟ ----- ۶۵
ه: لبس لامة الحرب یعنی القتال: ----- ۶۸
و: من الأکاذیب: ----- ۶۸
عقد الألویة: ----- ۶۹
اللواء مع علی (ع) فقط: ----- ۷۰
لا فرق بین اللواء و الرایة: ----- ۷۲

عدة و عدد المسلمين: ۷۳
رجوع المنافقين: ۷۳
الخيانة و آثارها: ۷۴
سؤال و جوابه: ۷۵
إرجاع الصغار: ۷۷
الريب فيما ينقل عن سمرة: ۷۷
الحراسة و قصة ذكوان: ۷۹
الشک فی قصة ذكوان: ۸۰
الفصل الثانی: نصر و هزيمة ۸۰
اشارة ۸۰
التعبئة للقتال: ۸۰
اشارة ۸۰
ألف: المظاهرة بين درعين: ۸۱
ب: المنطق القبلی لدی أبی سفيان: ۸۲
أبو دجانة، و السيف: ۸۲
اشارة ۸۲
ملاحظات على هذه الرواية: ۸۲
نشوب الحرب، و قتل أصحاب اللواء: ۸۴
اشارة ۸۴
ألف: بنو مخزوم، و أهل البيت: ۸۵
ب: الزبير و المقداد على الخيل: ۸۶
ج: إخلاص على (ع)، و عطفه على كبش الكتيبة: ۸۶
د: من قتل أصحاب اللواء: ۸۶
اشارة ۸۶

لماذا التزویر!؟. ----- ۸۷
ه: مبارزة أبی بکر لولده: ----- ۸۷
اشارة ----- ۸۸
و لنا علی ما ذکر ملاحظات: ----- ۸۸
هزیمة المشرکین: ----- ۸۹
اشارة ----- ۸۹
ألف: لماذا لم یسب من نساء قریش أحد! ----- ۹۰
ب: مقارنة: ----- ۹۱
الهزیمة بعد النصر: ----- ۹۱
تصحیح و توضیح: ----- ۹۲
الرسول یدعوهم فی اخراهم: ----- ۹۳
علی (ع)، و کتائب المشرکین: ----- ۹۳
اشارة ----- ۹۳
ألف: استشهاد حمزة رضوان اللّه علیه: ----- ۹۴
اشارة ----- ۹۴
استطراد حول وحشی: ----- ۹۵
ب: هل یدعو النبی (ص) علی قومه؟!: ----- ۹۷
استطراد هام: ----- ۹۹
و لا تذهب نفسک علیهم حسرات: ----- ۱۰۱
لم یثبت فی أحد غیر علی (ع): ----- ۱۰۲
انه منی، و أنا منه: ----- ۱۰۲
لا سیف الا ذو الفقار: ----- ۱۰۳
الفّارون فی أحد: ----- ۱۰۵
اشاره ----- ۱۰۵

فرار سعد: ۱۰۵
فرار طلحة: ۱۰۶
فرار أبی بکر: ۱۰۷
فرار عمر: ۱۰۸
فرار الزبیر: ۱۱۱
فرار عثمان: ۱۱۱
لم یثبت من المهاجرین سوی علی (ع): ۱۱۲
سر الاختلاف فی من ثبت: ۱۱۲
ثبات أبی دجانة: ۱۱۳
نحن، و شعر حسان المتقدم: ۱۱۳
تأویلات سقیمة للفرار: ۱۱۴
لماذا کانت الهزیمة: ۱۱۴
الفصل الثالث: فی موقع الحسم ۱۱۶
اشارة ۱۱۶
الرعب القاتل: ۱۱۶
عودة المسلمین الی القتال: ۱۱۷
مواقف و بطولات: ۱۱۷
۱- مع أنس بن النضر، و ابن السکن و أصحابه: ۱۱۷
۲- أبو دجانة: ۱۱۸
۳- أم عمارة: و مقام فلان!! و فلان!! ۱۱۸
اشارة ۱۱۸
جهاد المرأة: ۱۱۹
۴- أم سلیط: ۱۲۰
۵- حنظلة الغسیل: ۱۲۱

۶- بین عبد اللّه بن جحش، و ابن أبی وقاص: ۱۲۲
مواقف و بطولات سعد الموهومة: ۱۲۳
اشارة هامة: ۱۲۵
کرامات طلحة: ۱۲۶
اشارة هامة: ۱۲۸
تجمیع القوی، و اعادتها الی مراکزها: ۱۲۸
اشارة ۱۲۹
ألف: فاطمة أم أبیها: ۱۳۲
ب: النبی (ص) و المسلمون فی الجبل! ۱۳۲
ج: روایات لم تثبت: ۱۳۵
د: عمر فی قفص الإتهام: ۱۳۵
العباس فی أحد: ۱۳۶
من مشاهد الحرب: ۱۳۷
ملاحظات: ۱۳۹
الصبر فی الجهاد: ۱۴۰
الفصل الرابع: بعد ما هبت الریاح ۱۴۲
اشارة ۱۴۲
ما جری علی حمزة و الشهداء: ۱۴۲
اشارة ۱۴۳
ألف: موقف الرسول من المثلة بحمزة: ۱۴۵
اشارة ۱۴۵
ما هو الصحیح فی القضیة: ۱۵۰
ب: هند، و کبد حمزة: ۱۵۱
ج: المنع من البکاء علی المیت: ۱۵۱

اشارة ----- ۱۵۱
السیاسة و ما أدراک ما السیاسة: ----- ۱۵۳
التوراة، و المنع من البکاء علی المیت: ----- ۱۵۳
د: حزن النبی (ص) علی حمزة: ----- ۱۵۴
ه: موقف أبی سفیان من قبر حمزة: ----- ۱۵۵
و: مواساة الأنصار للنبی (ص): ----- ۱۵۵
ز: صبر صفیة: ----- ۱۵۶
التعصیب: ----- ۱۵۶
الاختصام فی ابنة حمزة: ----- ۱۵۶
الصلاة علی الشهداء و تغسیلهم، و دفنهم: ----- ۱۵۷
لماذا تقدیم الأقرأ؟ ----- ۱۵۸
أنا شهید علی هؤلاء: ----- ۱۵۸
عدد شهداء أحد: ----- ۱۵۹
أکثر القتلی من الأنصار: ----- ۱۶۰
زیارة القبور: ----- ۱۶۰
عدد قتلی المشرکین: ----- ۱۶۱
أکثر القتلی من علی (ع): ----- ۱۶۱
أویس القرنی فی أحد: ----- ۱۶۲
صفیة، و الیهودی: ----- ۱۶۳
بعض الحکم فی معرکة أحد: ----- ۱۶۳
من مشاهد العودة إلی المدینة: ----- ۱۶۴
علی یناول فاطمة سیفه: ----- ۱۶۴
شماتة المنافقین و سرورهم بنتائج أحد: ----- ۱۶۵
اشارة ----- ۱۶۵

ألف: التمحیص: ----- ۱۶۶
ب: أجواء النفاق و دوافعه: ----- ۱۶۷
دعنی أقتله یا رسول الله!! ----- ۱۶۷
الفصل الخامس: غزوة حمراء الأسد، و الی السنة الرابعة ----- ۱۶۹
اشارة ----- ۱۶۹
قریش تفکر فی المدینة، ثم تعدل عنها: ----- ۱۶۹
غزوة حمراء الأسد: ----- ۱۷۰
المجروحون فقط: ----- ۱۷۰
أسیران یقعان فی أیدی المسلمین: ----- ۱۷۲
دوافع حمراء الأسد و نتائجها: ----- ۱۷۳
قتل الأسیرین: ----- ۱۷۴
وفاة أم کلثوم و ملابساتها: ----- ۱۷۵
الباب الخامس: شخصیات و أحداث ----- ۱۷۷
اشارة ----- ۱۷۷
الفصل الأول: أوسمة و همیة لزید بن ثابت ----- ۱۷۷
اشارة ----- ۱۷۷
بدایة: ----- ۱۷۷
الحدث المشکوک: ----- ۱۷۸
روایات تعلم زید العبرانیة أو السریانیة: ----- ۱۷۸
المناقشة: ----- ۱۸۰
ملاحظتان: ----- ۱۸۴
علم زید بالفرائض: ----- ۱۸۵
ملاحظة: ----- ۱۸۶
أبو عمر و الرایة لزید فی تبوک: ----- ۱۸۶

زید، و جمع القرآن: ----- ۱۸۷
الفضائل و السیاسة: ----- ۱۸۸
الخط السیاسی لزید بن ثابت: ----- ۱۸۸
الفهارس ----- ۱۹۱
اشاره ----- ۱۹۱
۱- الدلیل الاجمالی للکتاب ----- ۱۹۱
۲- الدلیل التفصیلی للکتاب ----- ۱۹۲
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۹۸

الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص) المجلد۶

اشارة

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.
عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص)/ جعفرمرتضی العاملی
مشخصات نشر : سحرگاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.
مشخصات ظاهری : ج ۱۰
شابک : ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل)
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : عربی.
یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.
یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره
یادداشت : جلد دهم: الفهارس
یادداشت : کتابنامه
موضوع : محمد (ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت -۱۱ق -- .سرگذشتنامه
موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.
رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/ع۲ص۳ ۱۳۷۷
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳
شماره کتابشناسی ملی : م۷۷-۱۵۹۲۹

[تتمة القسم الثالث: حتی غزوة الخندق]

[تتمة الباب الثالث: ما بین بدر و أحد]

الفصل الرابع: غزوات و سرایا دفاعیة

اشارة

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۶،ص:۷

غزوات و سرایا:

اشارة

هناك سرايا و غزوات حصلت بين المسلمين و المشركين، و أخرى كانت بين المسلمين و اليهود. و نحن نشير هنا إلى كلا النوعين، فنقول:

أما بالنسبة لما كان بين المسلمين و غير اليهود، فنشير إلى:

غزوات لبنى سليم و غطفان:

۱- يقول المؤرخون: إن النبى (ص) غزا بنفسه بنى سليم بعد بدر بسبع ليال، و استخلف على المدينة ابن أم مكتوم، أو سباع بن عرفطة؛ فلما بلغ ماء من مياههم يقال له: الكدر، أقام (ص) هناك ثلاث ليال، ثم رجع إلى المدينة، و لم يلق كيدا، و كان يحمل لواءه أمير المؤمنين «عليه السلام»، و كان اللواء أبيض اللون.

و يبدو أن هذه هى نفس الغزوة التى يقال لها: «غزوة قرقرة الكدر».

و سببها أنه قد بلغه (ص): أن جمعا من بنى سليم و غطفان بقرقرة الكدر (و الظاهر أنهم كانوا ينوون غزو المدينة) فسار إليهم فى مائتين من أصحابه. فغنم منهم خمسمائة بعير، فخمّسها، و قسم الباقى على أصحابه. و وقع غلام اسمه يسار فى سهمه؛ فأسلم، و رآه النبى (ص) يصلى، فأعتقه. و قال الواقدى: إن قرقرة الكدر كانت فى المحرم سنة ثلاث «۱».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۱۱/ ۲۱۲، و راجع ص ۲۰۵ و مصادر ذلك كثيرة فراجع

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۸

۲- و يقول الدمياطى: إن غزوة بنى سليم هى نفس غزوة بحران، حيث بلغه: أن جمعا كثيرا من بنى سليم كانوا فى بحران؛ فخرج إليهم فى ثلاثمائة من أصحابه، لست خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث، و لم يظهر وجها للسير؛ فرجع و لم يلق كيدا «۱».

غزوة السويق:

و بعد رجوعه (ص) من غزوة قرقرة الكدر، أى فى ذى الحجة من السنة الثانية أو الثالثة: كانت غزوة السويق، فبعد أن أصيبت قريش فى بدر حلف أبو سفيان: أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا (ص) و قال:

كرّوا على يثرب و جمعهمفإن ما جمعوا لكم نفل

إن يك يوم القليب كان لهمفإن ما بعده لكم دول

آليت لا أقرب النساء و لايمس رأسى و جلدى الغسل

حتى تبيدوا قبائل الأوسو الخزرج إن الفؤاد يشتعل فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر بيمينه؛ و ليثبت للناس: أن قريشا لا تزال قادرة على التحرك، و أيضا ليشد قلوب المهزومين فى بدر.

فلما كان على بريد من المدينة (و البريد إثنا عشر ميلا) نزل هناك، فاتصل ببعض بنى النضير من اليهود، ثم أرسل بعض أصحابه إلى بعض نواحى المدينة؛ فحرقوا بعض النخل، و وجدوا رجلين فقتلوهما، و هما:

معبد بن عمرو و حليف له، ثم انصرفوا راجعين؛ فنذر الناس بهم؛ فخرج كتب السيرة و التاريخ.

(۱) راجع فى هذه السرية: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۱۶، و السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ۲ ص ۱۸، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۱۳، و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۹۱، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۱۹۶/ ۱۹۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۹

(ص) فى طلبهم لخمس خلون من ذى الحجة، و جعل أبو سفيان و أصحابه يلقون بجرب السويق «۱» تخففا للهرب؛ فجعل المسلمون يأخذونه، و لم يدركهم المسلمون، فعادوا إلى المدينة بعد خمسة أيام «۲».

قال العلّامة الحسنى: «و انقلب فرار أبى سفيان عليه خزيا و عارا، بعد أن كان يظن أن غزوته هذه ترفع من شأنه، و تعيد إلى قريش شيئا من مكانتها «۳»».

غزوة ذى أمر:

و فى أول سنة ثلاث، أو لإثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول، كانت غزوة ذى أمر، و لربما تكون هى غزوة غطفان. جمع فيها دعثور بن محارب فى ذى أمر، جمعا من بنى ثعلبة بن محارب لحرب الرسول، أو ليصيبوا من أطراف المدينة، فخرج الرسول (ص) إليهم، و أصاب أصحابه (ص) رجلا يقال له: جبار (أو حباب)؛ فأسلم، و دلّهم على الطريق إليهم؛ فسمعوا بمسير الرسول (ص)؛ فهربوا فى رؤوس الجبال «۴».

و يذكر هنا: أنه أصاب الرسول (ص) مطر كثير؛ فنزع (ص) ثوبيه، و نشرهما على شجرة، و اضطجع بمرأى من المشركين. و اشتغل المسلمون فى شؤونهم، فنزل إليه دعثور (زعيم المشركين الغطفانيين) حتى وقف على رأسه، ثم قال: من يمنعك منى اليوم؟ فقال (ص): اللّه.

(۱) السويق: قمح أو شعير يغلى ثم يطحن ليسفّ إما بماء، أو عسل، أو لبن.

(۲) راجع فيما تقدم: تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۷۵- ۱۷۷، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۱۰ و ۴۱۱، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۱۱ و غير ذلك.

(۳) سيرة المصطفى ص ۳۸۲.

(۴) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۱۲، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۱۹۴، و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۰

و دفع جبريل فى صدره، فوقع على ظهره، و وقع السيف من يده، فأخذ النبى (ص) السيف، و قال له: من يمنعك منى؟ قال: لا أحد، أشهد أن لا إله إلا اللّه، و أشهد أن محمدا رسول اللّه. فأعطاه (ص) سيفه؛ فرجع إلى قومه، و جعل يدعوهم للإسلام. و نزلت هذه الآية: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ «۱» الآية.

و لعل هذه هى نفس غزوة ذى القصة، التى يقال: إنها فى المحرم سنة ۳ ه. كما يظهر من المقارنة بينهما.

سريّة القردة:

و فى جمادى الأولى، فى السنة الثالثة، كانت غزوة القردة، و كان أميرها زيد بن حارثة، فى أول إمارة له. و ذلك: أن نعيم بن مسعود

قدم المدينة مشركا، فشرب الخمر مع بعض أصحابه، و ذلك قبل تحريم الخمر (مع أننا قد قلنا فيما سبق: أن الخمر كانت قد حرمت فى مكة)، و أخبرهم بالعير «۲».

و ذلك: أن قريشا قالت: «قد عوّر علينا محمد متجرنا، و هو على طريقنا».

و قال أبو سفيان، و صفوان بن أمية: إن أقمنا بمكة أكلنا رؤوس

---

(۱) سورة المائدة الآية رقم: ۱۱، و راجع فى قضية دعثور تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۱۵، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۱۳، و السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ۲ ص ۱۸، و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۹۱، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۱۹۵، و دلائل النبوة للبيهقى ط دار الكتب العلمية ج ۳ ص ۱۶۸ و ۱۶۹.

(۲) البداية و النهاية ج ۴ ص ۵، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۱۹۸.

أموالنا.

فاتفقوا بعد بدر على العدول عن طريقهم المعتاد إلى الشام، و سلوك طريق العراق، فخرج جماعة فيهم صفوان، و أبو سفيان فى تجارة أكثرها من الفضة. فبعث (ص) إليهم زيدا، فلقيهم على ماء يقال له:

«القردة»؛ فأصاب العير و ما فيها؛ و أعجزه الرجال، و رجع بالغنيمة إلى الرسول (ص)، فخمّسها، فبلغ الخمس عشرين ألفا، و قسم الباقى للسرية «۱».

وقفات مع ما تقدم:

ألف: الأعمى، و القضاء:

بالنسبة لإستخلاف ابن أم مكتوم على المدينة فى غزوة بنى سليم، و غيرها: نشير إلى ما ذكره البعض من أن رواية أبى داود تقول: إنه إنما استخلفه على الصلاة؛ لأنه ضرير، لا يجوز له الحكم بين الناس فى القضايا و الأحكام؛ لأنه لا يدرك الأشخاص، و لا يثبت الأعيان، و لا يدرى لمن الحكم، و على من يحكم «۲».

و لكننا لا نرتضى هذا الكلام، و ذلك لما يلى:

۱- إن تولّى ابن أم مكتوم للمدينة لا يعنى إصداره الأحكام و تولّيه منصب القضاء، لأن من الممكن حلّ مشاكل الناس بطريقة الصلح بين المتخاصمين، أو على أن يكون قاضى تحكيم يرضى بحكمه الخصمان،

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۱۶، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۵، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۱۹۸، و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۴۵، و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۸۲.

(۲) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۰۵.

خصوصا بملاحظة قصر فترة غيابه (ص) عن المدينة فى سفراته تلك، أو بأن يوكل من له صلاحية القضاء بين الناس، و يكون هو الوالى العام الحافظ للنظام، و المنفذ لتلك الأحكام.

۲- إن القول بأن المراد من تولّى ابن أم مكتوم المدينة من قبل النبى (ص) هو تولّيه خصوص الصلاة بعيد جدا، و هو لا ينسجم مع

إطلاق عباراتهم، مثل قولهم: «إستخلفه على المدينة» أو «ولّاه المدينة» أو نحو ذلك، خصوصا إذا لا حظنا: أنه (ص) قد استخلفه عليها إثنتى عشرة مرة، أو أكثر.

۳- إن الإستدلال على عدم جواز تولّى الأعمى للقضاء بما ذكر، مدفوع بأن طريق معرفة الأشخاص و الأعيان لا ينحصر بالنظر و الرؤية؛ فيمكنه إثبات ذلك بالشهود، أو بالإقرار، أو بغير ذلك من وسائل. و ليكن نفس توليته (ص) لابن أم مكتوم (لو ثبت كون القضاء داخلا فى ولايته) إثنتى عشرة مرة، دليلا على جواز تولّى الأعمى للقضاء.

ب: من أهداف تلك السرايا و الغزوات:

إن العرب قد رأوا: أن النبى الذى خرج بالأمس إلى المدينة لا جئا، لا قوة له، قد أصبح هو و أصحابه يقفون فى وجه قريش، و يجلون اليهود- كما سنرى-، و يرسلون السرايا تتهدد المسالك، و يقتلون، و يأسرون.

و عرفوا: أن ثمة قوة يجب أن يحسب لها حسابها، و لا بد من التفكير مليا قبل الإقدام على أى عمل تجاهها فى المنطقة. و لكن الغرور كان يستولى على بعض تلك القبائل، إلى حدّ التفكير فى الدخول فى حرب مع النبى (ص)، على حدّ تعبير البعض «۱».

---

(۱) سيرة المصطفى ص ۳۸۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۳

فكان (ص) يبادر إلى الهجوم، بمجرد أن يعرف: أنهم قد جمعوا و استعدوا له، أو أنهم يستعدون للإغارة على أطراف المدينة، أو بعد حصول الإغارة و الإفساد منهم، الأمر الذى يدلنا على أن تلك الغزوات و السرايا كانت و قائية بالدرجة الأولى، و تستهدف أمورا:

۱- إفشال مؤامرات الأعداء، و ردّ كيدهم إلى نحورهم.

۲- إن ذلك منه (ص) كان يمثل حربا نفسية للمشركين؛ إذ ما غزى قوم فى عقر دارهم إلا ذلّوا، خصوصا إذا كان إنكسارهم بعد التعبئة الكاملة و الشاملة منهم لحرب هذه الفئة بالذات.

فإذا كانت هزيمتهم على يده (ص)، و فى عقر دارهم، و فى أوج قدرتهم و استعدادهم؛ فسوف تتحطم معنوياتهم، و يجعلهم ذلك فى المستقبل مضطرين لأن يتريثوا كثيرا، قبل أن يقرروا أى موقف لهم تجاهه. و هذا مصداق آخر لكونه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد نصر بالرعب.

۳- ثم هناك الصدى و التأثير الإعلامى فى المنطقة، و على قريش بالذات؛ فإذا انهزم المشركون فى المنطقة و قريش روحيا و نفسيا، فإن هزيمتهم العسكرية سوف تكون أسهل و أيسر، و قد سئل أمير المؤمنين «عليه السلام»: بأى شىء غلبت الأقران؟

فقال: «ما لقيت رجلا إلا أعاننى على نفسه».

قال الرضى: يومىء بذلك إلى تمكن هيبته فى القلوب «۱».

ج: العتق، و الصلاة:

يلاحظ: أن الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد أعتق

---

(۱) نهج البلاغة، بشرح محمد عبده، قسم الحكم، رقم ۳۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۴

الغلام يسارا، حيث رآه يصلى. و قد رأينا فى الحديث أن الإمام السجاد «عليه السلام» كان يعتق مواليه بعد أن يذكرهم بذنوبهم «۱».

كما أنه قد أعتق غلاما له، لأنه أكل كسرة خبز كان قد أعطاه إياها، حين وجدها ملقاة «۲».

و رأينا أيضا أن الإمام الحسن (ع) رأى غلاما يطعم كلبا، فاشتراه من سيده، و أعتقه «۳».

و عن أبى البلاد، قال: قرأت عتق أبى عبد اللّه «عليه السلام»: هذا ما أعتق جعفر بن محمد، أعتق فلانا غلامه لوجه اللّه، لا يريد منه جزاء و لا شكورا، على أن يقيم الصلاة، و يؤدى الزكاة، و يحج البيت، و يصوم شهر رمضان، و يتولى أولياء اللّه، و يتبرأ من أعداء اللّه. شهد فلان، و فلان، و فلان «۴».

و لعل سرّ عتقهم (ع) لهم فى هذه المناسبات، و لا سيما فى مناسبة الصلاة يعود إلى: أن العتق فى مناسبة كهذه يهدف إلى ربطهم بالصلاة، و دفعهم إلى الإلتزام بها، و لا سيما حينما تطرح كقضية حاسمة فى أسعد لحظات حياتهم، اللحظات التى ينالون فيها حريتهم، التى هى فى الحقيقة عنوان هويتهم و وجودهم. و هذا ما سوف يدفعهم لاكتشاف واقع و حقيقة الصلاة، ثم التفاعل معها بشكل جدى و عميق، و لتكون من ثمّ سببا فى تكاملهم الإنسانى، و سعيهم إلى الإلتزام بسائر التعاليم الأخلاقية و الإنسانية الإسلامية.

---

(۱) البحار ج ۴۶ ص ۱۰۳، و إقبال الأعمال.

(۲) تاريخ جرجان ص ۴۱۸.

(۳) البحار ج ۴۴ ص ۱۹۴، و مناقب آل أبى طالب ج ۴ ص ۷۵.

(۴) مستدرك سفينة البحار ج ۷ ص ۷۸، و البحار ج ۴۷ ص ۴۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۵

كما أن ذلك يجعل هذا الإنسان يرى فى شخصية النبى (ص) مثلا جديدا للإنسان الهادف، الذى يعيش من أجل هدفه، و يفنى فيه بكل ما لهذه الكلمة من معنى. و يعرفه: أنه لا يهدف إلى استعباد أحد، و لا يمكن أن يكون ذلك هدفا له، و إنما هدفه الأسمى هو إعلاء كلمة اللّه تعالى فقط، و فقط. كل ذلك تحت شعار: أن من يصبح عبدا للّه بحق، فهو جدير بالحرية حقا.

و كذلك الحال كان بالنسبة لما قدمناه عن الإمام الحسن، و الإمام السجاد عليهما الصلاة و السلام، و قد أشرت إلى هذا الموضوع فى مقال مستقل، فمن أراده فليراجعه «۱».

د: التورية بالغزوات:

لقد رأينا أيضا: أنه (ص) فى غزوة بحران لم يظهر وجها للسير، و ذلك لا يختص بهذه الغزوة! إذ قد كان من عادته (ص): أنه إذا أراد غزوة ورّى بغيرها «۲».

و معنى ذلك: هو أنه (ص) أراد تفويت الفرصة على عيون العدو و جواسيسه، إن كان له ثمة عيون و جواسيس، و على المنافقين الذين يوادّون من حادّ اللّه و رسوله، و كذلك على اليهود الذين كانوا لا يألون جهدا، و لا يدّخرون وسعا فى مساعدة أعدائه ضدّه، و لا أقل من أنهم كانوا يهتمون فى أن يفوته أعداؤه، و لا يتمكن من الظفر بهم.

و أسلوب إخفاء أمره (ص) فى فتح مكة كان رائعا جدا. و لسوف

---

(۱) البحث هو بعنوان: «الإمام السجاد باعث الإسلام من جديد» فى كتابنا: «دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام ج ۱ ص ۷۷.

(۲) المصنف ج ۵ ص ۳۹۸، و المنتقى لإبن تيمية ج ۲ ص ۷۶۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۶

يأتى التعرض له فى موضعه من هذا الكتاب، إن شاء اللّه تعالى.

ه: قريش فى مواجهة الأخطار:

إن سرية زيد بن حارثة للاستيلاء على قوافل قريش قد جاءت فى سياق السياسة القاضية بالمحاصرة الإقتصادية لقريش و باسترجاع الأموال التى تمالأ المشركون على حرمان المسلمين منها؛ حيث اضطروهم إلى ترك أوطانهم، و ديارهم، و أموالهم، و الهجرة إلى موضع يجدون فيه الحرية، و الأمن.

و قد سمعنا كلام صفوان، و أبى سفيان، الذى يوضح لنا: أن قريشا قد أصبحت تعتبر حربها مع النبى و المسلمين حربا مصيرية، و معركتها معه معركة حياة أو موت.

و لم يكن ذلك ليخفى على النبى (ص)، فكان دائما على استعداد لكل طارىء، و يتتبع كل تحركات العدو بدقة متناهية، و قد طوّقهم من جميع الجهات تقريبا.

و يكفى أن نذكر هنا قول صفوان بن أمية لقريش:

«إن محمدا و أصحابه قد عوروا علينا متجرنا؛ فما ندرى كيف نصنع بأصحابه. و هم لا يبرحون الساحل. و أهل الساحل قد وادعوهم؛ فما ندرى أين نسكن. و إن أقمنا فى دارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا، فلم يكن لنا بقاء. و حياتنا بمكة تقوم على التجارة إلى الشام فى الصيف، و إلى الحبشة فى الشتاء» «۱».

و: مناقشة قضية دعثور:

و أما قصة دعثور مع الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؛

---

(۱) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۱۹۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۷

فإننا و إن كنا لا نستبعد و قوعها ... و لكن قولهم: إن آية: إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ إلخ «۱» قد نزلت فى هذه المناسبة. لا يصح.

و ذلك:

أولا: إنه إذا كان المراد: أن الآية قد نزلت مباشرة حين وقوع قضية دعثور، كما هو ظاهر التفريع بالفاء. فيرد عليه أن الآية فى سورة المائدة، و هى قد نزلت فى أواخر حياته (ص) مرة واحدة. و غزوة ذى أمر كانت- كما يقولون- فى أوائل السنة الثالثة للهجرة.

و من غير المعقول: أن يحتفظ (ص) بآيات تبقى معلقة فى الهواء- إلى عدة سنوات-، ثم يجعلها فى سورة نزلت حديثا.

و ثانيا: إن الآية تذكر:

۱- أن «قوما» قد همّوا بأن يبسطوا أيديهم إلى المسلمين، و دعثور شخص واحد، و لم نعهد إطلاق كلمة «قوم» على الواحد.

و قول البعض: إن قوله تعالى: لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ، يشمل سخرية فرد من فرد.

لا يصح؛ لأنه إنما يشمله بالملاك، لا بالظهور اللفظى، و الآية التى نحن بصددها إنما هى إخبار عن حادث وقع، و ليس فيها شمول ملاكى، كما هو ظاهر.

إلا أن يقال: إن نسبة ذلك إلى القوم باعتبار رضاهم بفعل دعثور هذا و هو كما ترى.

۲- و من جهة أخرى فإنها قد عبّرت عن النبى (ص) بضمير الجمع، و لم نعهد التعبير عن الرجل الواحد بضمير الجمع إلا فى مقام التعظيم،

(۱) سورة المائدة الآية رقم: ۱۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۸

و بضرب من التجوز. و هو هنا يمتنّ على المسلمين جميعا بأن اللّه قد صرف عنهم من همّوا ببسط أيديهم إليهم، و لو كان المقصود هو النبى فقط، فلماذا يعبر عنه بضمائر الجمع؟

و قد يجاب عن ذلك: بأن ذهابه (ص)، و فقده، يكون سببا لذهابهم و تشتّتهم، و ضعفهم، و بسط اليد إليه بسط لها إليهم؛ لأنه قائدهم، و به قوام اجتماعهم.

إلا أن يقال: إن ذلك خلاف المفهوم من الآية، و فيه نوع من التجوز و الإدّعاء؛ فلا يعتمد عليه إلا بدليل.

و ثالثا: قال العلامة الحسنى: «و موضع التساؤل فى هذه القصة:

أن النبى (ص) هل كان ينفرد عن أصحابه فى غزواته؟! و هل يتركه أصحابه وحيدا فى تلك الفلاة، و المشركون على مقربة منهم؟! وهب أنه ذهب إلى الشجرة ليجفف ثيابه من المطر، و لكن كيف تركه ذلك الجيش المؤلف من (۴۵۰) مقاتلا؟ و خفى عليهم ذلك الرجل الذى تحدّر من الجبل لإغتياله، و هو بعيد عن أصحابه إلخ؟ ...» «۱».

و يمكن المناقشة فى هذا بأن النبى (ص) قد تخلّف عن الجيش الراجع من غزوة بدر ليمرض عليا «عليه السلام» كما تقدم فى موضعه.

إلا أن يقال: إنه فى بدر قد تخلّف فى موضع أمن، لا فى موضع مخافة.

و أما الإيراد على ذلك بأن النبى (ص) قد تخلّف فى بعض غزواته، ليسابق زوجته عائشة «۲» فهو لا يصح، لأننا نعتقد أنها مجرد قصص مختلقة

(۱) سيرة المصطفى ص ۳۸۴.

(۲) راجع: صفة الصفوة ج ۱ ص ۱۷۶ عن أحمد، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۹۰، و مغازى الواقدى ج ۲ ص ۴۲۷، و سنن أبى داود ج ۳ ص ۳۰ و عن النسائى و ابن ماجة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۹

و خيالية، لا أساس لها من الصحة كما سيأتى.

و خلاصة الأمر: إن تخلّف النبى عن جيشه إلى مكان قريب، ليجفف ثوبه، مع الإحساس بالأمن، ليس بالأمر المستهجن، و لا النادر الوقوع. لا سيما إذا كان يريد حاجة يطلب فيها الستر عن أعين الناس.

و قد كان أفراد الجيش ينفصلون عن الجيش قليلا لقضاء بعض حاجاتهم.

و لعل الآية قد نزلت فيمن يهم الرواة إبعاد التهمة عنهم، فلفّقوا هذه المناسبة لإبعاد الشبهة عمن يحبون.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۱

الفصل الخامس: غدر اليهود و مرحلة الاغتيالات المنظمة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۳

مع عقائد اليهود و آثارها:

قبل أن نبدأ بالحديث عن العمليات العسكرية التى جرت بين المسلمين و اليهود فيما بين بدر و أحد، نود أن نشير باختصار إلى بعض عقائد اليهود، ثم إلى بعض ما يرتبط بمواقفهم و خططهم، و مؤامراتهم على الإسلام، و على المسلمين، فنقول:

۱- عنصرية اليهود: اليهود شعب عنصرى، مؤمن بتفوق عنصره على البشر كافة. و الناس عندهم لا قيمة لهم و لا اعتبار، و إنما خلقوا لخدمة الإسرائيليين و حسب. فكل الناس إذن يجب أن يكونوا فى خدمتهم، و تحت سلطتهم، كما يقول لهم تلمودهم.

فقد جاء فى التلمود ما ملخصه: أن الإسرائيلى معتبر عند اللّه أكثر من الملائكة. و أن اليهودى جزء من اللّه. و من ضرب يهوديا فكأنه ضرب العزة الإلهية. و الشعب المختار هم اليهود فقط، و أما باقى الشعوب فهم حيوانات. و يعتبر اليهود غير اليهود أعداء لهم، و لا يجيز التلمود أن يشفق اليهود على أعدائهم. و يلزم التلمود الإسرائيليين بأن يكونوا دنسين مع الدنسين. و يمنع من تحية غير اليهودى إلا- أن يخشوا ضررهم، و لا- يجيزون الصدقة على غير اليهودى. و يجوز لهم سرقة ماله، و غشه، كما أن على الأمميين أن يعملوا، و لليهود أن يأخذوا نتاج هذا العمل.

و يجيز التلمود التعدّى على عرض الأجنبى، لأن المرأة إن لم تكن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۴

يهودية فهى كالبهيمة. و لليهودى الحق فى اغتصاب غير اليهوديات.

و لا- يجوز لليهودى الشفقة على غيره. و يحرم على اليهودى أن ينجى غيره «۱» إلى آخر ما هنالك، مما لا يمكن الإحاطة به فى هذه المناسبة.

نعم، هذه هى نظرة اليهود لغيرهم، و هذه هى حقيقة ما يبيّتونه تجاه كل من هو غير يهودى. و قد نعى اللّه تعالى عليهم هذه النظرة السيئة، فقال:

وَ قالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ، يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ، وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ «۲».

فهو يؤكد لهم: أنهم كغيرهم من الخلق، يعذبهم اللّه بذنوبهم، و لا- فضل لهم على غيرهم؛ لأن التفاضل إنما هو بالتقوى و العمل الصالح.

۲- اليهود وحب الحياة الدنيا: و اليهودى أيضا يؤمن بالمادة، و يرتبط بها بكل وجوده و طاقاته، فهو يحب المال و جمعه حبا جما، و هو يعيش من أجله، و يعمل فى سبيله بكل ما أوتى من قوة و حول؛ فهو من أجل المادة ولد، و فى سبيلها عاش و يعيش، و على حبها سوف يموت.

و لأجل ذلك فلا ينبغى أن نستغرب إذا رأينا: أن ارتباطهم بالناس مصلحى و نفعى، و أن المال و اللذة هما المنطق الوحيد لهم فى كل موقف، و المقياس للحق و للباطل عندهم.

---

(۱) راجع: الكنز المرصود ص ۴۸- ۱۰۶، و مقارنة الأديان (اليهودية) لأحمد شلبى ص ۲۷۲- ۲۷۴ عنه و عن: التلمود شريعة بنى إسرائيل ۲۲- ۲۵ و ۴۰- ۴۴ و ۶۵.

(۲) المائدة: ۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۵

و لا يجب أن نعجب أيضا إذا رأينا: أن الشيوعية، و هى التفكير الداعى إلى اعتبار المادة هى أساس الكون و الحياة، و هى المحرك، و المنطلق، و هى الغاية، و إليها ستكون النهاية، و هى المعيار و المقياس الذى لا بد و أن يهيمن على كل شؤون الحياة و الإنسان و

الكون، و كل نظمه و قوانينه، و علاقاته. نعم، لا عجب إذا رأينا: أن هذا التفكير يبدأ من اليهود، و إليهم ينتهى «۱».

۳- أكثر اليهود لا يؤمنون بالبعث:

و اليهودى يكره الموت، و هو يتمنى لو يعمّر ألف سنة، قال تعالى:

وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلى حَياةٍ «۲»، وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ «۳».

و لعل سر ذلك يعود إلى أن توراة اليهود المحرفة الحاضرة لم تشر بشكل واضح إلى البعث و القيامة، و إنما ورد حديث عن الأرض السفلى، و الجب التى يهوى إليها العصاة، و لا يعودون «و إن الذى ينزل إلى الهاوية لا يصعد».

و يقول البعض: إن الكتاب المقدس نفسه يعد الحياة الدنيا وحدها هى عالم الإنسان، و ليس هناك اعتقاد بعد ذلك فى بعث و جنة أو نار؛ و ثوابهم و عقابهم مقصوران على الحياة الدنيا.

---

(۱) الخطر اليهودى ص ۶۷ و فيه: أن أعضاء المجلس الشيوعى الذى كان يحكم روسيا سنة ۱۹۵۱ كان يتألف من سبعة عشر عضوا كلهم يهود صرحاء باستثناء ثلاثة هم:

ستالين، و فيرشيلوف، و مولوتوف. و هؤلاء الثلاثة زوجاتهم يهوديات، و فيهم يهودى الأم، أو الجدة، أو صنيعة مجهول النسب من صنائع اليهود، كما أن المنظر الأكبر للشيوعية هو اليهودى كارل ماركس.

(۲) تنكير (الحياة) للتحقير، أى مهما كانت تافهة و حقيرة.

(۳) البقرة: ۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۶

و على العموم، فإن فكرة البعث لم تجد لها أرضا خصبة لدى اليهود، و قد حاول بعض طائفة الفريسيين القول بها، و لكن هذه المحاولة لقيت معارضة شديدة، أما باقى الفرق اليهودية، فلم تعرف عنها شيئا.

و إذا كان الإنسان لا يعتقد بالبعث، و يؤمن بأن الجزاء ليس إلا فى هذه الدنيا، فمن الطبيعى أن يسعى إلى المنكرات و اقتراف الآثام «۱».

ملاحظة:

هذا، و قد تفاقم فيهم حبهم للدنيا حتى بلغ بهم الحرص عليها: أن حرمهم من الإستفادة من الأموال التى يجمعونا،، فتجد الكثيرين منهم يعيشون فى دناءة من العيش و فيهم شح كبير، و لؤم و بخل ظاهر، و خسة لا يحسدون عليها. هذا إلى جانب إهمال الكثير منهم جانب النظافة المطلوبة، كما يظهر لمن سبر أحوالهم، و عاش فى بيئتهم.

و يعتقد اليهود: أن اللّه سيغفر لهم كل ما يرتكبونه من جرائم و عظائم. و هذا ما يشجعهم على الفساد و الإنحراف، و الإمعان فى المنكرات و الجرائم.

و قد رد اللّه تعالى على عقيدتهم هذه «۲»، حينما قال: وَ قَطَّعْناهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً، مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ، وَ مِنْهُمْ دُونَ ذلِكَ، وَ بَلَوْناهُمْ بِالْحَسَناتِ وَ السَّيِّئاتِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتابَ، يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْأَدْنى، وَ يَقُولُونَ: سَيُغْفَرُ لَنا. وَ إِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ، أَ لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الْكِتابِ: أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ، وَ دَرَسُوا ما فِيهِ؟ وَ الدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ؛ أَ فَلا

---

(۱) راجع: أحكامهم هذه فى كتاب، مقارنة الأديان (اليهودية) ص ۱۹۹ و ۲۰۰، و اليهود فى القرآن ص ۳۷.

(۲) اليهود فى القرآن ۴۴/ ۴۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۷

تَعْقِلُونَ «۱».

۳- و بعد ما تقدم، و بعد أن كان اليهودى لا يعتقد بالآخرة، فإن من الطبيعى أن يكون اليهود شعبا جبانا، لأنه يخشى الموت، و يرهب الأخطار، لأنه يرى بالموت نهايته الحقيقية «۲». و من طبع الجبان أن يتعامل مع خصومه بأساليب المكر و الخداع، و الغدر و الخيانة بالدرجة الأولى.

من أسباب عداء اليهود للاسلام:

و نشير هنا إلى أننا نلاحظ: أن اليهود بدأوا يحاربون الإسلام من أول يوم ظهوره، و كانوا و ما زالوا يحقدون عليه، رغم أنهم كانوا أول من بشر بظهور النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»، مستندين فى بشاراتهم تلك إلى الدلائل القاطعة التى يجدونها فى كتبهم. و نستطيع أن نذكر من أسباب عدائهم للمسلمين و للإسلام:

۱- إنهم قد وجدوا أن هذا النبى يدعو الناس إلى دين هو نظام كامل و شامل للحياة؛ و أن هذا الدين قد جاء بنظام اقتصادى متكامل و متوازن؛ و اهتم بمحاربة الربا، و الإحتكار، و جميع أنواع و أشكال استغلال إنسان لإنسان آخر؛ و جعل فى أموال الناس حقا معلوما للسائل و المحروم، فلم ينسجم ذلك مع أطماعهم، و مع ما ألفوه و أحبوه، بل رأوه يتنافى مع تلك الأطماع و مع أهدافهم و مصالحهم، و مع نظرتهم للكون، و للحياة، و الإنسان.

۲- و الذى زاد من حنقهم و حقدهم: أنهم كانوا يأملون أن يتم

---

(۱) الأعراف: ۱۶۸/ ۱۶۹.

(۲) و يلاحظ: أن العرب فى هذه الأيام يجبنون عن مواجهة اليهود فى حرب الكرامة و الشرف، لماذا؟ أليس لأجل ابتعادهم عن دينهم و استسلامهم لا نحرافاتهم، و حبهم للحياة، و قلة يقينهم بالموت و المعاد.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۸

القضاء على هذا الدين من قبل قومه القرشيين، و من معهم من ذؤبان العرب، دون أن يكلّفهم ذلك أية خسائر؛ خصوصا فى الأرواح، فرضوا بالمعاهدة التى سلف ذكرها. و لكن فألهم قد خاب، فها هو الإسلام يزداد قوة، و اتساعا و نفوذا، يوما عن يوم. و ها هو يسجل فى بدر العظمى أروع البطولات، و أعظم الإنتصارات، فلم يعد يقرّ لهم قرار، أو يطيب لهم عيش، إذ كان لا بد- بنظرهم- من القضاء على هذا الدين قبل أن يعظم خطره و يكتسح المنطقة، و يضرى بهم إعصاره الهادر.

۳- و زاد فى حنقهم و قلقهم: أنهم رأوا النبى (ص) و المسلمين معه، كما أنهم لا يخدعون، و لا يؤخذون بالمكر و الحيلة، كذلك هم لا يستسلمون للضغوط، و لا تثنيهم المصاعب و المشقات مهما عظمت.

و كلما زاد الإسلام اتساعا كلما زاد الطموح لدى المسلمين، و الضعف لدى خصومهم، إذن، فلا بد من اهتبال الفرصة، و مناهضة هذا الدين، و القضاء عليه بالسرعة الممكنة.

۴- و يقول الجاحظ: «إن اليهود كانوا جيران المسلمين بيثرب و غيرها؛ و عداوة الجيران شبيهة بعداوة الأقارب، فى شدة التمكن و ثبات الحقد، و إنما يعادى الإنسان من يعرف، و يميل على من يرى، و يناقض من يشاكل، و يبدوله عيوب من يخالط، و على قدر الحب و القرب يكون البغض و البعد، و لذلك كانت حروب الجيران و بنى الأعمام من سائر الناس و سائر العرب أطول، و عداوتهم أشد.

فلما صار المهاجرون لليهود جيرانا، و قد كانت الأنصار متقدمة الجوار، مشاركة فى الدار، حسدتهم اليهود على نعمة الدين، و الإجتماع بعد الإفتراق، و التواصل بعد التقاطع إلخ» «۱».

---

(۱) ثلاث رسائل للجاحظ (رسالة الرد على النصارى) ص ۱۳/ ۱۴ نشر يوشع فنكل سنة ۱۳۸۲ ه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۹

۵- ثم هناك حسدهم للعرب أن يكون النبى الذى تعد به توراتهم منهم، و ليس إسرائيليا، و قد أشار إلى ذلك تعالى فقال:

وَ لَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ، وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ؛ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ. بِئْسَما اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ: أَنْ يَكْفُرُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ، فَباؤُ بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ، وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ «۱».

و لعل هذا هو السر فى أنهم- حسبما يقوله البعض- حينما طلب النبى (ص) منهم أن يدخلوا فى الإسلام امتعضوا، و أخذوا يخاصمون رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» «۲».

۶- لقد عز عليهم و أرهبهم: ما رأوه من قدرة الإسلام على توحيد أهل المدينة: الأوس و الخزرج، الذين كانوا إلى هذا الوقت أعداء يسفك بعضهم دماء بعض، قال تعالى: وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَ لكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ، إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ «۳».

۷- ثم إنهم قد رأوا: أن هذا الدين يبطل مزاعمهم، و يقضى على اليهودية، و على أحلام بنى أسرائيل و قد أبطل أسطورتهم فى دعواهم التفوق العلمى، و أظهر كذبهم فى موارد كثيرة، و تبين لهم: أن الإسلام يعلو و لا يعلى عليه.

أضف إلى ذلك: أنه قد ظهر أن نبى الإسلام أفضل من موسى «عليه

---

(۱) البقرة: ۸۹- ۹۰.

(۲) راجع: اليهود فى القرآن ص ۲۳.

(۳) الأنفال: ۶۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۰

السلام»، و من سائر الأنبياء. و أصبحوا يرون الناس يؤمنون بدين جديد، هو غير اليهودية، و هم يقولون: لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم «۱».

و فوق ذلك كله، فإن الإسلام يرفض إعطاء الإمتيازات على أساس عرقى، و هو يساوى بينهم و بين غيرهم، و هذا ذنب آخر لا يمكن لهم الإغماض عنه بسهولة.

اليهود فى مواجهة الاسلام:

لقد حاول اليهود مواجهة المد الإسلامى الكاسح بكل ما لديهم من قوة و حول. و نذكر هنا بعض ما يرتبط بالأساليب و الطرق التى حاولوا الإستفادة منها فى هذا السبيل، من دون ملاحظة الترتيب بينها، لا سيما و أن بعضها متداخل فى الأكثر مع بعض، فنقول:

۱- قد أشار الجاحظ إلى أنهم: «شبّهوا على العوام، و استمالوا الضعفة، و مالأوا الأعداء و الحسدة، ثم جاوزوا الطعن، و إدخال الشبهة إلخ» «۲».

نعم، لقد حاولوا تشكيك العوام، و ضعاف النفوس بالإسلام، و كانوا يرجحون لهم البقاء على الشرك، كما فعله كعب بن الأشرف،

حينما سأله مشركوا مكة عن الدين الأفضل، كما ألمحنا إليه فيما سبق.

بالإضافة إلى ممالأتهم للذين و ترهم الإسلام، أو وقف فى وجه مطامعهم و طموحاتهم اللامشروعة و اللاإنسانية. و نذكر مثلا على ذلك: ما جاء فى الروايات من أن الناس يعتبرون: أن من علامات الحق: أن لا يرجع عنه من يقتنع به، فإذا رجع عنه فلا بدّ أن يكون ذلك لأجل أنه وجد فيه ضعفا، أو نقصا، و لذلك نجد ملك الروم يسأل أبا سفيان أحد ألدّ

---

(۱) آل عمران: ۷۳.

(۲) ثلاث رسائل للجاحظ (رسالة الرد على النصارى) ص ۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۱

أعداء محمد (ص): «هل يرجع عن الإسلام من دخل فيه؟ فقال أبو سفيان: لا».

و قد حاول اليهود أن يتبعوا نفس هذا الأسلوب. و قد حكى اللّه تعالى عنهم هذا الأمر، فقال: وَ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ: آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ، وَ اكْفُرُوا آخِرَهُ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ «۱».

۲- طرح الأسئلة الإمتحانية على النبى (ص) بهدف تعجيزه.

و يلاحظ: أن هذه المحاولات كانت تبذل من قبل مختلف قبائل اليهود:

قريظة، النضير، قينقاع، ثعلبة إلخ. و لكن محاولاتهم هذه قد باءت بالفشل الذريع. بل لقد ساهم ذلك بشكل فعال فى تجلّى و وضوح تعاليم الإسلام، و ترسيخها، و قد دفعهم فشلهم هذا إلى أن يطلبوا من النبى (ص): أن يأتيهم بكتاب من السماء: يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ، فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ، فَقالُوا: أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً «۲».

ثم تمادوا فى العناد و اللجاج، إلى ما هو أبعد من ذلك، قال تعالى:

وَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ: لَوْ لا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينا آيَةٌ، كَذلِكَ قالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ، تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ «۳» الآية.

فإن سياق الآيات ظاهر فى أن اليهود هم الذين قالوا ذلك.

۳- و لما فشلوا فى محاولاتهم محاربة الإسلام على صعيد الفكر، اتجهوا نحو أسلوب الضغط الإقتصادى على المسلمين؛ فيذكرون: أن

---

(۱) آل عمران: ۷۲، و ليراجع كتاب: اليهود فى القرآن ص ۳۱، فإنه أشار أيضا إلى هذا الأمر.

(۲) النساء: ۱۵۳.

(۳) البقرة: ۱۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۲

رجالا من أهل الجاهلية باعوا يهودا بضاعة، ثم أسلموا و طلبوا من اليهود دفع الثمن فقالوا: ليس علينا أمانة، و لا قضاء عندنا؛ لأنكم تركتم دينكم الذى كنت عليه، و ادّعوا: أنهم وجدوا ذلك فى كتابهم.

فجاء فى الآية المباركة الرد عليهم: وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ، وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ، إِلَّا ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً، ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا: لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ، وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ «۱».

و أيضا فقد رفض رؤساء اليهود أن يقرضوا المسلمين مالا فى أول عهدهم فى المدينة، و قد كانوا فى ضنك شديد، فالمهاجرون فقراء لا مال لهم، و الذين دخلوا فى الإسلام من أهل المدينة لم يكونوا على سعة من الرزق.

و قد أجابوا رسول اللّه حينما طلب منهم القرض بقولهم: أحتاج ربكم أن نمدّه؟ فنزل قوله تعالى: لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا: إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِياءُ، سَنَكْتُبُ ما قالُوا «۲».

۴- ممالأة أعداء الإسلام و مساعدتهم بكل ما أمكنهم، و لو بالتجسس، و بغير ذلك من وسائل.

۵- محاربة الإسلام أيضا: عن طريق إثارة الفتن بين المسلمين، و لا سيما بين الأوس و الخزرج، و بين المسلمين و المشركين.

و نذكر هنا على سبيل المثال قضية شاس بن قيس، الذى حاول تذكير الأوس و الخزرج بأيام الجاهلية، و إثارة الإحن القديمة فى نفوسهم؛ فتثاور الفريقان، حتى تواعدوا أن يجتمعوا فى الظاهرة لتصفية الحسابات،

---

(۱) آل عمران: ۷۵.

(۲) آل عمران: ۱۸۱ راجع فى ذلك: اليهود فى القرآن ص ۲۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۳

و تنادوا بالسلاح، و خرجوا، و كادت الحرب أن تقع بينهما؛ فبلغ الخبر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»؛ فخرج إليهم بمن كان معه من أصحابه المهاجرين؛ فوعظهم؛ فأدركوا أنها نزغة من الشيطان، و كيد من عدوهم، فندموا على ما كان منهم، و تعانق الفريقان و تصافيا، و انصرفوا مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم».

و يقول البعض: إن الآيات الشريفة التالية قد نزلت فى هذه المناسبة: قُلْ: يا أَهْلَ الْكِتابِ، لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً، وَ أَنْتُمْ شُهَداءُ، وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ. يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِينَ. وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ، وَ أَنْتُمْ تُتْلى عَلَيْكُمْ آياتُ اللَّهِ، وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ، وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ، فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ «۱».

۶- تآمرهم على حياة النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» و تحريضهم الناس عليه كما سنرى، إن شاء اللّه تعالى.

۷- محاولات إثارة البلبلة، و تشويش الأوضاع، بإشاعة الأكاذيب، و تخويف ضعاف النفوس من المسلمين.

۸- تآمرهم مع المنافقين على الإسلام، و مكرهم معهم بالمسلمين، ثم علاقاتهم المشبوهة مع قريش، و ممالأتهم إياها على حرب الرسول الأكرم (ص).

۹- تآمرهم و مكرهم و تدبيرهم لمنع المسلمين من الخروج للحرب، و كانوا يجتمعون فى بيت سويلم اليهودى، لأجل تثبيط الناس عن الرسول (ص) فى غزوة تبوك، فعرف رسول اللّه (ص) بهم فأحرق البيت عليهم «۲».

---

(۱) آل عمران: ۹۹- ۱۰۱.

(۲) السيرة النبوية لإبن هشام ج ۴ ص ۱۶۰، و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۳۰۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۴

و قد رجع عبد اللّه بن أبى، حليف يهود بنى قينقاع فى ثلاثمائة رجل من أصحابه، و ذلك فى حرب أحد، كما سنرى إن شاء اللّه تعالى.

موقف النبى (ص) من اليهود:

و لكن جميع محاولات اليهود للكيد للإسلام و المسلمين، باءت بالفشل الذريع، بسبب وعى القيادة الإسلامية العليا.

و لقد صبر الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» على مخالفاتهم الكبيرة تلك، تفاديا لحرب أهلية قاسية فى مقره الجديد .. حتى طفح الكيل، و بلغ السيل الزبى، و عرف المسلمون: أن اليهود كانوا- بزعمهم- يستغلون ظروف المسلمين و مشاكلهم، و يصعّدون من تحدياتهم لهم. و أصبحوا فى الحقيقة هم الخطر الداهم و الحقيقى الذى يتهدد وجود الإسلام من الأساس.

لا سيما و أن هذا العدو الماكر و الحاقد يعيش فى قلب المجتمع الإسلامى، و يعرف كل مواقع الضعف و القوة فيه، و يتربص به

الدوائر، و يترصد الفرصة المؤاتية.

فكان لا بد من صياغة التعامل مع هذا العدو على أساس الحزم و العدل، بدلا من العفو و التسامح و الرفق، فليس من الصالح أن يترك اليهود يعيثون فى الأرض فسادا، و ينقضون كل العهود و المواثيق، و يسددون ضرباتهم للمسلمين كيف و أنى شاءوا، بل لا بد من الرد الحاسم و الحازم و العادل على كل اعتداء، و مواجهة كل مكيدة، قبل أن يكون الندم حيث لا ينفع الندم.

العمليات العسكرية فى مرحلتين:

و بعد أن اتضح نقض اليهود لكل العهود و المواثيق، حاول الإسلام

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۵

أن يتعامل معهم على مرحلتين:

الأولى: أن يتبع معهم أسلوب الإنذار الحازم و العادل، فكانت عمليات القتل المنظمة لبعض الأفراد، بمثابة جزاء عادل لناقضى العهود، الذين يشكلون خطرا جديا على صعيد استقرار المنطقة.

كما و كانت بمثابة إطلاق صفارة الإنذار لكل من ينقض عهدا، و يتآمر على مصلحة الإسلام العليا، مع إعطائهم الفرصة للتفكير، و إفهامهم أن الإسلام يمكن أن يتحمل، و لكنه ليس على استعداد لأن يقبل بوضع كهذا إلى النهاية، لا سيما إذا كان ذلك على حساب وجوده و بقائه.

الثانية: الحرب الشاملة و المصيرية، حيث لا يمكن حسم مادة الفساد بغير الحرب. و نحن نتكلم عن هاتين المرحلتين، كلا على حدة فى الصفحات التالية.

الاغتيالات المنظمة:

۱- قتل أبى عفك:

كان الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» قد عاهد اليهود على الموادعة، و عدم تعرّض أى من الفريقين للآخر.

و لكن سرايا المسلمين فى المنطقة، و ما تبع ذلك من إجراءات على صعيد بناء المجتمع الجديد و تقويته، قد زاد من قوة المسلمين، و رفع من معنوياتهم، و جعل منهم قوة لها خطرها؛ مع أنه لم يمض بعد عامان على قدومهم كلاجئين، يبحثون عن مأوى و ملجأ و ملاذ.

إذن، فلا بد- برأى اليهود- من تطويق هذا الخطر، و الحد من هذا النفوذ قبل فوات الأوان؛ حتى يتسنى لليهود الإستمرار فى الإحتفاظ بالتفوق السياسى و الإقتصادى فى المنطقة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۶

و قد بدأت محاولات اليهود فى هذا السبيل من أوائل الهجرة، و قبل حرب بدر، ثم كانت حرب بدر و نتائجها المذهلة، فزاد ذلك من مخاوف اليهود، و المشركين، و المنافقين على حد سواء، فصعّدوا من نشاطاتهم، و تحدياتهم بشكل ملحوظ كما سنرى.

و قد بدأ اليهود قبل بدر بالتحريض على الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمين، و التعرض لهم بمختلف أنواع الأذى، فكان (أبو عفك) اليهودى يحرض على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»، و يقول فيه الشعر؛ فنذر سالم بن عمير أن يقتله، أو يموت دونه؛ فذهب إليه فقتله «۱».

و يبدو أن قتله كان قبل حرب بدر، كما سيظهر من العبارات التالية:

۲- قتل العصماء بنت مروان:

فلما قتل أبو عفك، تأففت العصماء بنت مروان (و هى من بنى أمية بن زيد، و زوجة يزيد الخطمى) من قتله، فصارت تعيب الإسلام و أهله، و تؤنب الأنصار على اتباعهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و تقول الشعر فى هجوه (ص)، و تحرّض عليه، و استمرت على ذلك إلى ما بعد بدر.

فجاءها عمير بن عوف ليلا لخمس بقين من شهر رمضان المبارك، فوجدها نائمة بين ولدها، و هى ترضع ولدها- و عمير ضعيف البصر- فجسّها بيده؛ فوجد الصبى على ثديها يرضع، فنحاه عنها، ثم وضع سيفه فى صدرها حتى أخرجه من ظهرها، ثم ذهب إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»، فقال له (ص): أقتلت ابنة مروان؟

---

(۱) راجع: تأريخ الخميس ج ۱ ص ۴۰۸، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۱۷۴ و ۱۷۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۷

قال: نعم.

قال (ص): لا ينتطح فيها عنزان. أى لا يعارض فيها معارض «۱».

هكذا زعم المؤرخون: و ان كنا نشك فى صحة ذلك، إذ لا يعقل ان ينحى ولدها عنها و لا تلتفت إليه، و تبقى ساكنة ساكته، حتى يضع سيفه فى صدرها.

هذا، قد جاء فى شواهد النبوة: أن عمير بن عدى الخطمى سمع أبياتها التى قالتها حين كان النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» فى بدر، و التى قالتها فى ذم الإسلام و المسلمين، و كان ضريرا؛ فنذر: لئن ردّ اللّه رسوله سالما من بدر ليقتلنّها. ففى ليلة قدومه (ص) ذهب إليها عمير فقتلها؛ فلما رآه النبى (ص) قال له: أقتلت ابنة مروان؟ قال: نعم.

فأقبل «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» على الناس، و قال: «من أحب أن ينظر إلى رجل كان فى نصرة اللّه و رسوله؛ فلينظر إلى عمير بن عدى».

فقال عمر: إلى هذا الأعمى؟ بات فى طاعة اللّه و رسوله!!.

فقال النبى (ص): مه يا عمر، فإنه بصير، أو كما قال «۲».

و رجع عمير إلى قومه من بنى خطمة؛ فقال لهم: يا بنى خطمة، أنا قتلت إبنة مروان، فكيدونى جميعا، و لا تنظرون.

فذلك أول ما عزّ الإسلام فى دار بنى خطمة، و كان من أسلم منهم يستخفى بإسلامه، و يومئذ أسلم رجال منهم بما رأوا من عزّ الإسلام «۳».

---

(۱) راجع ما تقدم فى: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۰۶ و ۴۰۷، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۱۷۲ و ۱۷۳.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۰۷ و ۴۰۶ عن شواهد النبوة، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۱۷۲ و ۱۷۳.

(۳) راجع ما تقدم فى المغازى للواقدى ج ۱ ص ۱۷۳ و ۱۷۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۸

و لعل ما فى شواهد النبوة من أن عميرا كان أعمى، و قد جاء هذا على لسان عمر أيضا، قد جاء على سبيل المبالغة؛ لأنه كان ضعيف البصر بالفعل. فإن من الصعب على الضرير أن يقوم بعملية كهذه، و هى نائمة ليلا بين ولدها.

إلا أن يقال: إنه إذا عرف مكانها الذى تنام فيه، فإن بإمكانه تمييز الطفل عن غيره بواسطة تلمّس أبدانهم، كما هو صريح الرواية.

و لكنها- كما قلنا- تبقى عملية صعبة على الرجل الضرير. و لذلك فنحن نرجح طريقة المبالغة كما قلنا.

۳- قتل كعب بن الأشرف:

قال الواقدى: إن قتل كعب بن الأشرف كان فى ربيع الأول فى سنة ثلاث.

و خلاصة ما جرى: أن اليهود كانوا يتوقعون: أن يستأصل المشركون شأفة المسلمين و الإسلام، و كان لانتصار المسلمين فى بدر وقع الصاعقة عليهم، و ثارت ثائرتهم، و طاشت عقولهم.

قال ابن إسحاق: لما أصيب المشركون فى بدر؛ فبلغ ذلك كعب بن الأشرف، و كبر عليه قتل من قتل فى بدر، و بكاهم، و هجا النبى (ص) و أصحابه فى شعره، و كان يشبب بنساء المسلمين (و أضاف البعض «۱»:

نساء النبى (ص) أيضا) حتى آذاهم «۲».

---

(۱) هو ابن سلام الجمحى فى طبقات الشعراء ص ۷۱.

(۲) راجع فيما تقدم: سيرة ابن إسحاق ص ۳۱۷، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۶، و المغازى ج ۱ ص ۱۸۵، و دلائل النبوة للبيهقى ط دار الكتب العلمية ج ۳ ص ۱۸۸ و ۱۹۰، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۱۳، و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۷۸، و البحار ج ۲۰ ص ۱۰، و طبقات الشعراء لإبن سلام ص ۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۹

فسار إلى مكة، و حرض على رسول اللّه (ص)، و لم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على حرب رسول اللّه.

و سأله أبو سفيان: أديننا أحب إلى اللّه أم دين محمد و أصحابه؟، و أيّنا أهدى فى رأيك، و أقرب إلى الحق: إنا لنطعم الجزور الكوماء، و نسقى اللبن على الماء، و نطعم ما هبت الشمال.

فقال له: أنتم أهدى منهم سبيلا «۱».

فلما عاد إلى المدينة، قال رسول اللّه (ص): من لى بابن الأشرف؟

فانتدب له محمد بن مسلمة، و قال: يا رسول اللّه، لا بد لنا أن نقول. قال:

قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حل من ذلك.

فذهب إليه هو و أبو نائلة، أخو كعب من الرضاعة، و آخرون.

فاجتمع به أبو نائلة، و أظهر له تبرّمه من الوضع المعيشى الذى نجم عن قدوم النبى (ص) إليهم، و طلب منه: أن يبيعه طعاما فى مقابل رهن، فطلب ابن الأشرف أن يرهنوه نساءهم، فرفض أبو نائلة، ثم طلب أبناءهم، فرفض أيضا، و عرض عليه رهن السلاح، حتى لا ينكر كعب السلاح إذا جاء مع أصحابه؛ فقبل كعب.

و رجع المفاوض إلى جماعته، فجاء بهم، و معهم السلاح، و شيعهم (ص) إلى بقيع الغرقد، و دعا لهم؛ فلما انتهوا إلى الحصن صاحوا به، فقالت له زوجته- و كان حديث عهد بعرس- أسمع صوتا يقطر منه الدم.

فقال لها كعب: إن أبا نائلة لو رآه نائما ما أيقظه. و نزل إليهم، فأخذ أبو نائلة رأسه فشمه، و تعجب من طيبه، و كرّر ذلك حتى اطمأن كعب. ثم أخذ بفوديه، و قال: اضربوا عدوّ اللّه، فخبطوه بأسيافهم، و قتلوه، و جرح

---

(۱) راجع: البدايـة و النهاية ج ۴ ص ۶، و السيرة النبوية لإبن كثير ج ۳ ص ۱۱، و دلائل النبوة للبيهقى ط دار الكتب العلميـة ج ۳ ص ۱۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۴۰

منهم بأسيافهم الحارث بن أوس بن معاذ، فتفل (ص) على جرحه.

فأصبحوا و قد خافت يهود مما جرى لكعب «فليس بها يهودى إلا و هو خائف على نفسه «۱»»، و ذهبوا إلى رسول اللّه (ص)؛ فقالوا: قتل صاحبنا غيلة. فذكرهم النبى (ص) ما كان يهجوه فى أشعاره و يؤذيه.

قال: ثم دعاهم النبى (ص) إلى أن يكتب بينه و بينهم صلحا، قال:

أحسبه قال: فذلك الكتاب مع على «۲».

و قال كعب بن مالك بهذه المناسبة أبياتا منها:

فغودر منهم كعب صريعافذلت بعد مصرعه النضير «۳» قال العلامة الحسنى: «و مع ذلك فلم يتراجعوا عن الدس و التحريض على المسلمين و التصدى لهم، و النيل من النبى (ص)، و طلب منهم النبى أن يكفوا عمّا هم عليه، و أن يلتزموا بالعهد الذى أعطوه على أنفسهم، حين دخوله المدينة، فلم يزدهم ذلك إلا عتوا و تماديا فى إيذاء المسلمين، و نشر الفساد، و النبى (ص) من جانبه يوصى المسلمين بالهدوء و ضبط الأعصاب» «۴».

---

(۱) راجع جميع ما تقدم فى المصادر التالية: سيرة ابن إسحاق ص ۳۱۷- ۳۱۹، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۵- ۸، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۱۸۸- ۱۹۱، و دلائل النبوة للبيهقى (ط دار الكتب العلمية) ج ۳ ص ۱۹۲- ۲۰۰، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۱۳- ۴۱۴، و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۷۹ و ۱۸۰، و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۴۳ و ۱۴۴.

(۲) المصنف لعبد الرزاق ج ۵ ص ۲۰۴، و طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۲۳، و دلائل النبوة للبيهقى ط دار الكتب العلمية ج ۳ ص ۱۹۸، و راجع: المغازى للواقدى ج ۱ ص ۱۹۲، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۱۴.

(۳) راجع: البداية و النهاية ج ۴ ص ۸.

(۴) سيرة المصطفى ص ۳۷۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۴۱

و لا بد أن يكون ذلك- لو صح- باستثناء ناقضى العهد من الشخصيات الخطرة، التى كانت تحرض على الإسلام و المسلمين، و تشكل خطرا جديا عليهم، كما يظهر مما يأتى:

ملاحظة: قد تقدم أن الكتاب الذى كتبه النبى (ص) بينه و بين اليهود قد كان مع على «عليه السلام».

و نحن نستثير القارىء ليطرح سؤاله حول السر فى أن يكون ذلك الكتاب عند على «عليه السلام» دون غيره، فهل ذلك يشير إلى خصوصية لعلى (ع) بالنسبة إلى النبى (ص) فى المجال السياسى، أو حتى فيما يرتبط بالإمامة من بعده (ص)؟!

۴- قتل ابن سنينة:

و يذكر المؤرخون: أن رسول اللّه (ص) قال: من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه، فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنينة اليهودى، فقتله، فقال له أخوه حويصة- و لم يكن قد أسلم بعد-: يا عدو اللّه قتلته؟! أما و اللّه لرب شحم فى بطنك من ماله.

فقال محيصة: لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لقتلتك.

قال فواللّه، إن كان لأول إسلام حويصة. فاستحلفه على ذلك؛ فحلف له فقال: إن دينا بلغ بك ما أرى لعجب! ثم أسلم «۱».

۵- قتل أبى رافع:

اشارة

---

(۱) راجع: البداية و النهاية ج ۴ ص ۸، و سيرة ابن إسحاق ص ۳۱۹ و ۳۲۰، و دلائل النبوة للبيهقى ط دار الكتب العلمية ج ۳ ص ۲۰۰، و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۸۰ و ۱۸۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۴۲

و فى جمادى الآخرة من السنة الثالثة «۱»، و قيل: سنة أربع «۲». و عند البعض: بعد أحد من دون تعيين. كان قتل أبى رافع ابن الحقيق بخيبر، الذى كان يظاهر ابن الأشرف فى معاداته للنبى (ص)، و يؤذى النبى (ص)، و يبغى عليه.

و ذلك أنه: بعد قتل الأوس لابن الأشرف قالت الخزرج: و اللّه لا يذهبون بها علينا عند رسول اللّه (ص)؛ فوقع اختيارهم على ابن الحقيق هذا، المعروف ببغيه و أذاه، و المظاهر لإبن الأشرف؛ فاستأذنوا رسول اللّه (ص) فى قتله فأذن لهم.

فخرج إليه خمسة نفر أو ثمانية، عليهم عبد اللّه بن عتيك، فأتوا داره ليلا، فأغلقوا أبوابه على أهله، و كان هو فى علّيّة، فاستأذنوا عليه؛ بحجة: أنهم جاؤا يطلبون الميرة، فدخلوا عليه، و أغلقوا باب العلّية، فوجدوه على فراشه؛ فابتدروه، فصاحت المرأة؛ فأرادوا قتلها، ثم ذكروا نهى النبى (ص) عن قتل النساء و الصبيان، فقتلوه، و خرجوا.

و لكنهم لم يطمئنوا إلى أنه قد مات؛ فأرسلوا أحدهم، فدخل بين الناس، و عرف الخبر منهم، و رجع إليهم فأخبرهم بهلاكه.

ثم رجعوا إلى النبى (ص)، و اختلفوا فيمن قتله، فأخذ النبى (ص) أسيافهم، فرأى على سيف ابن أنيس أثر الطعام؛ فقال: هذا قتله «۳».

و أضاف ابن الأثير فى روايته المفصلة: أن ابن عتيك وصل إلى

---

(۱) تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۸۲، و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۴۶.

(۲) تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۸۳، و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۴۸.

(۳) راجع: السيرة النبوية لإبن هشام ج ۳ ص ۲۸۷ و ۲۸۸، و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۴۶/ ۱۴۷، و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۸۴ و ۱۸۵، و البحار ج ۲۰ ص ۱۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۴۳

غرفة أبى رافع المظلمة، فناداه، فأجابه، فضرب جهة الصوت، فصاح؛ فهرب ابن عتيك، ثم عاد إليه، فقال: ما هذا الصوت؛ فأجابه: أن رجلا فى البيت، فضرب نحو الصوت، فأثخنه، ثم وضع السيف فى بطنه، حتى خرج من ظهره، و نزل من درج فوقع، فانكسرت ساقه؛ فعصبها بعمامة؛ ثم جلس عند الباب، ليعرف إن كان قد قتل حقا، فسمع أول الفجر نعيه، فانطلق إلى أصحابه، ثم جاء إلى النبى (ص)، فمسح (ص) رجله، فكأنه لم يشتكها قط «۱».

و قبل المضى فى الحديث لا بد من تسجيل النقاط التالية:

ألف: الإسلام قيد الفتك:

اشارة

إنه ربما يتخيل: أن الإغتيالات المنظمة التى تحدثنا عنها لا تناسب ما ورد من أن الإسلام قيد الفتك، فلا يفتك مؤمن، حتى ليقال: إن هذا كان هو المانع لمسلم بن عقيل من قتل عبيد اللّه بن زياد فى بيت هانى بن عروة «۲».

---

(۱) راجع: صحيح البخارى ج ۳ ص ۱۲، و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۷۷، و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۹۱ ط صادر، و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۹۷ و ۱۹۸، و البحار ج ۲۰ ص ۳۰۲ و ۳۰۳، و بهجة المحافل ج ۱ ص ۱۹۳، و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۲۲ و ۱۲۳، و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۸۳، و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۴۷ و ۱۴۸.

(۲) الجامع الصغير ج ۱ ص ۱۲۴ عن البخارى فى التاريخ، و أبى داود و مستدرك الحاكم و مسند أحمد و مسلم و كنوز الحقائق بهامش الجامع الصغير ج ۱ ص ۹۶، و مستدرك الحاكم ج ۴ ص ۳۵۲، و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۶۶ و ۱۶۷، و منتخب كنز العمال بهامش المسند ج ۱ ص ۵۷، و مقتل الحسين للخوارزمى ج ۱ ص ۲۰۲ فصل ۱۰، و مناقب ابن شهر آشوب ج ۲ ص ۳۱۸، و مقتل الحسين للمقرم ص ۱۷۱، و الكامل لإبن الأثير ج ۴ ص ۲۷، و تاريخ الطبرى ج ۴ ص ۲۷۱،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۴۴

و لكن الحقيقة هى: أنه لا منافاة بين ما ذكر؛ فإن المقصود بالفتك هو القتل غدرا لمن يكون منك فى أمن من ناحيتك. و الغدر أعم من الفتك.

و ثمة رواية تفيد: أن الفتك لا يجوز إلا بإذن الإمام، و قد حكم على من فتك بشاتمى أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يذبح كبشا. و لو أنه قتلهم بإذن الإمام لم يكن عليه شىء «۱». و ذلك لأن الفتك لو شاع لا نعدم الأمن، و سلبت الراحة من كل أحد.

و قد كان عبيد اللّه بن زياد فى بيت هانى بن عروة يرى نفسه فى أمن من ناحيتهم، و لم يكن ثمة إعلان حرب فيما بينه و بينهم، إنما كان ثمة إرهاصات بالحرب فيما بينه و بين الحسين «عليه السلام»، و لم يكن ذلك قد اتضح بصورة تامة فى ذلك الحين.

و ليس الأمر بالنسبة لليهود كذلك، لأنهم كانوا قد عاهدوا النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»: أن لا يحاربوه و لا يظاهروا عليه عدوه. و هؤلاء هم الذين آذوا المسلمين، و هجوهم، و حرضوا المشركين عليهم، و ناحوا على قتلى بدر، بل ذهب ابن الأشرف إلى مكة للتحريض عليهم، و شبب بالنساء المسلمات، و حتى بنساء رسول اللّه (ص) إلى آخر ما تقدم.

إذن فقد صار هؤلاء من أظهر مصاديق «المحاربين»، و ناقضى العهود، و لا بأس بالإحتيال على المحارب لقتله؛ فإن «الحرب خدعة» «۲».

- و البحار ج ۴۴ ص ۳۴۴، و عن وقايع الأيام عن الشهاب فى الحكم و الآداب و لا بأس بمراجعة مشكل الآثار ج ۱ ص ۷۸.

(۱) التهذيب للشيخ الطوسى ج ۱۰ ص ۲۱۳/ ۲۱۴، و الكافى ج ۷ ص ۳۷۶.

(۲) المنتقى ج ۲ ص ۷۶۵، و التهذيب للشيخ الطوسى ج ۶ ص ۱۶۲ و ۲۱۶۳،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۴۵

و قد كان «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» إذا أراد غزوة ورّى بغيرها «۱»، كما أنه (ص) قد أجاز لهم أن يقولوا ما شاءوا، حينما ذهبوا إلى قتل ابن الأشرف، و ذلك لأن شر هذا المحارب و فساده فى الأرض، و وقوفه فى وجه كلمة اللّه، و إقامة العدل و الحق، أعظم من أى قول يقولونه، و أى أسلوب يتبعونه.

و أخيرا، فهل يشك أحد فى أن من يكون فى ساحة الحرب، فإن لعدوه أن يختله من خلفه، و يتخلص منه؟!. و من كان محاربا، فليس له أن يأمن عدوه، و ينام قرير العين، فارغ البال!

و يدل على ما قلناه: أن نفس امرأة كعب بن الأشرف قد حذرته، و قالت له: «إنك امرؤ محارب، إن صاحب الحرب لا ينزل فى مثل

هذه الساعة»!!

- و المعجم الصغير ج ۱ ص ۳۰ و ۱۷، و الوسائل ج ۱۱ ص ۱۰۲ و ۱۰۳، و الكافى ج ۷ ص ۴۶۰، و البحار (ط بيروت) ج ۹۷ ص ۲۷ و ج ۲۰ ص ۲۰۷، و صحيح البخارى ج ۴ ص ۱۲۶ و ج ۲ ص ۱۱۲، و مسند أحمد ج ۱ ص ۸۱ و ۹۰ و ۱۱۳ و ۱۳۱ و ۱۳۴ و ۱۲۶ و ج ۲ ص ۲۱۴ و ۳۱۲ و ج ۳ ص ۲۲۴ و ۲۹۷ و ۳۰۸ و ج ۶ ص ۳۸۷، و مستدرک الوسائل ج ۱۱ ص ۱۰۳ ط مؤسسة آل البيت، و تفسير القمى ج ۲ ص ۶۰، و من لا يحضره الفقيه ج ۴ ص ۳۷۸ منشورات جماعة المدرسين، و سنن ابن ماجة ج ۲ ص ۹۴۵ و ۹۴۶ و ص ۹۵۰، و صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۴۳، و سنن أبى داود ج ۳ ص ۴۳ و أحكام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۴۰۰، و الجامع الصحيح للترمذى ج ۴ ص ۱۹۳ و ۱۹۴، و سنن سعيد بن منصور، القسم الثانى من المجلد الثالث ص ۳۱۷، و مسند أبى يعلى ج ۱۳ ص ۴۸۲ و ج ۴ ص ۹۱ و ۳۸۴ و ج ۳ ص ۳۵۹ و ۴۶۴ و ج ۱ ص ۳۸۲ و ۴۲۳ و ج ۱۲ ص ۱۳۰ و ج ۸ ص ۴۴، و مواضع أخرى أشار إليها فى الهامش و إلى مصادر كثيرة أيضا.

(۱) راجع سنن الدارمى ج ۲ ص ۲۱۹، و معانى الأخبار للصدوق ص ۳۶۵ و ۳۶۶،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۴۶

و مما يدل على ذلك أيضا: أنهم قد احتاجوا إلى تجديد العهد الذى نقضوه، و كتابة عهد آخر كان عند على أمير المؤمنين، وصى النبى و وارثه، صلوات اللّه و سلامه عليه «۱».

جريمة معاوية:

و بعد ما تقدم، فإننا نجد معاوية يحاول- كعادته- أن ينتقص رسول اللّه (ص)، و يظهر ابن الأشرف على أنه قد قتل مظلوما؛ فعن عباية، قال: ذكر قتل كعب بن الأشرف عند معاوية، فقال: كان قتل غدرا. فقال محمد بن مسلمة: يا معاوية أيغدر عندك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»؟ لا يظلنى و إياك سقف بيت أبدا «۲».

و حسبنا هنا أن نقول عن معاوية، و مواقفه، و مخزياته: و كل إناء بالذى فيه ينضح.

- و البحار (ط بيروت) ج ۷۲ ص ۳۹۶ و ج ۲۱ ص ۲۴۰ و ۲۴۱، و التفسير المنسوب للعسكرى (ع) ص ۲۳۲، و صحيح البخارى ج ۲ ص ۱۰۵، و السنن الكبرى ج ۹ ص ۱۵۰، و نيل الأوطار ج ۸ ص ۵۶، و المغازى للواقدى ج ۳ ص ۹۹۰، و صحيح مسلم ج ۸ ص ۱۰۶، و سنن أبى داود ج ۳ ص ۴۳، و الطبقات الكبرى لإبن سعد ج ۲ ص ۱۶۷ ط صادر، و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۵۴۲، و مسند أحمد ج ۳ ص ۴۵۶ و ۴۵۷ و ج ۶ ص ۳۸۷، و السيرة النبوية لإبن هشام ج ۴ ص ۱۵۹، و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۱۲۳، و تهذيب تاريخ دمشق ج ۱ ص ۱۱۰.

(۱) المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۲۰۴، و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۲۳، و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۱۹۸ ط دار الكتب العلمية، و راجع: المغازى للواقدى ج ۱ ص ۱۹۲، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۱۴.

(۲) مشكل الآثار ج ۱ ص ۷۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۴۷

ب: رعب اليهود:

إن عمليات قتل هؤلاء الأفراد، التى نظمت، و نفذت ببراعة فائقة، و ذكاء و عبقرية، قد أرعبت اليهود، و أخافتهم، و لا سيما بعد قتل

ابن الأشرف الغادر، حتى إنه «ليس بها يهودى إلا و هو خائف على نفسه».

و حتى قال كعب بن مالك:

فغودر منهم كعب صريعافذلت بعد مصرعه النضير و قد كان يهود بنى النضير أعزّ من بنى قريظة، و غيرهم، ممن كان لا يزال فى تلك المنطقة. و كان لهذه الضربة فيهم أثر هام فى رعب سائر اليهود آنئذ.

و أصبح القضاء على من يغدر من اليهود أسهل و أيسر، فالمسلمون يملكون الجرأة الكافية، و اليهود أصبحوا خائفين على أنفسهم، و القضاء على الخائف المرعوب أسهل و أيسر من القضاء على غيره، و كان ذلك واحدا من مصاديق قوله «صلى اللّه عليه و آله»: «نصرت بالرعب». و ذلك أمر طبيعى بالنسبة لمن لا يؤمن بالمعاد، و يعتقد أن جنته هى هذه الدنيا، و أنه إذا فقد حياته، فقد فقد كل شىء، حسبما ألمحنا إليه من قبل.

ج: مع موقف عمير فى أصالته و نبله:

۱- يلاحظ: أن عمير بن وهب ينحّى ولد العصماء عن صدرها، ثم يقتلها.

و هذا يؤكد: على أن الإسلام قد ربى أتباعه على أنه ليس ضد الإنسان، و إنما هو ضد مواقفه و تصرفاته المنحرفة عن الحق، و العدل، و الفطرة. فهو يريد فقط: أن يقضى على مصدر الخطر على الحق و الفطرة. و حينما لا يبقى ثمة سبيل إلا القضاء على مصدر الفتنة؛ و حيث يكون آخر الدواء الكى؛ فإنه لا بد أن يكتفى بالحد الأدنى، الذى يتحقق

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۴۸

فيه الهدف الأقصى، و هو إقامة الدين و الحق.

۲- ثم إننا لنكبر هذا التعقل النادر لعمير فى موقف حرج و خطير كهذا، حتى إنه ليملك فى هذه اللحظات الحساسة جدا أن يتخذ القرار الحاسم و المبدئى، و كما يريده الإسلام، بعيدا عن كل اضطراب و انفعال، لا سيما و هو ضرير، كما قيل، أو ضعيف البصر. نعم، إنه يتصرف بهدوء و اطمئنان، و وعى، حتى فى أحرج اللحظات، و أكثرها إثارة للأعصاب، و تشويشا للحواس. و مثل ذلك يقال بالنسبة لا متناعهم عن قتل المرأة التى كادت تفضحهم بصياحها فى قضية أبى رافع، حين تذكروا نهى النبى (ص) عن قتل النساء و الصبيان.

و هذه هى الشخصية الإسلامية التى يريدها الإسلام، و استطاع أن يصدّر للعالم الكثير من النماذج الحية لها، من أمثال سلمان، و عمار، و أبى ذر، و المقداد، و الأشتر، و فوق هؤلاء جميعا سيدهم، و إمامهم، و أميرهم، أمير المؤمنين على «عليه السلام»، و الأئمة من ولده صلوات اللّه و سلامه عليهم أجمعين.

و يكفى أن نذكر مثالا- و قدوة لكل الأحرار، و الذين يعيشون المبدأ بكل وجودهم: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» حينما أراد أن يقتل عمرو بن عبد ودّ، فشتمه عمرو، و تفل فى وجهه، قام عنه، حتى ذهب عنه غضبه، ثم عاد إليه فقتله، فعل ذلك ليكون قتله له خالصا للّه، لا يتدخل فيه عنصر حب الإنتقام لنفسه، و غضبه لها، و لو بشكل لا شعورى.

هذه من علاه إحدى المعالىو على هذه فقس ما سواها ۳- ثم هناك رواية شواهد النبوة، التى تضيف: أن بعض الصحابة قد نفس على عمير هذا الوسام النبوى الذى ناله عن جدارة و استحقاق، و لم يستطع أن يخفى ذلك فى نفسه، بل ظهر فى فلتات لسانه بتعبير فيه شىء من الجفاء الجارح، دعا الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۴۹

إلى محاولة حسم الموقف، ثم التلطيف و التخفيف من وقع تلك العبارة، ثم معاودة التأكيد على جدارة عمير، و استحقاقه للثناء، و عرفان حقه، بقوله (ص): «مه يا عمر، فإنه بصير».

۴- و هناك أيضا موقف آخر لعمير فى قومه، الذى أدى إلى أن يعزّ الإسلام فيهم، و يسلم منهم رجال.

فإن فى ثقة عمير بنفسه و بدينه، و صلابته فى التعبير عن هذه الثقة، حتى لقد صرح لهم: أنه لم يعد يخشى أحدا على الإطلاق- إن فى ذلك- ما يجعل كل من يتردّد فى قبول الإسلام، بسبب خوفه، و ضعف نفسه، يشعر بأن بإمكانه أن يجد فى الإسلام نصيرا و معينا و حاميا له، و لم يعد ثمة ما يبرر موقفه السلبى منه. و لأجل هذا نجد: أن عددا منهم يدخل فى الإسلام، حينما شعر بعزّة الإسلام و بقوته فى تلك القبيلة. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۶ ۴۹ د: ابن الأشرف، و أبو سفيان: ..... ص : ۴۹

د: ابن الأشرف، و أبو سفيان:

و فى قضية ابن الأشرف يواجهنا سؤال أبى سفيان لكعب عن الدين الحق، ثم محاولة أبى سفيان الإستدلال على أحقية دينه بما تقدم، من أنهم يطعمون الجزور الكوماء، و يسقون اللبن على الماء إلخ.

و نحن هنا نسجل ما يلى:

۱- إن ذلك يؤيد ما قدمناه، من أن العرب كانوا يرون فى اليهود مصدرا للمعرفة و الثقافة.

و قد استقر ذلك فى نفس عمر بن الخطاب، حتى إنه كان يأتى بترجمة التوراة إلى النبى (ص) حتى أظهر النبى (ص) انزعاجه من ذلك، حسبما قدمناه فى مدخل هذه الدراسة، حين الكلام حول المرسوم العام، حيث قال النبى (ص) لعمر بن الخطاب: أمتهوكون أنتم؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۵۰

هذا بالإضافة إلى أننا و إن كنا نكاد نطمئن إلى أن أبا سفيان لم يكن يجهل بأحقية دين الإسلام، و أنه من أجلى مصاديق قوله تعالى: وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ و إنما هو يحارب الإسلام من أجل الحفاظ على مصالحه الشخصية، و امتيازاته غير المشروعة و لا المعقولة، التى كرّسها له و لأمثاله العرف الجاهلى الظالم و المنحرف.

إلا أننا نعتقد: أن أبا سفيان كان يهدف من سؤاله هذا لابن الأشرف اليهودى إلى خداع البسطاء و السذج من قومه و أتباعه، من أجل ضمان استمرارهم معه فى حرب الإسلام و المسلمين، و جدّيتهم فى ذلك.

۲- إننا نلاحظ: أن كرم العرب هو أقصى ما استطاع أن يأتى به أبو سفيان كدليل على أحقية دينه. و قد تقدم فى أوائل هذا الكتاب ما يرتبط بقيمة ما عرف عن العرب من ميزات و خصائص فلا نعيد.

ه: تساؤل حائر:

إنهم يذكرون: أن النبى (ص) قد أعلن بشكل عام رغبته فى قتل ابن الأشرف، فقال: من لى بابن الأشرف، فانتدب له محمد بن مسلمة.

ثم يذكرون كيفية احتيالهم عليه، و قتلهم إياه.

و لكن السؤال هنا هو: كيف يعلن النبى (ص) ذلك، ثم لا يصل الخبر إلى مسامع ابن الأشرف عن طريق مشركى المدينة أو يهودها، أو على الأقل منافقيها؟!. و كيف جازت عليه حيلتهم بهذه السهولة، و هو يعلم: أنه محارب؟!.

و عن محمد بن مسلمة و دوره فى قتل ابن الأشرف، تساورنا شكوك و شكوك، فإن من يراجع كتب السيرة يلاحظ: أن ثمة كثيرا من التركيز على دوره فى هذه القضية، مع أن من يتأمل فى وقائعها لا يجد له كبير أثر فيها، بل الدور الأكبر هو لأبى نائلة. و ابن مسلمة لو كان معهم، فإنما كان كغيره

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۵۱

ممن حضر.

كما و يلاحظ: أن ثمة اهتماما فى إعطائه بعض الأدوار الهامة فى الدفاع عن الإسلام، و الدين. و نحن نشك فى ذلك، و لا نستبعد أن يكون للسياسة يد فى هذا الأمر، لإظهاره على أنه رجل شجاع، مناضل، مخلص إلخ. فى مقابل الآخرين ممن تهتم السلطة بإيجاد بدائل لهم و عنهم، فإن محمد بن مسلمة كان ممن امتنع عن بيعة أمير المؤمنين «عليه السلام» «۱».

و روى: أن عليا «عليه السلام» قال لعمار رحمه اللّه: «ذنبى إلى محمد بن مسلمة: أنى قتلت أخاه يوم خيبر، مرحب اليهود» «۲» (و لعله كان أخاله من الرضاعة).

و فى شرح المعتزلى: أنه كان من المهاجمين لبيت فاطمة «عليها السلام»، و أنه هو الذى كسر سيف الزبير «۳» و كان أيضا أحد ثقات الخليفة الثانى و معتمديه، كما نص عليه البلاذرى و غيره «۴».

كما أن عمر قد بعثه إلى الشام فى مهمة قتل سعد بن عبادة كما يقول البعض «۵».

و قد عينه عمر لاقتصاص أخبار العمال، و تحقيق الشكايات التى تصل إلى الخليفة من عماله «۶».

---

(۱) الإمامة و السياسة ج ۱ ص ۵۳، و قاموس الرجال ج ۸ ص ۳۸۸، و شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۹.

(۲) الإمامة و السياسة ج ۱ ص ۵۴، و قاموس الرجال ج ۸ ص ۳۸۸.

(۳) شرح النهج للمعتزلى ج ۶ ص ۴۸، و قاموس الرجال ج ۸ ص ۳۸۸.

(۴) الزهد و الرقائق لإبن المبارك ص ۱۷۹، و راجع: التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۲۶۷.

(۵) راجع فى كل ذلك: قاموس الرجال ج ۸ ص ۳۸۸.

(۶) التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۲۶۷ عن سيرة عمر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۵۲

و: التنافس القبلى:

و لقد رأينا: أن التنافس القبلى بين الأوس و الخزرج، حينما وظف فى خدمة الإسلام و المسلمين آتى ثمارا خيّرة. فكان قتل الخزرج لأبى رافع واحدة من تلك الثمار، و كان هو النتيجة البنّاءة الطبيعية لهذا التنافس، الذى سعى النبى (ص) إلى تغيير منطلقاته، و أهدافه، لتكون فى خدمة الدين و الحق و الخير للإنسان، الفرد و الجماعة على حد سواء.

ز: جهل و غرور ابن الأشرف:

إن غرور كعب بن الأشرف، و اعتداده الزائد بنفسه، حتى ليقول لزوجته عن أبى نائلة: إنه لو وجده نائما لما أيقظه، و الأهم من ذلك جهله بالتغيير الجذرى الذى يحدثه الإسلام فى نفس و فى شخصية الإنسان، هو الذى أوقعه فى الفخ الذى نصبه له أولئك المجاهدون البواسل، الذين نذروا أنفسهم لخدمة دينهم الحق.

و لو أنه كان قد أدرك ما كان حويصة قد أدركه فى أخيه محيصة، و عاش الواقع الحى الذى يواجهه، و حاول أن يتفاعل معه، و تخلّى عن عنجهيته و غروره، لما كان ينبغى أن يسبقه حويصة إلى التشرف بالإسلام.

ح: الإسلام، و الإنسان:

و قد سبق: أن حويصة حينما عرف أن هذا الدين قد بلغ بأخيه: أنه لو أمره الرسول بقتل أخيه لقتله، أدرك أحقية هذا الدين، و تشرف

بالدخول فيه.

و سبق كذلك: أن أحد الأخوة يبارز أخاه فى صفين، و يلقيه على الأرض، و يجلس على صدره ليذبحه، فلما رأى وجهه عرف أنه أخاه، و لكنه بقى مصرا على قتله، رغم تدخل الآخرين لمنعه، و لم يقبل أن يتركه إلا إذا أذن له أمير المؤمنين «عليه السلام»، فأذن له، فتركه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۵۳

حينئذ «۱».

و هذه الدرجة من اليقين، هى التى دعت عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبىّ إلى: أن يستأذن الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» فى قتل أبيه المنافق، إلى غير ذلك من الأمثلة التى لا مجال لا ستقصائها «۲».

كما أن هذا اليقين هو الذى أشار إليه عمار بن ياسر رضوان اللّه تعالى عليه، حينما قال عن الجيش الذى جاء لمحاربة أمير المؤمنين (ع):

«و اللّه لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سعفات هجر، لعرفت أنّا على حق و هم على باطل» «۳».

فعمار لم ير النصر العسكرى، و القوة العسكرية مقياسا للحق و الباطل، كما هو شأن ضعاف النفوس. بل هو يجعل النصر و الهزيمة رهن الحق و الباطل. فالمحق منتصر دائما، حتى حينما يكون منهزما عسكريا و سياسيا، و المبطل هو المنهزم، و إن كان منتصرا على الصعيد العسكرى و السياسى و غير ذلك فى ظاهر الأمر.

نعم، إن قضية حويصة و محيصة تمثل لنا الشخصية التى يريد الإسلام، و استطاع الرسول الأعظم (ص) و الأئمة من بعده: أن يصنعوا منها نماذج متفوقة، تعتبر حب اللّه متفوقا على كل حب، و رابطة العقيدة تسمو على كل رابطة «۴».

---

(۱) صفين للمنقرى ص ۲۷۱/ ۲۷۲.

(۲) تفسير الصافى ج ۵ ص ۱۸۰، و الدر المنثور ج ۶ ص ۲۲۴ عن عبد بن حميد و ابن المنذر، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۴.

(۳) صفين للمنقرى ص ۳۲۲، و تاريخ الأمم و الملوك ج ۴ ص ۲۷، و قاموس الرجال ج ۷ ص ۱۱۳.

(۴) راجع مقال: الحب فى التشريع الإسلامى فى كتابنا: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام أول الجزء الثانى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۵۴

و لكن لم تستطع سائر الأجهزة التى حكمت باسم الإسلام، و تحت شعار خلافة النبوة: أن تصنع و لو نموذجا واحدا من هذا القبيل، حتى و لو فى المستوى الأدنى، إلا- إذا كان ذلك عن طريق خداع بعض السذج ببعض الشعارات البراقة، و الأساليب الشيطانية، فينقادون لهم، و يؤخذون بسحرهم.

و هذا ليس هو محط كلامنا، فنحن نتكلم عن الإيمان العميق المدعوم بالعقيدة الراسخة، و المنطلق من الوعى و الفكر، و الرؤية الصحيحة. فإذا لوحظ وجود فرد يتجه فى هذا السبيل، فإنك ستجده- حتما- يرتبط بأهل بيت النبوة و معدن الرسالة بنحو من الإرتباط و الإتصال.

و بعد ما تقدم، فإننا لا بد أن نفسح المجال أمام الحديث عن المرحلة الثانية، و هى مرحلة الحرب العلنية، فإلى الصفحات التالية.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۵۵

الفصل السادس: حروب علنية بين المسلمين و اليهود

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۵۷

قريش تحرض اليهود على نقض العهد:

قال عبد الرزاق: «و كتب كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود:

«إنكم أهل الحلقة و الحصون، و إنكم لتقاتلن صاحبنا، أو لنفعلن كذا و كذا. و لا يحول بيننا و بين خدم نساءكم، و هو الخلاخل- [شيء]- فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير [على] الغدر إلخ ..».

ثم يذكر قضية غدر بنى النضير، و ما جرى بينهم و بين المسلمين «۱».

و نحن نستقرب أن يكون بنو قينقاع هم أول من استجاب لطلب قريش هذا، لا سيما و أن قريشا قد كتبت لهم بعد بدر، و كان نقض بنى قينقاع للعهد بعد بدر أيضا. أما قضية بنى النضير فقد كانت فى السنة الرابعة بعد أحد، كما يقولون. و سيأتى الكلام حول ذلك فى جزء آخر من هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

كما أن المؤرخين يقولون: إن بنى قينقاع لما كانت وقعة بدر، أظهروا البغى و الحسد، و نبذوا العهد الذى كان بينهم و بين النبى (ص):

أن لا يحاربوه، و لا يظاهروا عليه عدوه، نبذوه إلى رسول اللّه (ص)، و كانوا أول من غدر من اليهود «۲».

---

(۱) المصنف لعبد الرزاق ج ۵ ص ۳۵۹.

(۲) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۰۸، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۰۸، و السيرة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۵۸

تصعيد التحدى:

اشارة

قالوا: و كان بنو قينقاع أشجع و أشهر قوم من اليهود، و أكثر اليهود أموالا و أشدهم بغيا، و كانوا صاغة، و كانوا حلفاء لعبد اللّه بن أبى، و عبادة بن الصامت.

فبينما هم على مجاهرتهم و كفرهم، إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سوقهم «۱»؛ فجلست عند صائغ منهم، لأجل حلى لها؛ فأرادوها على كشف وجهها، فأبت. فعمد الصائغ، أو رجل آخر إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، و هى لا تشعر. فلما قامت إنكشفت سوأتها؛ فضحكوا منها؛ فصاحت، فوثب مسلم على من فعل ذلك، فقتله، و شدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستنصر أهل المسلم بالمسلمين، فغضب المسلمون.

و قال (ص): «ما على هذا قرّرناهم»؛ فتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم، و قال: يا رسول اللّه، أتولّى اللّه و رسوله، و أبرأ من حلف هؤلاء الكفار.

و تمسّك ابن أبىّ بالحلف، و أصر على الرسول (ص) بتركهم، و قال: إنه امرؤ يخشى الدوائر، فنزل فيه قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ إلى قوله تعالى:

فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ «۲».

- النبوية لدحلان (مطبوع بهامش السيرة الحلبية) ج ۲ ص ۲، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۱۷۶ و ۱۷۷.

(۱) راجع هذه القضية فى: الكامل لإبن الأثير ج ۲ ص ۱۳۷ و ۱۳۸، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳ و ۴، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۰۸.

(۲) راجع: الدر المنثور ج ۲ ص ۲۹۰/ ۲۹۱ عن: ابن إسحاق، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و أبى الشيخ، و ابن مردويه، و البيهقى فى الدلائل، و ابن عساكر، و ابن أبى شيبة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۵۹

فجمعهم النبى (ص) فى سوقهم، و قال لهم: «يا معشر يهود، احذروا من اللّه مثل ما نزل بقريش من النقمة، و أسلموا؛ فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل، تجدون ذلك فى كتابكم، و عهد اللّه إليكم».

قالوا: «يا محمد، إنك ترى أنّا قومك؟! و لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب، فأصبت لهم فرصة. إنا و اللّه، لو حاربناك، لتعلمنّ أنّا نحن الناس».

فأنزل اللّه تعالى: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ .. إلى قوله:

لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ «۱» و قوله: وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً؛ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ «۲». كذا يقول المؤرخون.

فتحصن بنو قينقاع فى حصونهم، فاستخلف (ص) على المدينة أبا لبابة، و سار إليهم، و لواؤه الأبيض (أو راية العقاب السوداء) يحمله أمير المؤمنين «عليه السلام».

(و قولهم: بيد حمزة ينافيه ما تقدم و سيأتى من الأدلة الكثيرة على أن عليا (ع) كان صاحب لواء رسول اللّه (ص) فى كل مشهد).

و حاصرهم النبى (ص) خمس عشرة ليلة، ابتداء من النصف من شوال السنة الثانية، أو فى صفر سنة ۳، (و هو بعيد بملاحظة: أنهم إنما غضبوا من انتصار المسلمين فى غزوة بدر).

و قذف اللّه فى قلوبهم الرعب، و كانوا أربعمائة حاسر، و ثلاثمائة دارع؛ فسألوا رسول اللّه (ص): أن يخلى سبيلهم، و يجليهم عن المدينة، و أن لهم نساءهم و الذرية، و له الأموال و السلاح. فقبل (ص) منهم، و فعل بهم ذلك، و أخذ أموالهم و أسلحتهم، و فرقها بين المسلمين، بعد أن

(۱) آل عمران: ۱۲.

(۲) الأنفال: ۵۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۶۰

أخرج منها الخمس، و أجلاهم عن المدينة إلى أذرعات (بلد بالشام).

فيقال: إنه لم يدر عليهم الحول حتى هلكوا.

و فى نص آخر: أنهم أنزلوا من حصونهم و كتفوا، و أراد (ص) قتلهم، فأصر ابن أبى، عليه (ص): أن يتركهم له بحجة أنه امرؤ يخشى الدوائر فلا يستطيع أن يتركهم، و هم أربعمائة حاسر، و ثلاثمائة دارع، قد منعوه من الأحمر و الأسود، على حد تعبيره؛ فاستجاب النبى (ص) إلى طلبه و إصراره، و أجلاهم. و نزل فى ابن أبى قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ، إلى قوله:

حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ «۱».

و قبل أن نمضى فى الحديث لا بد من تسجيل النقاط التالية:

ألف: نزول الآية فى ابن أبى:

اشارة

إن نزول قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ إلخ ... فى ابن أبى محل شك، و ذلك لما يلى:

۱- إن ابن أبى لم يكن مؤمنا، و الآية تخاطب الذين آمنوا.

هذا بالإضافة إلى ذكر النصارى فى الآية، و لم يكن للنصارى دور فى قضية بنى قينقاع.

إلا أن يقال: إن الخطاب للمؤمنين، و ذكر النصارى إنما هو لإعطاء قاعدة كلية، و تحذير المؤمنين من موقف يشبه موقف ابن أبى، فما فعله ابن أبى كان سبب نزول الآية فى تحذير المؤمنين من موقف كهذا.

۲- إن الظاهر بل المصرح به هو أن سورة المائدة قد نزلت جملة

---

(۱) المائدة: ۵۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۶۱

واحدة فى حجة الوداع سنة وفاته (ص) «۱»، و قضية بنى قينقاع إنما كانت قبل أحد. فهل تأخر نزول الآية عن مناسبتها ما يقرب من ثمان سنين؟!!.

حقيقة القضية:

و لعل السر فى دعوى نزول مجموع الآيات فى هذه المناسبة، هو الخداع و التضليل للسذج و البسطاء، و تشكيكهم فى قضية الغدير، التى كانت و لا تزال الشوكة الجارحة فى أعين شانئى على «عليه السلام» و مبغضيه.

فالظاهر هو أن هذه الآيات قد نزلت لتحذير المسلمين من الاتجاه الذى كانت بوادره تظهر و تختفى بين الحين و الحين، من الإندفاع نحو أهل الكتاب بصورة عامة. حتى لقد كان الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» نفسه يواجه بعض ما يعبر عن هذا الإندفاع نحو الثقافة اليهودية، و الخضوع لهيمنة فكر أهل الكتاب عموما!! و قد رأى النبى (ص) فى يد عمر (رض) ورقة من التوراة، فغضب، حتى تبين الغضب فى وجهه، ثم قال: ألم آتكم بها بيضاء نقية؟! و اللّه، لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعى.

و فى رواية: أمهوّكون فيها يابن الخطاب؟ إلخ. و فى أخرى: أن عمر نسخ كتابا من التوراة بالعبرية، و جاء به، فجعل يقرؤه على رسول اللّه (ص) «۲». و قد قدمنا هذا الحديث مع مصادره فى المدخل لدراسة هذه السيرة، فراجع.

---

(۱) راجع: الدر المنثور ج ۲ ص ۲۵۲ عن أحمد، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و محمد بن نصر فى الصلاة، و الطبرانى، و أبى نعيم فى الدلائل، و البيهقى فى شعب الإيمان، و ابن أبى شيبة، و البغوى فى معجمه، و ابن مردويه، و أبى عبيدة و غيرهم.

(۲) راجع مقدمة ابن خلدون ص ۴۳۶، و أضواء على السنة المحمدية ص ۱۶۲،-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۶۲

و قد ازداد هذا الإتجاه نحو ثقافة أهل الكتاب، عنفا و قوة بعد وفاة الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم». و هذا موضوع هام جدا، و متشعب الأطراف؛ حيث إن آثار التأثر بأهل الكتاب قد ظهرت بشكل أو بآخر فى كثير من المجالات: العقائدية، و الفكرية، و الفقهية، و غير ذلك.

و قد بحثنا فيما سبق هذا الموضوع، و توصلنا فيه إلى العديد من النتائج المذهلة على صعيد الفكر، و السياسة، و العقيدة، و التشريع.

فليراجع.

ب: حول الراية:

إنه يبدو: هو أن الراية فى هذه الحرب كانت سوداء، لأن هذه هى راية حرب، و غضب رسول اللّه (ص) على أهل الكفر و الشرك و الضلال، يقول الكميت مشيرا إلى ذلك:

و إلا فارفعوا الرايات سوداعلى أهل الضلالة و التعدى و قد كانت رايته (ص) يوم فتح مكة سوداء، و كانت راية أمير المؤمنين «عليه السلام» فى حربه لأعدائه سوداء أيضا، و لعل فى هذا إلماح إلى أن من يحاربهم (ع) لا يفترقون عمن حاربهم الرسول (ص) فيما سبق.

و سنشير فى أوائل غزوة أحد إلى أن حامل لواء النبى (ص) فى جميع حروبه هو أمير المؤمنين «عليه السلام»، فكل ما يذكر خلاف ذلك ما هو إلا عربدة و تضليل.

- و الإسرائيليات فى التفسير و الحديث ص ۸۶ و فتح البارى ج ۱۳ ص ۲۸۱ عن ابن أبى شيبة و أحمد، و البزار، و مسند أحمد ج ۳ ص ۳۸۷، و غير ذلك من المصادر الكثيرة التى أشرنا إلى طائفة منها فى تمهيد الكتاب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۶۳

و أما أن راية العقاب كانت قطعة من برد لعائشة، كما ذكره الحلبى «۱».

فنحن نشك فى ذلك، لأنه هو نفسه قد ذكر فى وقعة خيبر: أن «المقريزى لما ذكر رتب الرياسة فى الجاهلية، ذكر: أن العقاب كان فى الجاهلية راية تكون لرئيس الحرب. و جاء الإسلام و هى عند أبى سفيان، و جاء الإسلام و السدانة و اللواء عند عثمان بن أبى طلحة، من بنى عبد الدار» «۲».

و العبارة مشوشة كما ترى، و لكنها تدل على أى حال على أن العقاب لم تكن من مرط عائشة.

ثم إننا لا ندرى لماذا اختار برد عائشة ليكون راية له!!.

ج: الخمس:

۱- و قد تقدم: أن الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» قد فرق السلاح و الأموال التى غنمها من بنى قينقاع على المسلمين، مع أنها كانت مما أفاء اللّه عليه، فهى له دون غيره. و لكنه «صلى اللّه عليه و آله» آثر أن يفرقها بين المسلمين بعد إخراج الخمس منها، إعانة لهم، و لطفا بهم، و عطفا عليهم.

۲- و قالوا: إن خمس بنى قينقاع كان أول خمس قبضه رسول اللّه (ص) «۳».

و هذا محل شك أيضا، فقد تقدم قولهم: إنه قد خمّس ما غنمه

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۰۹ و ج ۳ ص ۳۵.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۵ و ۳۶.

(۳) تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۱۷۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۶۴

المسلمون من المشركين فى غزوة قرقرة الكدر. و كذا قيل فى غزوة بدر، و فى سرية ابن جحش.

و توجيه ذلك بأن المراد هنا: أنه أول خمس قبضه، و فيما تقدم كان (ص) لا يقبض الخمس، و إنما يرده على المسلمين.

خلاف الظاهر، خصوصا إذا أثبت البحث العلمى: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» قد بقى يقسم الخمس على المسلمين، كما فعل فى غزوة حنين، فلعل الرواة قد رووا هذه الأوليات بحسب حضورهم. فالذى حضر هذه الغزوة و رأى النبى (ص) قد خمّس غنائمها، لعله لم يحضر التى قبلها، و كذا الحال بالنسبة للراوى الآخر فى الغزوة الأخرى، فلا بد من التحقيق حول هذا الموضوع.

د: بعض أهداف و نتائج حرب بنى قينقاع:

إن حرب المسلمين لبنى قينقاع، و هم أشجع اليهود، و أكثرهم مالا، و القضاء عليهم معناه:

۱- إنه (ص) لا يريد أن يفسح المجال لهم- كما يقول العلامة الحسنى- لأن «يطمعوا به، و يكتلوا حولهم من يشاركهم الرأى من المنافقين و الأعراب»، لأن صبر النبى (ص) عليهم، و أمره للمسلمين بالتحمل مهما أمكن، جعل اليهود يظنون: أن هذا ناتج عن ضعف و خور؛ فاستمروا فى تحرشاتهم «۱».

۲- أن يسهل القضاء على الآخرين من الأعداء، ممن هم أقل منهم قوة و عددا، وعدة و مالا، لأنهم إذا رأوا: أن أصحاب الشوكة لم يستطيعوا أن يأتوا بشىء، فإنهم سوف يقتنعون بأنهم- و هم الأضعف- أولى أن لا

---

(۱) راجع: سيرة المصطفى ص ۳۷۹

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۶۵

يأتوا بشىء أيضا.

۳- إن ما غنمه المسلمون من بنى قينقاع، من شأنه أن يزيد من طموح عدد من الناس من المسلمين للقضاء على أعدائهم، و يسهّل عليهم الوقوف فى وجههم؛ حيث يرتاح بالهم من جهة معاشهم، و لا يبقى ما من شأنه أن يثير مخاوفهم، و يستبد بتفكيرهم.

۴- كما أن ذلك: إنما يعنى التخلص من عدوّ داخلى، يعرف مواضع الضعف و القوة، و ربما يكون أخطر من العدو الخارجى بكثير.

۵- ثم إن القضاء على اليهود كان يتم على مراحل، و ذلك بطبيعة الحال أسهل و أيسر من القضاء عليهم، فيما لو كانوا مجتمعين، دفعة واحدة، و فى صعيد واحد، يعين بعضهم بعضا، و يشد بعضهم أزر بعض.

۶- و المسلمون أيضا، إذا رأوا أنفسهم قد استطاعوا القضاء على أشجع اليهود، و أكثرهم قوة و نفوذا، فإنهم سوف يتشجعون للقضاء على من سواهم، و لا يبقى مجال للخوف و لا للتردد.

ه: الحجاب:

إن قضية المرأة التى أرادوها على كشف وجهها، قد يقال إنها تدل على أن الحجاب كان مفروضا حينئذ، أى فى السنة الثانية للهجرة، مع أن المعروف هو: أن الحجاب قد فرض بعد ذلك بعدة سنين.

إلا أن يقال إن الحجاب قد كان موجودا فى الجاهلية، أو يقال:

صحيح أن فرض الحجاب و إيجابه قد كان فى سنة خمس، أو بعدها، لكن الإلتزام بالحجاب، على اعتبار أنه محبوب و مطلوب لله، و أمر راجح و حسن قد كان قبل ذلك بسنين. و ذلك اتباعا لتوجيهات النبى (ص)، و ترغيباته، و دعواته إلى ذلك، إذ لا يبعد أن

يكون تشريع الحجاب قد جاء تدريجا؛ لتتقبله النفوس، و تألفه العادة. و لا سيما إذا لا حظنا: أنه ربما

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۶۶

كان أمرا صعبا على نساء الجزيرة العربية، اللواتى يعشن فى جو حار جدا، كما هو معلوم.

و على كل حال، فإن هذا الأمر يحتاج إلى تحقيق، و لسوف نتحدث عنه بشىء من التفصيل فيما يأتى إن شاء اللّه تعالى.

و: الغرور، و الإيمان:

إننا نلاحظ: أنه (ص) حتى حينما انتصر على المشركين فى بدر ذلك الإنتصار الباهر و الساحق، و كذلك حينما انتصر عليهم فى غيرها من المواقف الصعبة، فإنه لا ينسب انتصاراته إلى نفسه، أو إلى جيشه. و لا يسمح لنفسه بأن تتوهم: أنها هى التى انتصرت بالقوة، و العدة، و العدد، أو بالعبقرية الحربية؛ لأنه يعلم أن الإنتصار الذى سجّل فى بدر مثلا، لم يكن فى المقاييس المادية انتصارا. و إنما هو معجزة إلهية، لا يمكن لأحد أن يحترم نفسه إلا أن يذعن إلى هذه الحقيقة، و يسلم بها. و هذا هو ما قرره اللّه تعالى بقوله: وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ «۱».

كما أنه تعالى قد تعرض لحالة العجب بالنفس فى حنين، فقال:

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ، وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً «۲».

بينما نجد بنى قينقاع مغرورين بقوتهم و شوكتهم، حتى قالوا له: لو حاربناك لتعلمن: أنّا نحن الناس. فأوعدهم اللّه بالهزيمة و الخذلان.

و صدق اللّه وعده، فزاد ذلك من يقين المؤمنين و تصميمهم، و من ذل الكافرين و خزيهم.

---

(۱) آل عمران: ۱۲۳.

(۲) التوبة: ۲۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۶۷

ز: الإستجابة لإبن أبى:

و إن استجابة النبى (ص) لإبن أبى فى بنى قينقاع، كانت تهدف إلى الحفاظ على الجبهة الداخلية من التصدع. و لو لا ذلك فلربما كان ينتهى الأمر إلى النزاعات المكشوفة، و المواجهات العلنية، الأمر الذى لم يكن فى صالح الإسلام و المسلمين فى تلك الفترة؛ فإن الإبقاء على العلاقات الحسنة مع المنافقين فى تلك الظروف كان أمرا ضروريا؛ لكسب أكبر عدد منهم فى المستقبل، عن طريق التأليف و الترغيب، و كذلك من أبنائهم، ثم توفير الطاقات لعدو أشدّ و أعتى. كما أن إجلاء بنى قينقاع، كما يعتبر ضربة روحية و نفسية لغيرهم من اليهود، كذلك هو يعتبر إضعافا لإبن أبى و من معه من المنافقين. فخسران الأعداء متحقق على كل تقدير.

ح: بنو قينقاع تحت الأضواء:

و أما لماذا تجرأ بنو قينقاع على نقض العهد، فالظاهر: أن ذلك يرجع: إلى غرورهم و اعتدادهم بشجاعتهم، و بكثرتهم، و لعلهم كانوا

يتوقعون نصر حلفائهم من الخزرج لهم، كما يظهر من قولهم له (ص):

لتعلمن أنّا نحن الناس.

ثم هناك اعتمادهم على ما يملكونه من خبرة عسكرية، و معرفة بالحرب، و قد عبروا عن ذلك أيضا بقولهم له (ص): لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب.

و إلاـ فإننا لا نرى مبررا لأن تعلن قبيلة واحدة الحرب على كثير من القبائل فى المدينة، إن كانت لا تملك شيئا من مقومات النصر المحتمل.

و لكن كثرتهم و خبرتهم الحربية لم تغن عنهم شيئا، كما أن حلفاءهم من الخزرج لم يفعلوا لهم شيئا، لأن المؤمنين منهم تخلّوا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۶۸

عنهم، لأن الوفاء لهم خيانة لعقيدتهم و مبدئهم و إيمانهم، الذى يبذلون أرواحهم فى سبيل الحفاظ عليه.

و أما المنافقون منهم فلم يتمكنوا من نصرهم، بسبب ما قذف اللّه فى قلوبهم من الرعب، و كون ذلك سوف يتسبب لهم بانشقاقات و خلافات داخلية. و أقصى ما استطاع ابن أبى أن يقدمه لهم، هو أن يمنع من استئصالهم، مع الإكتفاء بإجلائهم إلى مناطق بعيدة لن يمكنهم الصمود فيها أكثر من سنة، و ليواجهوا من ثم الفناء و الهلاك.

و أما لماذا لم يهبّ اليهود لنصرة بنى قينقاع، فإن ذلك يرجع إلى أنه قد كان بينهم و بين سائر اليهود عداوة، و ذلك لأن اليهود كما قال ابن إسحاق: «كانوا فريقين، منهم بنو قينقاع و لفهم «۱»، حلفاء الخزرج، و النضير و قريظة و لفّهم حلفاء الأوس، فكانوا إذا كانت بين الأوس و الخزرج حرب، خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، و خرجت النضير و قريظة مع الأوس يظاهر كل من الفريقين حلفاءه على إخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم. و بأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم و ما لهم، و الأوس و الخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان: لا يعرفون جنة، و لا نارا، و لا بعثا، و لا قيامة، و لا كتابا، و لا حلالا، و لا حراما.

فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أساراهم، تصديقا لما فى التوراة، و أخذ به بعضهم من بعض، يفتدى بنو قينقاع من كان من أسراهم من أيدى الأوس، و تفتدى النضير و قريظة ما فى أيدى الخزرج منهم، و يطلّون ما أصابوه من الدماء و قتلى من قتلوا منهم فيما بينهم، مظاهرة لأهل الشرك عليهم» «۲».

---

(۱) لفهم: أى من يعدّ فيهم.

(۲) السيرة النبوية، لإبن هشام ج ۲ ص ۱۸۸/ ۱۸۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۶۹

و كانوا بذلك مصداقا لقوله تعالى و هو يخاطب اليهود: وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ، وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ، ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ. ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ، وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ، تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ، وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ، وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ «۱».

صدق اللّه العلى العظيم.

---

(۱) البقرة: ۷۳ و ۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۷۱

الباب الرابع: غزوة أحد

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۷۳

الفصل الأول: قبل نشوب الحرب

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۷۵

أجواء و مواقف:

و فى سنة ثلاث- و شذ من قال فى سنة أربع «۱» فى شوال، يوم السبت على الأشهر- كانت غزوة أحد «۲»، و هو جبل يبعد عن المدينة حوالى فرسخ.

و ذلك أن نتائج حرب بدر كانت قاسية على مشركى مكة، و مفاجأة لليهود و المنافقين فى المدينة. فقريش لا يمكن أن تهدأ بعد الآن حتى تثأر لكرامتها، و لمن قتل من أشرافها. حتى لقد أعلنوا المنع عن بكاء قتلاهم؛ لأن ذلك يذهب الحزن، و يطفىء لهيب الأسى من جهة. و لأنه يدخل السرور على قلوب المسلمين من الجهة الأخرى.

و لكنهم عادوا فتراجعوا عن هذا القرار؛ فسمحوا للنساء بالبكاء، لأن ذلك- بزعمهم- يثير المشاعر، و يذكر الرجال بالعار الذى لحق بهم.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۱۶، و راجع: تأريخ الخميس ج ۱ ص ۴۱۹.

(۲) راجع: البداية و النهاية ج ۴ ص ۹، و دلائل النبوة للبيهقى ط دار الكتب العلمية ج ۳ ص ۲۰۱، و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۱۱، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۱۹۹، و السيرة النبوية لإبن كثير ج ۳ ص ۱۸، و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۴۸، و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۸۶، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۱۶، و السيرة النبوية لدحلان (المطبوع بهامش الحلبية) ج ۲ ص ۱۹ و تأريخ الخميس ج ۱ ص ۴۱۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۷۶

و مضت قريش تستعد لقتال النبى محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»، و تعبّىء النفوس، و تجهز القوى الحربية لأخذ الثأر، و محو العار.

و مضى اليهود الذين أصبحوا يخافون على مركزهم السياسى، و الإقتصادى فى المنطقة، و على هيمنتهم الثقافية أيضا يحرضون المشركين على الثأر ممن و ترهم، و أعلنوا بالحقد، و نقض العهد، حتى كال لهم المسلمون ضربات صاعقة، هدّت كيانهم، و جرحت و أذلت كبرياءهم و غرورهم.

و من جهة النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله»، و من معه من المسلمين؛ فإنهم لن يتخلوا عن قبلتهم، الكعبة، و لن يتركوا قريشا و غطرستها و غرورها، لا سيما بعد تعدّيها عليهم، و ظلمها القبيح لهم، حتى اضطرهم ظلمها و تعديها إلى الهجرة من ديارهم، تاركين لها أوطانهم، و كل ما يملكون.

و كذلك، فإن النبى الأكرم (ص) قد حاصر قريشا بمعاهداته للقبائل التى فى المنطقة، و موادعاته لها، و أصبح يسيطر على طريق

تجارتها، و لم يعد هذا الطريق آمنا لها، و أصبحت ترى نفسها بين فكى «كمّاشة»، فلا بد لها إذن من كسر هذا الطوق، و تجاوز هذا المأزق. و هذا ما عبّر عنه ذلك الزعيم القرشى- كما تقدم فى سرية القردة- بقوله لقريش:

«إن محمدا و أصحابه قد عوّروا علينا متجرنا، فما ندرى كيف نصنع بأصحابه؟ لا يبرحون الساحل. و أهل الساحل قد وادعهم، و دخل عامتهم معه، فما ندرى أين نسلك، و إن أقمنا نأكل رؤوس أموالنا، و نحن فى دارنا هذه فلم يكن لنا بقاء. إنما نزلناها على التجارة إلى الشام فى الصيف، و فى الشتاء إلى أرض الحبشة «۱»».

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۱۹۷، و سيرة المصطفى ص ۳۸۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۷۷

جيش المشركين الى أحد:

اشارة

و كانت العير التى كانت وقعة بدر من أجلها- و هى ألف بعير كما قالوا- قد بقيت سالمة و محتبسة فى دار الندوة. و اتفقوا مع أصحابها على أن يعطوهم رؤوس أموالهم، و هى خمسة و عشرون أو خمسون ألف دينار- على اختلاف النقل- على أن يصرف الربح فى قتال المسلمين. و كان كل دينار يربح دينارا، و هو مبلغ هائل فى وقت كان للمال فيه قيمة كبيرة، و القليل منه يكفى للشىء الكثير.

و بعثوا الرسل إلى القبائل يستنصرونهم، و حرّكوا من أطاعهم من قبائل كنانة، و أهل تهامة، و اشترك الشاعر أبو عزة الجمحى فى تحريض القبائل على المسلمين، و كان قد أسر فى بدر، و منّ عليه النبى (ص) بشرط أن لا يظاهر عليه. و قد شارك فى ذلك بعد أن ألح عليه صفوان بن أمية، و ضمن له إن رجع من أحد أن يغنيه، و إن أصابه شىء أن يكفل بناته.

و خرجت قريش بحدّها و جدّها، و أحابيشها و من تابعها.

و أخرجوا معهم بالظعن خمس عشرة امرأة، فيهن هند بنت عتبة، لئلّا يفروا، و ليذكّرنهم قتلى بدر. يغنين و يضربن بالدفوف، ليكون أجدّ لهم فى القتال.

و خرج معهم الفتيان بالمعازف، و الغلمان بالخمور، و كان جيش المشركين ثلاثة الاف مقاتل. و قيل: خمسة آلاف.

و نحن نرجح الأول؛ لقول كعب بن مالك:

ثلاثة آلاف و نحن نصيبه‌ثلاث مئين إن كثرنا و أربع «۱»

---

(۱) البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۰۷. نعم يمكن أن يكون عمدة الجيش ثلاثة آلاف، و معهم من العبيد و الخدم- و هم مقاتلون أيضا- ألفان بل فى البحار ج ۲۰

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۷۸

أى: و أربع مئين.

و كان فى جيش المشركين سبعمائة دارع، و مئتا فارس على المشهور. و قيل: مئة، و مئة رام، و معهم ألف- و قيل ثلاثة آلاف- بعير.

و لا يبعد صحته «۱» كلهم بقيادة أبى سفيان الذى صار زعيم قريش بعد قتل أشرافها فى بدر.

و كان معهم أبو عامر الفاسق، الذى كان قد ترك المدينة إلى مكة مع خمسين رجلا من أتباعه من الأوس كراهية لمحمد، خرج إلى

مكة يحرض على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و يقول لهم: إنهم على الحق، و ما جاء به محمد باطل.

فسارت قريش إلى بدر، و لم يسر معهم، و سار معهم إلى أحد.

و كان يزعم لهم: أنه لو قدم على قومه لم يختلف عليه إثنان منهم، فصدقوه، و طمعوا فى نصره، و لكن الأمر كان على عكس ذلك كما سنرى.

- ص ۱۱۷: أن أبا سفيان قد استأجر ألفين من الأحابيش.

(۱) راجع جميع ما تقدم كلا أو بعضا فى المصادر التالية: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۱۹- ۴۲۲، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۱۷ و ۲۱۸، و السيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش الحلبية) ج ۲ ص ۱۹- ۲۱ و ۲۶، و راجع: الوفاء بأحوال المصطفى ص ۶۸۴، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۲۰۰- ۲۰۴ و ۲۰۶، و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۱۲ و ۳۱۳، و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۸۷- ۱۹۰ و ۱۹۷، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۰- ۱۶، و السيرة النبوية لإبن كثير ج ۳ ص ۲۰ و ۲۵ و ۲۶ و ۳۰ و ۳۲، و السيرة النبوية لإبن هشام ج ۳ ص ۶۴ و ۶۵ و ۷۰ و ۷۱، و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۴۹- ۱۵۱، و دلائل النبوة للبيهقى ط دار الكتب العلمية ج ۳ ص ۲۲۱ و ۲۰۹، و البحار ج ۲ ص ۴۸، و حياة محمد لهيكل ص ۲۵۴، و سيرة المصطفى ص ۳۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۷۹

و كان مع المشركين أيضا: وحشى غلام جبير بن مطعم، الذى وعده سيده بالحرية، إن هو قتل محمدا، أو عليا، أو حمزة، بعمّه طعيمة بن عدى؛ فإنه لا يدرى فى القوم كفؤا له غيرهم «۱».

فقال وحشى له- أو لهند-: أما محمد؛ فلن يسلمه أصحابه، و أما حمزة فلو وجده نائما لما أيقظه من هيبته، و أما على فإنه حذر مرس، كثير الإلتفات «۲» و سيأتى: أنه تمكن من الغدر بحمزة، أسد اللّه و أسد رسوله.

سؤال و جوابه:

و يرد هنا سؤال: و هو أنهم إذا كانوا قد أخرجوا معهم النساء لئلّا يفروا، فلماذا فروا حين حميت الحرب، و تركوا النساء؟!.

و الجواب عن ذلك سيأتى حين الكلام عن هذا الموضوع، إن شاء اللّه تعالى.

وصول الخبر الى المدينة:

اشارة

و يقولون: إن العباس بن عبد المطلب كتب إلى النبى (ص) يخبره بمسير قريش، و بكيفية أحوالهم، و بعددهم، مع رجل غفارى، على أن يصل إلى المدينة فى ثلاثة أيام، فقدم الغفارى المدينة، و سلم الكتاب إلى النبى (ص)، و هو على باب مسجد قباء، فقرأه له أبى بن كعب، فأمره (ص) بالكتمان «۳».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۱۷، و السيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش الحلبية) ج ۲ ص ۲۰.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۲۸۵.

(۳) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۰، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۲۰۴،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۸۰

و وقعت الأراجيف بالمدينة، و قال اليهود: إن الغفارى ما جاء بخبر يسر محمدا. و فشا الخبر بخروج المشركين قاصدين المدينة بعدتهم و عددهم، هكذا قالوا.

و لكننا فى مقابل ذلك: نجد الواقدى يذكر: أن نفرا من خزاعة فيهم عمرو بن سالم سروا من مكة أربعا، فوافوا قريشا، و قد عسكروا بذى طوى، فلما و صلوا المدينة أخبروا رسول اللّه (ص) الخبر، ثم انصرفوا، فلقوا قريشا ببطن رابغ على أربع ليال من المدينة.

فقال أبو سفيان: أحلف باللّه، إنهم جاءوا محمدا فخبروه بمسيرنا، و عددنا، و حذروه منا، فهم الآن يلزمون صياصيهم، فما أرانا نصيب منهم شيئا فى وجهنا. فقال صفوان بن أمية: إن لم يصحروا لنا عمدنا إلى نخل الأوس و الخزرج فقطعناه، فتركناهم و لا أموال لهم؛ فلا يختارونها أبدا.

و إن أصحروا لنا فعددنا أكثر من عددهم و سلاحنا أكثر من سلاحهم، و لنا خيل، و لا خيل معهم، و نحن نقاتل على وتر لنا عندهم، و لا وتر لهم عندنا «۱».

و قد يقال: لا مانع من أن يكون الخبر قد وصل إلى النبى من قبل الغفارى، و من قبل هؤلاء معا.

و قبل أن نمضى فى الحديث نشير فى ما يلى إلى بعض النقاط، و هى التالية:

سؤال يحتاج إلى جواب:

و يرد هنا سؤال و هو: كيف قبلت قريش بإقامة العباس فى مكة

- و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۱۴، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۷۲، و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۲۰، و سيرة المصطفى ص ۳۹۳، و حياة محمد لهيكل ص ۲۵۵.

(۱) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۰۵، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۱۸/ ۲۱۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۸۱

مسلما- إذا صح، أنه أسلم فى بدر- و قريش لم تكن لترحم أحباءها و أبناءها إذا علمت بإسلامهم، و لا سيما بعد تلك النكبة الكبرى التى أصابتها على يد ابن أخيه فى بدر، حيث قتل أبناءها و آباءها و أشرافها؟

إلا أن يقال: إنه كان مسلما سرا، و قد أمره (ص) بالبقاء فى مكة؛ ليكون عينا له، و لازم ذلك هو أن يتظاهر بالشرك، و أنه معهم، و على دينهم. و قد تقدمت بعض تساؤلات حول وضع العباس فى مكة فى غزوة بدر، فلا نعيد.

المشركون، و أزمة الثقة:

و يلاحظ هنا: أن أبا سفيان لم يكن يثق بمن هم على دينه، و لا يستطيع أن يعتمد عليهم، و لذلك نراه يبادر إلى اتهامهم بأنهم قد أخبروا محمدا بمسيرهم، و عددهم، و حذروه منهم.

و قد أشير إلى هذه الحالة فى حديث سدير، قال: قلت لأبى عبد اللّه: إنى لألقى الرجل لم أره و لم يرنى فيما مضى قبل يومه ذلك؛ فأحبه حبا شديدا، فإذا كلمته وجدته لى مثلما أنا عليه له، و يخبرنى: أنه يجد لى مثل الذى أجد له.

فقال: صدقت يا سدير، إن ائتلاف قلوب الأبرار إذا التقوا- و إن لم يظهروا التودد بألسنتهم- كسرعة اختلاط قطر السماء مع مياه

الأنهار، و إن بعد ائتلاف قلوب الفجار إذا التقوا- و إن أظهروا التودد بألسنتهم- كبعد البهائم عن التعاطف، و إن طال اعتلافها على مذود واحد «۱».

و يمكن ان يستفاد هذا المعنى أيضا من بعض الآيات القرآنية، قال تعالى:

---

(۱) سفينة البحار ج ۱ ص ۲۰۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۸۲

لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ، وَ لِذلِكَ خَلَقَهُمْ «۱».

و قال تعالى: وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَ لكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ «۲». و قال: وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً «۳».

و موجز القول فى سر ذلك: و هو ما أشار إليه الطباطبائى أيضا، الذى سنكتفى بتلخيص كلامه لما فيه من الخصوصيات، و إن كان أصل الكلام قد كان محط نظرنا أيضا:

أن الكفار إنما يلتقون على مصالحهم الدنيوية الشخصية، و يتفقون و يختلفون على أساسها؛ و ذلك لأن الإنسان يحب بطبعه أن يخص نفسه باللذائذ و النعم، و على هذا الأساس يحب هذا و يبغض ذاك.

و حيث إنه لا يستطيع أن يلبى كل ما يحتاج إليه من ضروريات حياته؛ فإنه لا بد له من حياة إجتماعية تعينه على ذلك، و يتبادل مع الآخرين ثمرات الأتعاب، حيث إن كل شخص له مؤهلات تجعله يختص ببعض الإمتيازات لنفسه: من مال، أو جمال، أو طاقات فكرية، أو نفسية، أو غريزية، أو غير ذلك. هذه الإمتيازات التى تطمح إليها النفوس، و يتنافس فيها البشر عموما.

و بسبب الإحتكاكات المتوالية، و ما يصاحبها من وجوه الحرمان، و البغى، و الظلم، و الشح، و الكرم فى هذه الأمور التى يتنافسون فيها، فإن العداوات و الصداقات تنتج عن ذلك.

---

(۱) هود: ۱۱۹.

(۲) الأنفال: ۶۳.

(۳) آل عمران: ۱۰۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۸۳

و أما محاولات بذل النعم لفاقديها، فإنها لا ترفع هذه النزاعات و العداوات و غيرها إلا فى موارد جزئية. أما الحالة العامة فتبقى على حالها؛ لأن هذا البذل لا يبطل غريزة الإستزادة، و الشح الملتهب، على أن بعض النعم لا تقبل إلا الإختصاص و الإنفراد، كالملك، و الرئاسة، فالشرور و الاحقاد التى تتولد عن ذلك باقية على حالها.

هذه حالة المجتمع الكافر باللّه، الذى لا يؤمن إلا بالمصلحة الدنيوية الشخصية، و اللذات الحاضرة. و لكن اللّه قد منّ على المسلمين، و أزال الشح من نفوسهم: وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ «۱» و ألف بين قلوبهم، و ذلك لأنه عرّفهم:

أن الحياة الإنسانية حياة خالدة، و أن الحياة الدنيا زائلة لا قيمة لها، و أن اللذة المادية لا قيمة لها، و اللذة الواقعية هى أن يعيش الإنسان فى كرامة عبودية اللّه سبحانه، و رضوانه، و القرب و الزلفى منه تعالى، مع النبيين و الصديقين، و هناك اللذة الحقيقية الدائمة، قال تعالى: وَ ما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ، وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ «۲».

كما أنه لا يملك أحد لنفسه نفعا و لا ضررا، و لا موتا و لا حياة، بل هو فى تصرف اللّه الذى بيده الخير و الشر، و النفع و الضر، و الغنى و الفقر.

و كل نعمة هى هبة من ربه، و ما حرم منه احتسب عند ربه أجره، و ما عند اللّه خير و أبقى.

و إذ لم يعد للمادة قيمة عند المؤمنين؛ فإن أسباب الضغن و الحقد تزول، و يصبحون بنعمته إخوانا، و لا يبقى فى نفوسهم غل، و حسد، و رين «۳».

---

(۱) الحشر آية: ۹.

(۲) العنكبوت: ۶۴.

(۳) راجع تفسير الميزان ج ۹ ص ۱۱۹- ۱۲۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۸۴

و هكذا يتضح: أن موقف الخزاعيين، و عدم التزامهم بنصر قومهم، و الحفاظ على أسرارهم أمر طبيعى. كما أن سوء ظن أبى سفيان، و عدم ثقته بهم هو أيضا نتيجة طبيعية للشرك، و عدم الإيمان. و من كل ذلك نعرف أيضا سر عدم تأثير تشجيع النساء فى ثبات المشركين، و لم يمنعهم عار أسر نسائهم من الهزيمة، و تركوهن فى معرض السبى، مع أنهم أخرجوهن لهدف هو عكس ذلك تماما. و لكن الأمر بالنسبة للمسلمين (الحقيقيين) كان على عكس ذلك تماما كما سنرى.

عنصر السرية لتلافى الأخطار المحتملة:

قد رأينا أن النبى (ص) يأمر أبيا بكتمان خبر مسير قريش، و يستفيد من عنصر السرية، كى لا يفسح المجال أمام الحرب النفسية، التى لا بد و أن يمارسها اليهود و المنافقون ضد المسلمين؛ و ليفوّت الفرصة عليهم، و يحبط مؤامراتهم المحتملة؛ لأنهم فى الحقيقة- و هم العدو الواقعى- هم العدو الأخطر، و المطلع على مواطن الضعف و القوة لدى المسلمين. أى أن إعلان الأمر فى وقت مبكر لسوف يستدعى إصرارا على معرفة خطة المواجهة مع العدو، و هذا يسهّل على المتآمرين و الخونة وضع الخطط اللازمة لإفشال خطة المسلمين فى الدفاع عن أنفسهم. كما أنه يعطى أعداءهم الفرصة لإعلام قريش بالأمر، و بكل الخصوصيات اللازمة لمواجهة خطة المسلمين و إفشالها، أو على الأقل تكبيد المسلمين أكبر عدد ممكن من الخسائر.

و عنصر السرية هذا قد اعتمده النبى (ص) فى أكثر من موقف فى معركة أحد هذه و غيرها، كما سنرى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۸۵

المشركون فى طريق المدينة:

اشارة

و لما انتهت قريش إلى الأبواء، ائتمروا فى أن ينبشوا قبر أم محمد (ص)، و قالوا: «فإن النساء عورة؛ فإن يصب من نسائكم أحدا، قلتم: هذه رمة أمك. فإن كان برا بأمه- كما يزعم- فلعمرى لنفادينهم برمة أمه، و إن لم يظفر بأحد من نسائكم، فلعمرى ليفدين رمة أمه بمال كثير، إن كان بها برا» «۱».

و كانت زعيمة هذا الرأى هند زوجة أبى سفيان، فاستشار أبو سفيان أهل الرأى من قريش، فقالوا: لا تذكر من هذا شيئا؛ فلو فعلنا نبشت بنو بكر و خزاعة موتانا.

و سارت قريش حتى نزلت بذى الحليفة، و سرحوا إبلهم فى زروع المدينة، التى كان المسلمون قد أخلوها من آلة الزرع قبل ذلك، و

أرسل النبى (ص) بعض العيون لمراقبتهم، و أرسل أيضا الحباب بن المنذر سرا لمعرفة عددهم و عدتهم، و قال له: إذا رجعت فلا تخبرنى بين أحد من المسلمين، إلا أن ترى فى القوم قلة، فرجع إليه فأخبره خاليا، و أمره الرسول (ص) بالكتمان «۲».

و نشير نحن هنا إلى أمرين:

الأول: معرفة النبى بواقع أصحابه:

إن سبب أمره (ص) عينه الذى أرسله إليهم بذلك واضح، فإن معرفة المسلمين بعددهم و عدتهم سوف يثبط من عزائم بعضهم، ممن اعتادوا:

أن يقيسوا الأمور بالمقاييس المادية، و لم يتفاعلوا بعد مع دينهم

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۲۰۶.

(۲) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۲۰۷- ۲۰۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۸۶

و عقيدتهم، بشكل كامل، و لا اطلعوا على تعاليم الإسلام و أهدافه، و ارتبطوا بها عقليا، و وجدانيا، و عاطفيا، و سلوكيا، بنحو اعمق و أقوى، و إنما دخلوا فى الإسلام، إما عن طريق الإعجاب، أو القناعة العقلية.

و لم يمض على دخولهم فيه إلا فترة قصيرة جدا.

الثانى: الإفلاس على كل صعيد:

إن ما فكر به القرشيون من نبش قبر أمه (ص)، إنما يعبر عن مدى الإسفاف الفكرى لدى قريش، حتى إنها لتفكر باتباع أبشع أسلوب و أدناه فى حربها مع المسلمين. و هذا إن دل على شىء، فإنما يدل على أمور:

أحدها: إفلاسهم على صعيد المنطق و الفكر، و حتى على صعيد الخلق الإنسانى، بل و العلاقات و الضوابط المعقولة، فى المواجهة مع المسلمين الذين هم القمة فى كل ذلك.

الثانى: مدى حقدهم الدفين على الإسلام و المسلمين.

الثالث: مدى عمق الجرح، و عنف الصدمة الساحقة التى تلقتها قريش فى بدر، و لا تزال تتلقاها على صعيد طرق قوافل تجارتها إلى الشام، و يحتمل إلى الحبشة أيضا.

النبى (ص) يستشير أصحابه:

اشارة

و يقول المؤرخون: إنه لما نزل المشركون قرب المدينة، و بث المسلمون الحرس على المدينة، و خصوصا مسجد الرسول، و أراد (ص) الشخوص، جمع (ص) أصحابه للتشاور فى أمر جيش لم يواجه المسلمون مثله من قبل، عدة و عددا.

و يـذكرون أيضـا: أنه (ص) أخبرهم برؤيـا رآهـا، رأى بقرا يذبـح، و أن فى سـيفه ثلمـة، و أنه فى درع حصـينة، فـأول البقر: بناس من أصحابه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۸۷

يقتلون. و الثلمة: برجل من أهل بيته يقتل. و الدرع: بالمدينة. و للرواية نصوص أخرى لا مجال لها.

و إذا كـانت رؤيـا النبى (ص) من الوحى، و كانت هـذه الروايـة صـحيحة؛ فإن ذلك يكون توطئـة لإعلامهم بالموقف الصـحيح، و أن عليهم أن يلتزموا بتوجيهات رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» فيما يرتبط بالتخطيط و التنفيذ فى المواجهة مع العدو.

و لكنهم اتجهوا فى مواقفهم و قراراتهم نحو العكس من ذلك، حيث يقولون: إن ابن أبى قـد أشار بالبقاء فى المدينة، فإذا أقبل العدو رماه الأطفال و النسوة بالحجارة، و قاتله الرجال بالسككك. و إن أقام فى خارج المدينة أقام فى شر موضع.

و كان «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»- كما يقولون- كارها للخروج من المدينة أيضا.

و لكن من لم يشـهد بـدرا، و طائفة من الشـباب المتحمسـين الذين ذاقوا حلاوة النصـر فى بدر، و معهم حمزة بن عبد المطلب، و أهل السنّ، قد رغبوا بالخروج و أصروا عليه، لأنهم- كما يقول البعض- يرون خيل قريش و إبلها ترعى زروعهم، و تعيث فيها فسادا.

و احتجوا لـذلك: بأن إقامتهم فى المدينـة سـتجعل عـدوهم يظن فيهم الجبن، فيجرؤ عليهم. و قالوا: «و قـد كنت يوم بـدر فى ثلاثمائة رجل؛ فأظفرك اللّه بهم، و نحن اليوم بشر كثير».

بعد أن ذكروا: أن هذا أمر قد ساقه اللّه إليهم فى ساحتهم.

قال نعيم بن مالك: «يا نبى اللّه، لا تحرمنا الجنة؛ فوالذى نفسى بيده لأدخلنها. فقال له (ص) بم؟ قال: بأنى أحب اللّه و رسوله، و لا أفر من الزحف، فقال له (ص): صدقت.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۸۸

و قال له أنصارى: متى نقاتلهم يا رسول اللّه، إن لم نقاتلهم عند شعبنا.

و قال آخر: إنى لا أحب أن ترجع قريش إلى قومها لتقول: حصرنا محمدا فى صياصى يثرب و آطامها؛ فتكون هذه جرأة لقريش، و ها هم قد وطأوا سعفنا، فإذا لم نذبّ عن عرضنا فلم ندّرع؟!

و قال آخر: إن قريشا مكثت حولا تجمع الجموع، و تستجلب العرب فى بواديها، و من اتبعها من أحابيشها، ثم جاؤونا قد قادوا الخيل، و اعتلوا الإبل، حتى نزلوا ساحتنا؛ فيحصـروننا فى بيوتنا و صياصينا؟ ثم يرجعون و افرين لم يكلموا؟!؛ فيجرّؤهم ذلك علينا، حتى يشنوا الغارات علينا، و يصـيبوا أطلالنا، و يضـعوا العيون و الأرصاد علينا. مع ما قـد صـنعوا بحروثنا، و يجترئ علينا العرب حولنا إلخ ... و ثمة كلام آخر هنا يروى عن حمزة و غيره لا مجال له هنا، فمن أراد المزيد فعليه بمراجعة المصادر.

و أبى كثير من الناس إلا الخروج، فنزل (ص) على رأى غالبيـة الناس، ثم دخل بيته ليلبس لامة الحرب. ففى هذه الأثناء أدركهم الندم على إصرارهم على النبى (ص) و استكراههم له، و هو أعلم باللّه و ما يريد، و يأتيه الوحى من السماء.

فلما خرج النبى (ص) عليهم و قد لبس لامته، ليتوجه مع أصحابه إلى حرب قريش، قالوا: يا رسول اللّه، أمكث كما أمرتنا. فقال «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»: ما ينبغى لنبى إذا أخذ لامة الحرب أن يرجع حتى يقاتل «۱».

---

(۱) راجع جميع ما تقدم فى: السيرة النبوية لإبن هشام ج ۳ ص ۶۷ و ۶۸، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۱ و ۴۲۲، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۱۸ و ۲۱۹، و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۸۸- ۱۹۰، و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۹۲ و ۹۳،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۸۹

ثم وعظهم و عقد الألوية، و خرج بجيشه لحرب قريش و جمعها.

و فى رواية: أنهم لما صاروا على الطريق قالوا: نرجع.

قال (ص): ما كان ينبغى لنبى إذا قصد قوما أن يرجع عنهم.

و ها هنا أمور هامة لا بد من التنبيه عليها.

ألف: هل النبى (ص) يحتاج إلى رأى أحد؟!

اشارة

قد تقدم فى الجزء السابق من هذا الكتاب فى فصل سرايا و غزوات قبل بدر؛ و فى نفس موقعة بدر بعض الكلام حول إستشارة الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» لأصحابه فى أمر الحرب.

و نعود هنا للإشارة إلى هذا الأمر من جديد، على أمل أن يضم القارىء ما كتبناه هنا و هناك، و هنالك، بعضه إلى بعض، و يستخلص النتيجة المتوخاة من طرح هذا الموضوع، و الإشارة إلى جوانبه المختلفة فنقول:

إنه لا ريب فى حسن المشاورة و صلاحها. و قد ورد الحث عليها فى الأخبار الكثيرة. و يقولون: إن النبى (ص) قد شاور أصحابه فى أكثر من مرة و مناسبة، حتى نزل فى مناسبة حرب أحد قوله تعالى:

فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ. وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ؛ فَاعْفُ عَنْهُمْ، وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ، وَ شاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ؛ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ. إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ

- و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۲۰۸ و ۲۲۶ ط دار الكتاب العلمية، و السيرة النبوية لإبن إسحاق ص ۳۲۴، و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۵۰، و السيرة النبوية لإبن كثير ج ۳ ص ۲۵ و ۲۶، و البدآية و النهاية ج ۴ ص ۱۲ و ۱۳، و راجع ص ۱۱ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۲۰۸- ۲۱۱ و ۲۱۴، و السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۲۱- ۲۳، و سيرة المصطفى ص ۳۹۵ و ۳۹۶، و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۰۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۹۰

إلخ «۱».

و عن ابن عباس بسند حسن: لما نزلت: و شاورهم فى الأمر، قال رسول اللّه (ص): أمّا إن اللّه و رسوله لغنيان عنها، و لكن جعلها اللّه رحمة لأمتى؛ فمن استشار منهم لم يعدم رشدا، و من تركها لم يعدم غيا «۲».

و السؤال هنا هو:

إنه إذا كان اللّه و رسوله غنيين عنها، فلماذا يأمر اللّه تعالى نبيه بأن يشاور أصحابه فى الأمر؟!.

و سؤال آخر، و هو: هل يمكن بضم الآية التى فى سورة الشورى:

وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ «۳»، و بضم سائر الروايات التى تحث على الإستشارة- هل يمكن- أن نفهم من ذلك: ضرورة اتخاذ الشورى كمبدأ فى الحكم و السياسة، و فى الإدارة، و فى سائر الموارد و المواقف، حسبما تريد بعض الفئات أن تتبنّاه، و توحى به على أنه أصل إسلامى أصيل و مطرد؟!.

الجواب عن السؤال الأول:

أما الجواب عن السؤال الأول: فنحسب أن ما تقدم فى الجزء السابق من هذا الكتاب فى فصل سرايا و غزوات قبل بدر، و كذا ما تقدم من الكلام حول الشورى فى بدر «۴» كاف فيه، و نزيد هنا تأييدا لما ذكرناه هناك ما يلى:

(۱) آل عمران: ۱۵۹- ۱۶۰.

(۲) الدر المنثور ج ۲ ص ۸۰ عن ابن عدى، و البيهقى فى شعب الإيمان.

(۳) سورة الشورى: ۳۸.

(۴) راجع غزوة بدر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۹۱

۱- قد يقال: إن بعض الروايات تفيد: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» لم يكن يستشير أصحابه إلا فى أمر الحرب.

فقد روى بسند رجاله ثقات، عن عبد اللّه بن عمرو، قال: كتب أبو بكر إلى عمرو بن العاص: إن رسول اللّه شاور فى الحرب، فعليك به «۱».

و إن كنا نرى: أن هذا لا يفيد نفى استشارته (ص) فى غير الحرب.

۲- إن قوله تعالى فى سورة آل عمران: (و شاورهم فى الأمر) خاص بالمشاورة فى الحرب، لأن اللام فى الآية ليست للجنس بحيث تشمل كل أمر، بل هى للعهد، أى شاورهم فى هذا الأمر الذى يجرى الحديث عنه، و هو أمر الحرب، كما هو واضح من الآيات السابقة و اللاحقة؛ فالتعدى إلى غير الحرب يحتاج إلى دليل.

۳- إن الآية تنص على أن استشارة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» لأصحابه لا تعنى أن يأخذ برأيهم حتى و لو اجتمعوا عليه؛ لأنها تنص على أن اتخاذ القرار النهائى يرجع إلى النبى (ص) نفسه، حيث قال تعالى: وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ، فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ.

۴- لقد ذكر العلامة السيد عبد المحسن فضل اللّه: أن الأمر فى الآية ليس للوجوب؛ و إلا لكانت بقية الأوامر فى الآية كذلك، و يلزم منه وجوب العفو عن كبائرهم حتى الشرك.

و إذا كان الضمير فى الآية يرجع إلى الفارين فهو يعنى: أن الشورى تكون لأهل الكبائر من أمته، مع أن اللّه قد نهى رسوله عن إطاعة الآثم،

(۱) مجمع الزوائد ج ۵ ص ۳۱۹ عن الطبرانى، و حياة الصحابة ج ۲ ص ۴۸ عن كنز العمال ج ۲ ص ۱۶۳ عن البزار و العقيلى و سنده حسن، و الدر المنثور ج ۲ ص ۹۰ عن الطبرانى بسند جيد عن ابن عمرو.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۹۲

و الكفور، و من أغفل اللّه قلبه «۱» فالحق: أن الأمر وارد عقيب توهم الحظر عن مشاورة هؤلاء، ليبيح مشاورتهم، و معاملتهم معاملة طبيعية «۲».

۵- إن رواية ابن عباس المتقدمة تفيد: أن استشارته (ص) أصحابه لا قيمة لها على صعيد اتخاذ القرار؛ لأن اللّه و رسوله غنيان عنها، لأنهما يعرفان صواب الآراء من خطئها، فلا تزيدهما الإستشارة علما، و لا ترفع جهلا، و إنما هى أمر تعليمى أخلاقى للأمة؛ بملاحظة فوائد المشورة لهم؛ لأنها تهدف إلى الإمعان فى استخراج صواب الرأى بمراجعة العقول المختلفة.

فعن على أمير المؤمنين «عليه السلام»: من استبد برأيه هلك، و من شاور الرجال شاركها فى عقولها «۳».

و عنه أيضا: الإستشارة عين الهداية، و قد خاطر من استغنى برأيه «۴».

و عن أنس عن النبى (ص): ما خاب من استخار، و ما ندم من استشار «۵». إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه.

و إذا كانت الإستشارة أمرا تعليميا أخلاقيا، فلا محذور على الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» فيها.

(۱) راجع: سورة الكهف آية ۲۹، و الأحزاب آية ۵۶، و الدهر آية ۳۴، و أقول:

و تنافى أيضا الآية التى فى سورة الشورى التى خصت الشورى بالمؤمنين الذين لهم صفات معينة.

(۲) راجع: الإسلام و أسس التشريع ص ۱۱۱- ۱۱۳ للعلامة السيد عبد المحسن فضل اللّه.

(۳) نهج البلاغة ج ۳ ص ۱۹۲ الحكمة رقم ۱۶۱.

(۴) نهج البلاغة ج ۳ ص ۲۰۱ الحكمة رقم ۲۱۱.

(۵) الدر المنثور ج ۲ ص ۹۰ عن الطبرانى فى الأوسط، و أمالى الطوسى ص ۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۹۳

ب: من أهداف استشارته (ص) لأصحابه:

اشارة

و يقول الشهيد السعيد، المفكر و الفيلسوف الإسلامى الكبير، آية اللّه الشيخ مرتضى مطهرى، قدس اللّه نفسه الزكية:

إن النبى (ص) و هو فى مقام النبوة، و فى حين كان أصحابه يتفانون فى سبيله، حتى ليقولون له: إنه لو أمرهم بأن يلقوا أنفسهم فى البحر لفعلوا، فإنه لا يريد أن ينفرد فى اتخاذ القرار، لأن أقل مضار ذلك هو أن لا يشعر أتباعه بأن لهم شخصيتهم و فكرهم المتميز، فهو حين يتجاهلهم كأنه يقول لهم: إنهم لا يملكون الفكر و الفهم و الشعور الكافى، و إنما هم مجرد آلة تنفيذ لا أكثر و لا أقل، و هو فقط يملك حرية إصدار القرار، و التفكير فيه دونهم.

و طبيعى أن ينعكس ذلك على الأجيال بعده (ص)، فكل حاكم يأتى سوف يستبد بالقرار، و سيقهر الناس على الإنصياع لإرادته، مهما كانت، و ذلك بحجة أن له فى رسول اللّه (ص) أسوة حسنة.

مع أنه ليس من لوازم الحكم الإستبداد بالرأى، فقد استشار النبى (ص)- و هو معصوم- أصحابه فى بدر و أحد «۱» إنتهى.

و نزيد نحن هنا: أن ظروف و أجواء آية: وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ.

تشعر بأنه قد كان ثمة حاجة لتأليف الناس حينئذ، و جلب محبتهم و ثقتهم، و إظهار العطف و الليونة معهم، و أن لا يفرض الرأى عليهم فرضا، رحمة لهم، و حفاظا على وحدتهم و اجتماعهم، و لمّ شعثهم، و جمع كلمتهم، و كبح جماحهم؟!؛ فالآية تقول: فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ؛ فَاعْفُ عَنْهُمْ، وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ، وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فكأنه كان قد بدر من أصحابه أمر سيء يستدعى

---

(۱) جريدة «جمهورى إسلامى» الفارسية عدد ۳۰ ربيع الأول ۱۴۰۰ ه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۹۴

العفو عنهم و اللين معهم، و إرجاع الإعتبار إليهم، ليطمئنوا إلى أن ما بدر منهم لم يؤثر على مكانتهم عنده، فلا داعى لنفورهم منه.

هذا كله عدا عما قدمناه حين الكلام على بدر، و على السرايا التى سبقتها، فى الجزء السابق من هذا الكتاب، فليراجع.

و أما الجواب عن السؤال الثانى:

فنشير إلى ما يلى:

۱- ما قدمناه: من أن قوله تعالى: وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ ليس إلا أمرا تعليميا أخلاقيا، و ليس إلزاميا يوجب التخلف عنه العقاب، و إنما

يمكن أن يوجب وقوع الإنسان فى بعض الأخطاء، فيكون عليه أن يتحمل آثارها، و يعانى من نتائجها.

۲- إن الضمير فى «أمرهم» يرجع إلى المؤمنين، و المراد به الأمر الذى يرتبط بهم؛ فالشورى إنما هى فى الأمور التى ترجع إلى المؤمنين و شؤونهم الخاصة بهم، و ليس للشرع فيها إلزام أو مدخلية، كما فى أمور معاشهم و نحوها، مما يفترض فى الإنسان أن يقوم به. أما إذا كان ثمة إلزام شرعى ف ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ «۱» وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ «۲».

فمورد الحكم، و السياسة، و الإدارة، و غير ذلك، لا يمكن أن يكون شورائيا إلا إذا ثبت أن الشارع ليس له فيه حكم، و نظر خاص.

و قد قال العلامة الطباطبائى مد اللّه فى عمره: «و الروايات فى المشاورة كثيرة جدا، و موردها ما يجوز للمستشير فعله و تركه بحسب

---

(۱) الأحزاب آية: ۳۶.

(۲) النور آية: ۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۹۵

المرجحات. و أما الأحكام الإلهية الثابتة، فلا مورد للإستشارة فيها، كما لا رخصة فيها لأحد، و إلا كان اختلاف الحوادث الجارية ناسخا لكلام اللّه تعالى» «۱».

۳- قوله تعالى: وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ظاهر فى كون ذلك فى ظرف كونه حاكما و واليا عليهم؛ فإن عليه أن يستشيرهم فى هذا الظرف. و هذا لا يعنى أبدا أن يكون نفس الحكم شورائيا و انتخابيا، بأى وجه. هذا كله، عدا عن احتمال أن يكون هذا الأمر واردا فى مقام توهم الحظر، فلا يدل على أكثر من إباحة المشاورة، و لا يدل على الإلزام بها. و هو احتمال قوى كما أوضحناه فى ما سبق.

۴- إن القرار النهائى يتخذه المستشير نفسه، و لربما وافق رأى الأكثر، و لربما خالفهم. و يدل على ذلك قوله تعالى: فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ. و ليس فى الآية إلزام برأى الأكثرية، بل و لا برأى الكل لو حصل إجماعهم على رأى واحد.

۵- إن هذه الشورى التى دلّ عليها قوله تعالى: وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ ليست لكل أحد، و إنما هى خاصة بأولئك المؤمنين الذين لهم تلك الصفات المذكورة فى الآيات قبل و بعد هذه العبارة، و ليس ثمة ما يدل على تعميمها لغيرهم، بل ربما يقال بعدم التعميم قطعا، فقد قال تعالى: فَما أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا، وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَواحِشَ، وَ إِذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ. وَ الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ، وَ أَقامُوا الصَّلاةَ، وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ، وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ. وَ الَّذِينَ إِذا أَصابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ «۲».

---

(۱) تفسير الميزان ج ۴ ص ۷۰.

(۲) الشورى ۳۶- ۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۹۶

فهؤلاء هم أهل الشورى «۱»، و ليس لغيرهم الحق فى أن يشاركهم فيها؛ لأن ذلك الغير، لا يؤمن على نفسه؛ فكيف يؤمن على مصالح العباد، و دمائهم، و أموالهم، و أعراضهم؟!.

ج: نظرية: خلافة الإنسان، و شهادة الأنبياء:

اشارة

و يقول الشهيد السعيد، المفكر الإسلامى، آية اللّه السيد محمد باقر الصدر، قدس اللّه نفسه الزكية، ما ملخصه:

إن اللّه عز و جل قد جعل الخلافة لآدم (ع)، لا بما أنه آدم، بل بما أنه ممثل لكل البشرية، فخلافة اللّه فى الحقيقة هى للأمة و للبشر أنفسهم، فقد قال تعالى: وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ: إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً، قالُوا: أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ، وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ؟ قالَ: إِنِّى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ «۲».

كما أن المراد بالأمانة فى قوله تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ، وَ الْأَرْضِ، وَ الْجِبالِ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها، وَ أَشْفَقْنَ مِنْها، وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا «۳» هذه الخلافة بالذات، و هى التى تعنى الإدارة و الحكم فى الكون.

---

(۱) و احتمال: أن يكون المعنى: ما عند اللّه خير و أبقى لجماعات مختلفة و هم:

۱- الذين آمنوا.

۲- الذين يجتنبون كبائر الإثم إلخ .. هذا الإحتمال خلاف الظاهر هنا، فإن المراد أن الذين يجمعون هذه الصفات هم الذين يكون ما عند اللّه خير و أبقى لهم. و إلا فلو كان أحد ينتصر على من بغى عليه و لكنه غير مؤمن مثلا، فلا شك فى أن ما عند اللّه ليس خيرا و أبقى له. و كذا لو كان أمرهم شورى بينهم و هم غير مؤمنين.

(۲) البقرة: ۳۰.

(۳) الأحزاب: ۷۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۹۷

و استشهد على ذلك أيضا بقوله تعالى: يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ، فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِ «۱». و بقوله تعالى: إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ «۲». و بقوله تعالى: ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِى الْأَرْضِ «۳».

و رتب على ذلك: أنه بعد وفاة النبى (ص)، و فقد الإمام، و تحرر الأمة من الطاغوت، تمارس الأمة دورها فى الخلافة الزمنية، و يكون دور المجتهد المرجع هو الشهادة و الرقابة على الأمة.

و قال ما ملخصه: إن اللّه هو رب الأرض و خيراتها، و رب الإنسان و الحيوان، فالإنسان مستخلف على كل ذلك. و من هنا كانت الخلافة فى القرآن أساسا للحكم. و قد فرّع اللّه الحكم بين الناس على جعل داود خليفة. و لما كانت الجماعة البشرية هى التى منحت- ممثلة بآدم- هذه الخلافة، فهى إذن المكلفة برعاية الكون، و تدبير أمر الإنسان، و السير بالبشرية فى الطريق المرسوم للخلافة الربانية.

و هذا يعطى مفهوم الإسلام الأساسى عن الخلافة، و هو أن اللّه تعالى قد أناب الجماعة البشرية فى الحكم، و قيادة الكون و إعماره، إجتماعيا و طبيعيا. و على هذا الأساس تقوم نظرية حكم الناس لأنفسهم، و شرعية ممارسة الجماعة البشرية حكم نفسها بوصفها خليفة عن اللّه.

و فى عملية إعداد و تربية الأمة يتولى النبى و الإمام مسؤولية الرقابة و الشهادة على الأمة، و مسؤولية الخلافة؛ ليهيء الأمة لتحمل مسؤولياتها فى الوقت المناسب. و بعد أن فقد الإمام (ع)؛ بسبب ظروف معينة

---

(۱) ص: ۲۶.

(۲) الأعراف: ۶۹.

(۳) يونس: ۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۹۸

تعرضت لها الأمـة؛ فإن المرجع- غير المعصوم- لا بـد و أن يتولى أمر الخلافـة و الشـهادة ما دامت الأمـة محكومة للطاغوت، و مقصاة عن حقها فى الخلافة العامة.

«و أما إذا حررت الأمة نفسـها، فخط الخلافة ينتقل إليها؛ فهى التى تمارس الخلافة السياسية و الإجتماعية فى الأمة، بتطبيق أحكام اللّه، و على أسـاس الركـائز المتقدمـة للإسـتخلاف الربـانى. و تمـارس الأمـة دورها فى الخلافـة فى الإطار التشـريعى للقاعـدتين القرآنيتين التاليتين:

وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ.

فـإن النص الأـول يعطى للأمـة صـلاحية ممارسـة أمورهـا عن طريق الشورى، مـا لم يرد نص خاص على خلاف ذلك. و النص الثانى يتحـدث عن الولاية، و أن كل مؤمن ولى الآخرين. و يريد بالولاية تولى أموره، بقرينة تفريع الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر عليه. و النص ظاهر فى سريان الولاية بين كل المؤمنين و المؤمنات بصورة متساوية.

و ينتج عن ذلك: الأخذ بمبدأ الشورى، و برأى الأكثرية عند الاختلاف.

و هكذا، وزّع الإسـلام فى عصـر الغيبة مسؤوليات الخطين بين المرجع و الأمة، و بين الإجتهاد الشـرعى و الخلافة الزمنية» «۱» إلى آخر كلامه قدس اللّه نفسه الزكية.

---

(۱) هذا محصل ما جاء فى كتاب: خلافة الإنسان و شهادة الأنبياء للشهيد الصدر، و الفقرات الأخيرة هى فى ص ۵۳/ ۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۹۹

مناقشة ما تقدم:

و نحن نسجل هنا النقاط التالية:

أولا: إن الآية القرآنية التى استدل بها رحمه اللّه تقول:

وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ، وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ، وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ، أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ «۱».

فـإذا كان تفريع الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر دليلا على أن المراد بالولايـة هو تولى أمور بعضـهم البعض، كما ذكره قـدس اللّه نفسه الزكية، فما هو وجه تفريع إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة على ذلك؟!.

و لم لا ـ يفهم من الآيـة: أنهـا- فقـط- فى مقـام إعطاء حق الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر للمؤمنين جميعا؛ فهى تجعل لهم الولاية بهذا المقدار، لا أكثر؟!

بل لم لا يفهم منها: أنها فى مقام إعطائهم حق الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، بسـبب محبة بعضـهم بعضا، أو بسبب كون بعضهم تابعا لبعض، و مطيعا له، أو بسبب نصرته له، و نحو ذلك؛ فقد ورد للولى معان كثيرة، و منها: المحب. و الصديق، و النصير.

و الـولى: فعيـل، بمعنى فاعـل، مـن وليه إذا قـام به، قـال تعـالى: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ، وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ، يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ «۲».

بل إن من يلاحظ آيات إعطاء الولاية للمؤمنين و سواها من الآيات، يخرج بحقيقة: أن اللّه سبحانه يريد للناس المؤمنين أن يكونوا أمة واحدة، و بمنزلة الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء. و كل

---

(۱) التوبة: ۷۱.

(۲) البقرة: ۲۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۰۰

هذه الأعضاء للجسد الواحد إنما تحافظ على ذلك الواحد بكل ما تقدر عليه، و ذلك بالدفاع عنه؛ و بالنصيحة لجماعة، و لأئمة المسلمين.

فاللّه ولى الذين آمنوا بالتشريع، و حفظ المصالح و الحكم، و للّه الأمر من قبل و من بعد، و للنبى (ص) و للإمام (ع) الولاية أيضا بجعل من اللّه، بهدف تدبير أمورهم و قيادتهم. و المؤمنون المرؤوسون للنبى (ص) و للإمام (ع) بعضهم أولياء بعض فى النصيحة و حفظ الغيب، و الإهتمام بأمور بعضهم بعضا، و النصرة، و المعونة، فليس معنى الولاية هو الحكومة لكل واحد منهم على الآخر، أو على المجتمع، بل ولى المجتمع و الحاكم فيه هو اللّه سبحانه.

و كخلاصة لما تقدم نقول:

إن كل هذه المعانى محتملة فى الآية المشار إليها- إن لم يكن من بينها (و هو الأخير) ما هو الأظهر- و ليس فيها ما يوجب تعيّن كون الولى فيها بمعنى الحاكم، و المتولى للأمر.

و ثانيا: لو كانت هذه الآية تعطى حقا للمؤمنين فى أن يحكم بعضهم بعضا؛ فاللازم أن تعطى الآيات الأخرى هذا الحق بالذات للكفار، و تصير حكومتهم على بعضهم البعض شرعية!! فقد قال تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا، وَ هاجَرُوا، وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَ الَّذِينَ آوَوْا، وَ نَصَرُوا، أُولئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ. وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ، حَتَّى يُهاجِرُوا وَ إِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ، إِلَّا عَلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ، وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ، إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَ فَسادٌ كَبِيرٌ «۱».

---

(۱) الأنفال: ۷۲ و ۷۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۰۱

فبقرينة المقابلة فى الآية هنا بين ولاية المؤمنين التى نشأت عنها مسؤوليات النصر و غير ذلك من أمور، تدل على أن المراد بالولاية تولى الأمور، و بين الآية الدالة على ولاية الكفار بعضهم لبعض، تكون النتيجة هى: جعل الحاكمية للكفار أيضا بالنسبة لبعضهم فيما بينهم، لو كان المراد بالولاية هو تولى الأمور كما يريد المستدل أن يقول.

و يؤيد ذلك أيضا قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ، بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ «۱» و قوله تعالى: إِنَّا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ «۲». و قال تعالى: وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ، وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ «۳». إلى غير ذلك من الآيات التى بهذا المضمون. حيث إن المقصود هو النهى عن إطاعة الشياطين، و عن الإنصياع لأوامر اليهود و النصارى.

بل إن الآية الأخيرة تنفى الولاية عن المؤمنين، و تخصها باللّه تعالى. فلو كان المراد بالولاية الحكم، لكانت ولاية الكفار شرعية كما قلنا.

و هذا مما لا يمكن القول به و لا المساعدة عليه، فلا بد من القول بأن الولاية التى يترتب عليها الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر، ليست بهذا المعنى، بل هى بمعنى النصيحة، و حفظ الغيب، و أنها ولاية بهذا المقدار لا أكثر.

و القول: بأن هذه الآيات و نظائرها ناظرة إلى أن من طبيعة الكفار أن يتولى بعضهم بعضا. و ليس فى مقام جعل ولاية شرعية لهم.

---

(۱) المائدة: ۵۱.

(۲) الأعراف: ۲۷.

(۳) الجاثية: ۱۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۰۲

يقابله القول: بأنه لم لا تكون الآيات التى تتعرض للولاية بين المؤمنين ناظرة إلى نفس هذا المعنى أيضا؟!.

و إذا كانت آيات ولاية الكفار يراد منها الولاية بمعنى النصرة، و المحبة، و نحو ذلك.

فلتكن تلك الآيات لها نفس هذا المعنى أيضا: فإنها كلها لها سياق واحد، و تريد أن تنفى و تثبت أمرا واحدا.

و ثالثا: لو سلمنا: أن معنى الآية هو: أن كل مؤمن ولى للآخرين، و سلمنا أن المراد بالولاية ليس هو حفظ مصالح الأمة الإسلامية بالنصيحة، و المعونة، و حفظ الغيب، و غير ذلك، مع أن ذلك هو الظاهر. و قبلنا بأن المراد بالولاية ولاية الحكومة، فحينئذ لنا أن نسأل هل يعنى ذلك: أن الآية تجعل كل مؤمن حاكما على الآخرين، و محكوما لهم فى آن واحد؟

أم أن الآية تريد فقط: أن تعطى للبعض الحق فى أن يحكم و يتسلط على البعض الآخر؟!. من دون أن يكون للمحكوم حق فى ذلك.

و بماذا ترجّح هذا على ذاك، دون العكس يا ترى؟!.

و لو سلمنا أن الظاهر هو الثانى، فما هى شرائط هذه الحكومة؟ و ما هى ظروفها؟ و ما الذى يجب توفره فى هذا الحاكم؟!: العلم؟ الإجتهاد؟

العدالة؟ إلخ. و من الذى يعين هذا الحاكم، و من يختاره؟ هل هو المعصوم؟ أم غيره؟.

و رابعا: بالنسبة لآيات الإستخلاف فى الأرض و الشهادة على الناس نشير إلى:

۱- إنه ليس فى آية سورة الأحزاب: أن المراد بالأمانة: الخلافة.

و قد قيل: إنها التكاليف. و قيل: هى العقل، و قيل: هى الولاية الإلهية.

و قيل: هى معرفة اللّه. إلى غير ذلك من الأقوال «۱».

---

(۱) راجع: تفسير الميزان ج ۱۶ ص ۳۴۸- ۳۵۲ فى تفسير الآية.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۰۳

و الجزم بأن المراد هو الخلافة، ثم ترتيب أحكام و استنتاجات معينة على ذلك، ليس بأولى من الجزم بغيره، فلا بد من ترجيح أحد هذه الوجوه بالقرائن. و ليس ثمة ما يوجب الإلتزام بخصوص هذا المعنى دون سواه مما ذكر.

بل إن فى الآية التى تلى تلك الآية ما يؤيد أن المراد بالآية أمرا اعتقاديا، أو نحو ذلك، و ليس الخلافة، فقد قال تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ، وَ الْأَرْضِ، وَ الْجِبالِ؛ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها، وَ أَشْفَقْنَ مِنْها، وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا. لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ، وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكاتِ، وَ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ، وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً.

۲- بالنسبة لآية استخلاف آدم، ليس فيها ما يشير إلى أن المراد هو استخلاف النوع البشرى، إلا قول الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها، و يسفك الدماء؟!. و هذا لا يدل على أكثر من أن الملائكة قد فهموا: أن هذا المخلوق الجديد (الخليفة) له طبيعة فيها مقتضيات الشر، تقتضى ما ذكروه، و لا تدل على أن الخلافة قد منحت لكل من له هذه الطبيعة.

۳- ثم، ما المراد بهذا الإستخلاف؟ هل هو الحكم و الإمارة؟، أم هو التسليط على الكون و ما فيه فى حدود قدراته، و اعطاؤه حق التصرف فى ما خلقه اللّه، على قاعدة قوله تعالى: هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيها و لذلك هو يطلب منهم شكر هذه النعمة، و الإيمان باللّه تعالى؟ الظاهر هو الثانى.

و يؤيد ذلك: أن من يطالع آيات الإستخلاف يجد: أن أكثرها ناظر إلى البشر جميعا، مؤمنهم و كافرهم، ثم هى تهدد الكافرين، و تتوعدهم.

و مما يؤيد أن يكون المراد بالخلافة فى أكثر الآيات، هو إعمار الكون: أنه إذا كان البشر خلفاء؛ فهم خلفاء على أى شىء؟! إنهم خلفاء

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۰۴

و وكلاء على غير أنفسهم؛ إذ لا يعقل أن يكون الشىء خليفة على نفسه.

فالبشرية لها خلافة على غيرها مما فى الكون.

و هذا يؤيد أن يكون معنى الخلافة ليس هو الإمارة.

۴- و فى مقابل ذلك نجد: أنه تعالى لم يستخلف المؤمنين فعلا، و إنما وعدهم بالإستخلاف حيث قال: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ «۱».

فالجمع بين هذه الآية، و الآيات الأخرى، يحتّم علينا أن نقول: إن المراد بآيات «خلائف» و نحوها، هو النيابة فى إعمار الكون، و التمكين من التصرف فى الطبيعة. و المراد من هذه الآية الأخيرة هو الحكم و السلطان، فهذه الآية أدل دليل على أن الخلافة بمعنى الحكم و السلطان لم تمنح للبشر عامة، و إنما وعد اللّه المؤمنين بها فى الوقت المناسب. و الظاهر:

أن ذلك سيكون فى زمن ظهور المهدى عليه الصلاة و السلام.

۵- إن آية استخلاف داود، و تفريع الحكم بين الناس بالحق على هذه الخلافة، التى لا بد و أن يكون معناها الحكم و السلطان، لا تدل على جعل الخلافة لكل البشر؛ فلعل كونه نبيا لم يتلبّس بشىء من الظلم أبدا- كما قال تعالى: لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ «۲»- له مدخلية فى استحقاق هذا المنصب الخطير؛ لأن نيله درجة النبوة، إنما هو لأجل أنه يحمل خصائص معينة- كالعصمة و نحوها- أهّلته لذلك الأمر الخطير الذى يتفرع عليه الحكم بالحق.

۶- إننا نلاحظ: أنه ليس فى جميع الآيات التى استعملت لفظ:

«خليفة»، و مشتقاته ما يدل على أن هذا المستخلف هو خليفة للّه لا لغيره. بل ذكرت الآيات: أن اللّه تعالى قد جعل خلفاء، و لم تبين: أنهم

---

(۱) النور: ۵۵.

(۲) البقرة: ۱۲۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۰۵

خلفاء لمن؟

فلعل المراد: أن آدم «عليه السلام» قد جاء لإعمار الأرض، و قد خلف من كان عليها من المخلوقات قبله «عليه السلام». و على هذا فلا مجال للإستدلال بتلك الآيات على ما أراده رحمه اللّه.

۷- و لو سلمنا، فإن الإستخلاف فى الأرض، ليس معناه جعل جميع المناصب الإلهية لهذا المستخلف. و ليس فى هذا اللفظ ما يفيد عموم المنزلة؛ بل هو ينصرف إلى نوع معين من الأمور؛ فمثلا لو قيل:

فلان استخلف فلانا على أهله؛ فإنه ينصرف إلى الإستخلاف فى أمور معينة يمكن الإستخلاف فيها. و لا يمكن أن يعنى ذلك ثبوت كل حق كان لذاك لهذا، فإن الإستخلاف حكم يجرى فى كل مورد قابل لذلك، أو فى الموارد التى ينصرف إليها الكلام بحسب خصوصيات المورد، و بحسب حالات الخطاب. و لا يمكن أن يتمسك بإطلاق الإستخلاف لإثبات قابلية ما يشك فى قابليته.

و خامسا: إن قوله تعالى: وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ، يدل على أن الأمور الراجعة لهم هى التى يمكن أن يمارسوا فيها حق الشورى؛ فلا بد أولا من إثبات: أن مسألة الحكم، و التصرف فى أمور الغير حق لهم.

ليمكنهم أن يفصلوا فيها عن طريق مبدأ الشورى، و لا يمكن للحكم أن يثبت موضوعه و يوجده، كما أشرنا إليه آنفا.

بل إن لـدينا ما يـدل على أن الحكومـة ليست حقا للناس، و لا يرجع البتّ فيها إليهم. و هو ما تقدم حين الكلام عن عرض النبى (ص) دعوته على القبائـل، حيث قـال لبنى عـامر: الأمر للّه يضـعه حيث يشاء. و سـيأتى فى غزوة بئر معونـة: أنه (ص) قـد قال ذلك لعامر بن الطفيل أيضا.

ثم هناك مقبولـة- بل صـحيحة- عمر بن حنظلة التى تقول: «ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا، و نظر فى حلالنا و حرامنا، و عرف

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۰۶

أحكامنا، فليرضوا به حكما، فإنى قد جعلته عليكم حاكما «۱»» و كذا قوله:

العلماء حكام على الناس، و روايات كثيرة أخرى.

و لم يعين فى الروايـات: أن يكون ذلـك فى زمن الطـاغوت، أو فى مـا بعـد الإطاحـة به، و لاـ صورة رقى الأمـة إيمانيـا و فكريـا، و لا عدمها.

و سادسا: إن هـذه الشورى لا يفهم منها إلا مبدأ كلى مجمل. و لا تدل على أنه لو خالف بعض الأمة فيما يراد إجراء مبدأ الشورى فيه. فهل ينفذ حكم الأكثرية على تلك الأقلية؟ أم لا بد من إرضاء الجميع فى أى تصـرف، و أية قضية. و أنه لو تساوت الآراء فماذا يكون مصير الشورى؟ إلى غير ذلك مما يرتبط بشرائط الشورى و حدودها، و مواردها.

و أخيرا، فلو أنه رحمه اللّه استـدل على ولاية الفقيه بقول أمير المؤمنين «عليه السلام»: إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، و أعلمهم بأمر اللّه فيه «۲». و بصـحيحة عمر بن حنظلـة المشار إليها آنفا لكان أولى، فإنها تقرر: أن الحكم حق للفقيه الجامع للشـرائط فقط، و لا يحق لغيره أن يتصدى له، حيث قال «عليه السلام»: «فإنى قد جعلته عليكم حاكما».

د: ما هو رأى النبى (ص) فى أحد؟

غالب الروايات، بل كلها متفقـة على أن النبى «صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم» كان يرجح البقاء فى المدينة، و لكن إصـرار أصـحابه هو الذى دعاه إلى العدول عن هذا الرأى.

و لكن العلامة السيد الحسنى أيده اللّه تعالى يرى: أن النبى كان

---

(۱) الوسائل ج ۱۸ باب ۱۱ من أبواب صـفات القاضى حديث ۱. و الروايـة معتبرة جدا؛ فإن عمر بن حنظلة شـيخ كبير روى عنه عدد كبير من الثقـات الكبـار و الأعيـان، بـل لم يرو عنه ضـعيف إلاـ رجل واحـد. و من بين من روى عنه- و هم كثير- من لا يروى إلا عن ثقة- كما قيل- كابن بكير و صفوان الجمال.

(۲) نهج البلاغة ۲۴۷ و شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۹/ ۳۲۸ و بحار الأنوار ۳۴/ ۲۴۸- ۲۵۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۰۷

يرى الخروج إلى العـدو، عكس رأى عبـد اللّه بن أبى بن سلول، و إنمـا اسـتشارهم (ص) ليختبر نواياهم، و يسـتدل على ذلـك بما ملخصه:

إن ملاقاة جيش مكـة داخل المدينـة سـيمكنهم من إحتلالها خلال ساعات معـدودة؛ لأن المنافقين، و المرتابين من سـكان المدينة- و عـددهم كثير، و كـانوا على اتصال دائم معهم- سـيعاونونهم على النبى (ص) و المسـلمين. و لا يعقل أن يخلص ابن أبىّ و من معه من

المنافقين و المرتابين من المهاجرين و الأنصار فى الدفاع عن محمد (ص) و رسالته، و هم يلتقون مع الغزاة التقاء كاملا.

و كان ابن أبى هو المشير على الرسول (ص) بالبقاء فى المدينة، و وافقه على ذلك شيوخ المهاجرين. و أدرك النبى (ص) الغاية، و لكنه بقى يتظاهر بالموافقة على رأى ابن أبى؛ ليختبر بقية المسلمين، و إن كان فيمن وافق ابن أبى من لا يشك فى حسن نيته، كما أنه لا شك فى أن فيهم المتآمرين. و لما اختبرهم (ص)، و عرف نواياهم، أعلن عن رأيه الذى كان قد انطوى عليه من أول الأمر.

و يرجّح ذلك: أنه لما خرج المسلمون إلى أحد رجع ابن أبى فى ثلاثمائة و خمسين من أتباعه المنافقين، و بعض اليهود إلى المدينة بلا سبب. و فى رواية: أنه هو نفسه (ص) أمرهم بالرجوع، و قال: لا نحارب المشركين بالمشركين.

و ذلك دليل قاطع على سوء نواياهم، و أنه (ص) كان يتخوف منهم أن ينضموا إلى المشركين حين احتدام الحرب، و إذا كان فى ريب من أمرهم، و هم خارج المدينة؛ فكيف يوافقهم على مقابلة الغزاة فى داخلها، و يطمئن إليهم فى الدفاع عنها؟!.

و إذا كان ابن سلول صادقا فى قوله: إنه سيدافع عن المدينة فى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۰۸

الداخل، فلماذا رجع من الطريق و هو يعلم: أن جيش النبى (ص) بأمسّ الحاجة إلى المساعدة؟!.

إذن، فالخروج من المدينة هو الأصوب، و لو أنه بقى فيها لأصبح خلال ساعات معدودات تحت رحمة المشركين. إنتهى ملخصا «۱».

و يؤيد رأى العلامة الحسنى أيضا: المبدأ الحربى الذى أطلقه على «عليه السلام» حينما قال: ما غزى قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا «۲».

و نحن هنا نشير إلى ما يلى:

۱- إن أبا سفيان- كما تقدم- كان يخشى أن يلزم أهل يثرب صياصيهم، و لا يخرجوا منها «۳». و هذا يعنى: أنهم يعتبرون بقاء المسلمين فى المدينة معناه: تضييع الفرصة على قريش، و عدم تمكينها من تحقيق أهدافها.

و غاية ما استطاع صفوان بن أمية أن يقدمه لأبى سفيان، كبديل مرض و مقنع، هو أنهم حينئذ سوف يلحقون بأهل المدينة خسائر مادية كبيرة؛ فإنهم إن لم يصحروا لهم عمدوا إلى نخلهم فقطعوه؛ فتركوهم و لا أموال لهم.

إذن، فالموقف الصحيح كان هو البقاء فى المدينة، فإن الخسائر المادية يمكن الصبر عليها و تحملها، أما الخسائر فى الأرواح، فإنها تكون أصعب و أنكى، و رسول اللّه (ص) لم يكن ليعدل عن الموقف الصحيح هذا.

---

(۱) سيرة المصطفى ص ۳۹۶- ۳۹۹.

(۲) نهج البلاغة بشرح عبده ج ۱ ص ۶۴.

(۳) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۰۵، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۰۹

۲- إن ضرار بن الخطاب كان يخشى مثل ذلك أيضا، لأن الأنصار قتلوا قومه يوم بدر، فخرج إلى أحد، و هو يقول: «إن قاموا فى صياصيهم فهى منيعة، لا سبيل لنا إليهم، نقيم أياما، ثم ننصرف. و إن خرجوا إلينا من صياصيهم أصبنا منهم؛ فإن معنا عددا أكثر من عددهم، و نحن قوم موتورون، خرجنا بالظعن يذكرننا قتلى بدر، و معنا كراع و لا كراع معهم، و سلاحنا أكثر من سلاحهم، فقضى لهم إن خرجوا إلخ» «۱».

۳- لقد رأينا: أن صفوان بن أمية لم يذكر لأبى سفيان شيئا عن احتمال تعاون المنافقين معهم، و تمكينهم من القضاء على الإسلام و المسلمين بسهولة، أو على الأقل كان على أبى سفيان أن يدرك ذلك، و يبتهج له.

۴- إن من الواضح: أن ابن أبى، و من معه لم يكن باستطاعتهم الإقدام على مثل تلك الخيانة فى تلك الظروف؛ لأن معنى ذلك: أن يذبح من قومه من الخزرج و من المهاجرين أعداد هائلة، و لم يكن بإمكانه أن يسمح بذلك، و لا يوافقه عليه من معه؛ لأنهم قومهم و

أبناؤهم، و إخوانهم، و آباؤهم. و لم يكن التخلى عنهم سهلا و ميسورا إلى هذا الحد.

و إذا أرادوا أن يتخلوا عن مثل هؤلاء، و يسلموهم إلى القتل، بعد أن يقدموا هم أيضا العديد من القتلى، فمن يبقى لابن أبى- بعد استئصال هؤلاء- لا سيما بملاحظة قلة سكان المدينة آنئذ؟!. و هل تبقى المدينة مدينة؟!. و هل يمكن لإبن أبى أن ينصب نفسه ملكا على من يتبقى له فى ظروف كهذه؟! و هل سوف ينال هذا المنصب حقا؟!. و هل يستطيع بعد هذا أن يعتمد على إخلاص من معه له؟! و هل باستطاعته أن يحتفظ لهم بمكانتهم و بموقعهم فى قبال اليهود، الذين كانت العداوة بينهم و بين أهل

---

(۱) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۸۲، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۷۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۱۰

يثرب متأصلة على مر السنين؟!. و هل يستطيع أيضا: أن يقاوم أطماع من حوله من قبائل الغزو و الغارة؟! أو حتى أن يستقل فى اتخاذ القرار عن قريش؟! و هل باستطاعته أن يأمن قريشا، و يطمئن إلى التعامل معها على المدى البعيد، بعد أن أدركت مدى خطر المدينة على مصالحها الحيوية؟!. و هل؟ و هل؟ إلى آخر ما هنالك.

أم أن ذلك ليس فى الحقيقة إلا انتحارا سياسيا، لا مبرر له، و لا يقدم عليه أحد؟ و لا تساعد عليه أى من الموازين و المقاييس حتى الجاهلية منها، فضلا عن العقلائية و الإجتماعية؟!

و لقد كان باستطاعة ابن أبى: أن ينحاز إلى المشركين فى المعركة فى خارج المدينة، و ذلك- و إن كان أيضا يحمل فى طياته أخطارا جمة له و لأصحابه- أقرب إلى تحقيق أهدافه، و أسلم له فى الوصول إليها، بملاحظة ما سبق.

و لكن الظاهر هو أن دوافعه للإشارة بالبقاء هى حب السلامة، و عدم التعرض للأخطار المحتملة ما أمكنه. و حتى لا يتكرر انتصار النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» فى بدر مرة أخرى. و لا سيما مع ملاحظة زيادة عدد المسلمين، و حسن عدتهم بالنسبة إلى السابق، كما يفهم من الكلام المتقدم لبعض المشيرين.

يضاف إلى ذلك: أنهم الآن يدافعون عن شرفهم و عرضهم، و بلدهم، و عن وجودهم، فلا بد أن يكونوا أكثر تصميما و إقداما.

كما أن من الممكن أن يكون التزلف إلى النبى (ص) داخلا أيضا فى حسابات ابن أبى فى بادىء الأمر.

و نلاحظ: أن التزلف، و التظاهر الكلامى بالتدين، و بالغيرة على الإسلام و مصالح المسلمين، يكون لدى المنافقين أكثر من غيرهم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۱۱

هذا بالإضافة إلى أنه لو كان ثمة احتمال من هذا النوع لأشار إليه أبو سفيان، أو صفوان بن أمية، أو ضرار بن الخطاب، أو غيرهم، كما قلنا.

۵- بل إن العلامة الحسنى نفسه يقول: إن الذين أصروا على البقاء كان من بينهم المخلص و المنافق. و هذا ينافى قوله الآخر: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» كان يريد أن يختبر أصحابه، و يكتشف نواياهم، و إذن فقد فشل النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» فى محاولاته تلك، فكيف يقول الحسنى بعد ذلك: إنه (ص) وقف على نوايا الجميع، و محصها تمحيصا دقيقا؟!.

و الحقيقة هى: أن إصرارهم على الخروج كان ناشئا عن الأسباب التى ذكروها أنفسهم فى كلامهم.

۶- ثم إننا لا نوافق العلامة الحسنى: على أن النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» كان يتعامل مع أصحابه بهذه الطريقة الماكرة- و العياذ باللّه- فيظهر لهم خلاف ما يبطن؟! نعوذ باللّه من الزلل و الخطل فى القول و العمل.

إلا أن يكون مقصوده حفظه اللّه: أنه (ص) لم يظهر لهم رأيه، بل تركهم يظهرون له ما فى نفوسهم من دون أى تحفظ أو حياء، و ليتحملوا هم المسؤولية، ثم ليتألفهم بذلك، حتى إذا اختلفوا كان هو الحاسم للخلاف برأيه الصائب، و موقفه الحكيم.

و أخيرا؛ فإن لنا تحفظا على ما ذكره من أن ابن أبى قد رجع بمن معه من المنافقين، و بعض اليهود. فإن ذكر اليهود هنا فى غير محله،

لأنه (ص) لم يكن يحبذ الإستعانة باليهود، كما أنهم هم أنفسهم ما كانوا ليعينوه على قتال عدوه، و لا يرضى قومهم بذلك منهم، إلا إذا كانوا يريدون أن يكونوا فى جيش المسلمين عيونا للمشركين. و لم يكن ذلك ليخفى على النبى (ص) و لا المسلمين، و لعله لأجل ذلك نجده (ص) قد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۱۲

رفض قبولهم فى هذا الغزوة بالذات، و ارجعهم كما سنرى.

ه: لبس لامة الحرب يعنى القتال:

و قد رأينا أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» بعد أن لبس لامة حربه استجابة لرأى الأكثرية، يرفض الرجوع إلى الرأى الأول، لأن ذلك معناه أن ينتزع عنه مفهوم خاطىء، يضر بالمصلحة العليا للإسلام و المسلمين، و لا ينسجم مع مركزه كقائد، بل ربما تكون له آثار سيئة و خطيرة على المدى البعيد.

و هذا المفهوم هو أنه رجل ضعيف، تتقاذفه الأهواء و الآراء، و لا يملك اتخاذ القرار؛ بل هو ألعوبة بأيدى أصحابه، و المنتسبين إليه!

كما أن ذلك من شأنه أن يجعل قراراته فى المستقبل عرضة للصراعات الفكرية، بين أصحابه، الذين تختلف مستوياتهم فكريا، و اجتماعيا، و سياسيا، و إيمانيا، و غير ذلك. و يفسح المجال أمام أهل الأطماع، و ظهور الإختلاف، ثم التمزق، و الفشل الذريع. و لا يعود يملك مجتمعا منضبطا، قويا متماسكا، و قادرا على مواجهة الأخطار و المعضلات الجسام التى تنتظره، و المهمات التى لا بد أن يضطلع بها؛ فضلا عن أن يتحمل هذ المجتمع مسؤولية نشر الإسلام و الدفاع عنه فى العالم أجمع.

هذا كله عدا عن أن هذا التردد سوف يقلل من قيمة الوحى فى نفوسهم، و يضعف- من ثمّ- ارتباطهم بالغيب، و إيمانهم به، مع أن هذا ركن أساسى فى الدعوة الإسلامية، و فى نجاحها، و اطراد تقدمها.

فليكن هذا الموقف منه (ص) درسا لهم، يعلمهم: أنه لا ينبغى لهم أن يعارضوا الوحى الإلهى بعقولهم القاصرة عن إدراك عواقب الأمور.

و من الجهة الأخرى، فإن العدو سوف يرى فى هذا التردد ضعفا، و فشلا، و يزيد ذلك فى طمعه بالمسلمين، و جرأته عليهم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۱۳

و لسوف يجعله ذلك يعتمد أسلوب الضغط على النبى (ص) من خلال أصحابه، و يحاول تشويش مواقفه و تمييعها، إن لم يكن توجيهها إلى ما يوافق مصالحه و أهدافه عن هذا السبيل.

و أخيرا، فإن المعتزلى يرى: أن تردد المسلمين دليل على فشلهم فى الحرب، فإن النصر معروف بالعزم و الجد، و البصيرة فى الحرب.

و أحوالهم هنا كانت ضد أحوالهم فى بدر، و أحوال المشركين فى بدر كانت ضد أحوالهم هنا، و لذلك انكسرت قريش فى بدر «۱».

و نقول:

إن المسلمين لم ينكسروا فى أحد، و لم تنتصر قريش. بل هزمت هزيمة نكراء، كما سنرى و الذى حصل للمسلمين إنما كان سببه أفراد معدودون كانوا على فتحة جبل أحد.

و: من الأكاذيب:

و من الأكاذيب التى رأينا أن نذكّر القارىء بها:

أولا: ما ورد فى رواية نادرة من أن ابن أبى قد أشار بالخروج «۲».

و ذلك لا يصح إذ:

۱- لا يبقى معنى حينئذ لا حتجاج ابن أبى لرجوعه من وسط الطريق بأنه (ص): خالفه و أطاعهم.

۲- إن القرآن يلمح إلى أن المنافقين كانوا يصرون على البقاء فى المدينة، فإنه بعد رجوع المسلمين من أحد، و قد قتل منهم من قتل، قال

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۲۶.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۱۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۱۴

المنافقون: لو أطاعونا ما قتلوا «۱». و هؤلاء هم الذين احتجوا لرجوعهم بقولهم: لو نعلم قتالا لا تبعناكم.

ثانيا: يقولون: إنه (ص) خرج إلى أحد من بيت عائشة «۲».

مع أن من الثابت: أنه (ص) كان إذا سافر كان آخر عهده بفاطمة، و إذا رجع بدأ ببيت فاطمة أيضا «۳».

إلا أن يكون مقصودهم بيت عائشة الذى كان لفاطمة، و استولت عليه عائشة بعد وفاة الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» «۴».

ثالثا: قولهم: إنه بعد أن استشار النبى (ص) أصحابه، دخل بيته، و دخل معه أبو بكر و عمر، فعمّماه و لبّساه. لا يعبؤ به لضعف مستنده من جهة، و لأن النبى (ص) لم يكن يحتاج إلى من يعممه و يلبسه، بل كان باستطاعته أن يمارس ذلك بنفسه من جهة ثانية. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۶ ۱۱۴ عقد الألوية: ..... ص : ۱۱۴

عقد الألوية:

و بعد ان استشار رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» أصحابه، و خرج عليهم لابسا لأمة حربه، استخلف على المدينة ابن أم مكتوم و عقد

---

(۱) آل عمران: ۱۶۸.

(۲) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۱۳، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۲۵، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۸۴، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۳ عن ابن الكلبى، و مجاهد، و الواقدى.

(۳) مسند أحمد ج ۵ ص ۲۷۵، و ذخائر العقبى ص ۳۷ عن أحمد، و أبى عمر، و إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ۱۷۰ عن أحمد، و البيهقى، و غير ذلك كثير، فإنه لا مجال لتتبعه.

(۴) قد أوضحنا ذلك فى مقال لنا بعنوان: «أين دفن النبى (ص) فى بيت عائشة أم فى بيت فاطمة؟» فراجع كتابنا: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام الجزء الأول.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۱۵

الألوية.

فأعطى اللواء أمير المؤمنين «عليه السلام»، كما نص عليه البعض «۱».

و يقول البعض: إن لواء المهاجرين كان مع على، و قيل: مع مصعب بن عمير «۲» و يقال: إنه اللواء الأعظم «۳».

و قيل: إنه (ص) سأل عمن يحمل لواء المشركين، فقيل له: طلحة بن أبى طلحة، فأخذ اللواء من على و دفعه إلى مصعب بن عمير، لأنه من بنى عبد الدار، و هم أصحاب اللواء فى الجاهلية «۴».

و كان لواء الأوس مع أسيد بن حضير، و لواء الخزرج مع حباب بن المنذر، و قيل: مع سعد بن عبادة، كذا يقولون.

اللواء مع على (ع) فقط:

و نقول:

لا يصح ما ادعوه من أن اللواء كان مع مصعب بن عمير، أو أنه أخذه من على، و أعطاه لمصعب. و الصحيح هو أنه كان مع على «عليه السلام» فى أحد، و بدر، و فى كل مشهد. و يدل على ذلك:

---

(۱) الأوائل لأبى هلال ج ۱ ص ۱۸۳. و الثقات لإبن حبان ج ۱ ص ۲۲۴- ۲۲۵، و راجع: البحار ج ۲۰ ص ۴۹، و تفسير القمى ج ۱ ص ۱۱۲.

(۲) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۱۵، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۲۷، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۲.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۶ عن المنتقى.

(۴) أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۱۷، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۳۲، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۱۶

۱- ما تقدم فى غزوة بدر: من أن عليا (ع) كان صاحب لواء رسول اللّه (ص) فى بدر، و فى كل مشهد.

۲- عن ابن عباس، قال: لعلى بن أبى طالب (ع) أربع ما هن لأحد: هو أول عربى و عجمى صلى مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و هو صاحب لوائه فى كل زحف. و هو الذى ثبت معه يوم المهراس؛ و فر الناس. و هو الذى أدخله قبره «۱».

۳- عن ابن عباس: كان على أخذ راية رسول اللّه يوم بدر. قال [الحكم] الحاكم: و فى المشاهد كلها «۲».

۴- و عن مالك بن دينار: سألت سعيد بن جبير و إخوانه من القراء:

من كان حامل راية رسول اللّه (ص)؟ قالوا: كان حاملها على (رض).

و فى نص آخر: أنه لما سأل مالك سعيد بن جبير عن ذلك غضب سعيد، فشكاه مالك إلى إخوانه من القراء، فعرّفوه: أنه خائف من الحجاج. فعاد و سأله، فقال: كان حاملها على (رض). هكذا سمعت من عبد اللّه بن عباس «۳».

و فى نص آخر عن مالك بن دينار قال: قلت لسعيد بن جبير: من كان صاحب راية رسول اللّه (ص)؟

قال: إنك لرخو اللبب.

---

(۱) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۱۱، و تلخيصه للذهبى بهامشه، و مناقب الخوارزمى ص ۲۱/ ۲۲، و إرشاد المفيد ص ۴۸، و تيسير المطالب ص ۴۹.

(۲) ذخائر العقبى ص ۷۵، و الرياض النضرة المجلد الثانى، جزء ۴ ص ۱۵۶.

(۳) راجع: مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۳۷ و صححه و قال: له شاهد من حديث زنفل العرفى، و فيه طول فلم يخرجه الحاكم، و مناقب الخوارزمى ص ۲۵۸/ ۲۵۹، و ذخائر العقبى ص ۷۵ عن أحمد فى المناقب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۱۷

فقال لى معبد الجهنى: أنا أخبرك: كان يحملها فى المسير ابن ميسرة العبسى، فإذا كان القتال؛ أخذها على بن أبى طالب رضى اللّه عنه «۱».

۵- عن جابر: قالوا: يا رسول اللّه، من يحمل رايتك يوم القيامة؟

قال: من عسى أن يحملها يوم القيامة، إلا من كان يحملها فى الدنيا، على بن أبى طالب؟! و فى نص آخر: عبر باللواء بدل الراية «۲».

۶- و حينما مر سعد بن أبى وقاص برجل يشتم عليا، و الناس حوله فى المدينة، وقف عليه، و قال: يا هذا، على ما تشتم على بن أبى طالب؟

ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ و ذكر حتى قال:

ألم يكن صاحب راية رسول اللّه (ص) فى غزواته؟ «۳».

و ظاهر كلامه هذا: أن ذلك كان من مختصاته صلوات اللّه و سلامه عليه.

---

(۱) الطبقات الكبرى ط ليدن ج ۳ ص ۱۵ قسم ۱.

(۲) هامش ص ۱۸۰ من احتجاج الطبرسى، و الرياض النضرة المجلد الثانى ج ۳ ص ۱۷۲ عن نظام الملك فى أماليه، و كفاية الطالب ص ۳۳۶ و قال: ذكره محدث الشام- أى ابن عساكر- فى ترجمة على (ع) من كتابه بطرق شتى عن جابر، و عن أنس، و كنز العمال ج ۱۵ ص ۱۱۹، و راجع ص ۱۳۵ عن الطبرانى، و مناقب أمير المؤمنين لإبن المغازلى ص ۲۰۰، و عمدة القارى ج ۱۶ ص ۲۱۶، و مناقب الخوارزمى ص ۳۵۸.

(۳) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۵۰۰، و صححه على شرط الشيخين هو و الذهبى فى تلخيص المستدرك، و حياة الصحابة ج ۲ ص ۵۱۴/ ۵۱۵. و أظن أن القضية كانت مع سعد بن مالك أبى سعيد الخدرى، لأن سعد بن أبى وقاص كان منحرفا عن أمير المؤمنين. و يشير إلى ذلك ما ذكره الحاكم فى مستدركه ج ۳ ص ۴۹۹ من أن أبا سعيد قد دعا على من كان ينتقص عليا فاستجاب اللّه له.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۱۸

۷- عن مقسم: أن راية النبى (ص) كانت تكون مع على بن أبى طالب، ورايةالأنصار مع سعد بن عبادة، و كان إذا استحر القتال كان النبى (ص) مما يكون تحت راية الأنصار «۱».

۸- عن عامر: إن راية النبى (ص) كانت تكون مع على بن أبى طالب، و كانت فى الأنصار حيثما تولوا «۲».

و قد يقال: إن هذين النصين الواردين تحت رقم ۷ و ۸ لا يدلان على أن الراية كانت دائما مع على «عليه السلام» بصورة أكيدة و صريحة، و إن كان يمكن أن يقال: إن ظاهر هما هو ذلك.

۹- عن ثعلبة بن أبى مالك، قال: كان سعد بن عبادة صاحب راية رسول اللّه (ص) فى المواطن كلها؛ فإذا كان وقت القتال أخذها على بن أبى طالب «۳».

۱۰- قال ابن حمزة: «و هل نقل أحد من أهل العلم: أن عليا كان فى جيش إلا و هو أميره؟» «۴».

۱۱- و فى حديث المناشدة: أن عليا «عليه السلام» قال: نشدتكم اللّه، هل فيكم أحد صاحب راية رسول اللّه (ص) منذ يوم بعثه اللّه إلى يوم قبضه، غيرى؟!

---

(۱) المصنف لعبد الرزاق ج ۵ ص ۲۸۸، و راجع: فتح البارى ج ۶ ص ۸۹ عن أحمد عن ابن عباس بإسناد قوى.

(۲) المصنف لعبد الرزاق ج ۵ ص ۲۸۸.

(۳) أسد الغابة ج ۴ ص ۲۰، و أنساب الأشراف ج ۲ ص ۱۰۶ لكن فيه: ميسرة العبسى بدل سعد بن عبادة.

(۴) الشافى لإبن حمزة ج ۴ ص ۱۶۴

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۱۹

قالوا: اللهم لا «۱».

و بالنسبة لخصوص واقعة أحد نقول:

۱- عن على قال: كسرت يده يوم أحد، فسقط اللواء من يده؛ فقال رسول اللّه (ص): دعوه فى يده اليسرى، فإنه صاحب لوائى فى الدنيا و الآخرة «۲».

۲- قد ورد فى احتجاج الإمام الحسن المجتبى صلوات اللّه و سلامه عليه بفضائل أمير المؤمنين (ع) على معاوية، و عمرو بن العاص، و الوليد الفاسق ورد قوله: «و أنشدكم اللّه، ألستم تعلمون: أنه كان صاحب راية رسول اللّه (ص) يوم بدر، و إن راية المشركين كانت مع معاوية، و مع أبيه، ثم لقيكم يوم أحد، و يوم الأحزاب، و معه راية رسول اللّه (ص)، و معك و مع أبيك راية الشرك إلخ» «۳».

۳- قال ابن هشام: «لما اشتد القتال يوم أحد، جلس رسول اللّه (ص) تحت راية الأنصار، و أرسل إلى على: أن قدم الراية. فتقدم على؛ فقال: أنا أبو القصم. فطلب أبو سعيد بن أبى طلحة. و هو صاحب لواء المشركين منه البراز، فبرز إليه على، فضربه على فصرعه «۴».

و هذا معناه: أنه «عليه السلام» كان صاحب الراية العظمى، فأمره (ص) بالتقدم، ثم طلب منه صاحب لواء المشركين البراز، لأنه إذا

---

(۱) المسترشد فى إمامة على (ع) ص ۵۷.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۴، و الرياض النضرة المجلد الثانى ج ۴ ص ۱۵۶ عن ابن الحضرمى، و ذخائر العقبى ص ۷۵ بلفظ. «ضعوه».

(۳) كفاية الطالب ص ۳۳۶، و شرح النهج للمعتزلى ج ۶ ص ۲۸۹، و الغدير ج ۱۰ ص ۱۶۸ عنه.

(۴) السيرة النبوية لإبن هشام ج ۳ ص ۷۸، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۲۰

سقطت الراية العظمى انكسر الجيش و انهزم.

۴- و قال القوشجى: فى غزاة أحد جمع له الرسول (ص) بين اللواء و الراية «۱».

۵- عن أبى رافع قال: كانت راية رسول اللّه (ص) يوم أحد مع على، و راية المشركين مع طلحة بن أبى طلحة «۲».

۶- و يظهر من بعض الروايات الفرق بين اللواء و الراية، و قد قالوا:

إن الراية كانت فى يد قصى، ثم انتقلت فى ولده حتى انتهت إلى النبى (ص)، فأعطاها رسول اللّه (ص) لعلى فى غزاة ودّان، و هى أول غزاة حمل فيها راية مع النبى (ص)، ثم لم تزل مع على فى المشاهد، فى بدر و أحد.

و كان اللواء يومئذ فى بنى عبد الدار، فأعطاه رسول اللّه (ص) لمصعب بن عمير، فاستشهد، و وقع اللواء من يده، فتشوقته القبائل؛ فأخذه رسول اللّه (ص)، فدفعه إلى على، فجمع له يومئذ الراية و اللواء، فهما إلى اليوم فى بنى هاشم «۳».

و يظهر أن هذا هو مراد القوشجى من كلامه الآنف.

لا فرق بين اللواء و الراية:

و نقول: إن هذه الروايات تنافى ما تقدم عن ابن عباس، و جابر، و قتادة، من أنه «عليه السلام» كان صاحب لوائه (ص) فى كل زحف.

و قد دلت النصوص المتقدمة على أن عليا (ع) هو صاحب لواء

(۱) شرح التجريد للقوشجى ص ۴۸۶.

(۲) اللآلى المصنوعة ج ۱ ص ۳۶۵.

(۳) الإرشاد للشيخ المفيد ص ۴۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۲۱

رسول اللّه (ص)، و هو أيضا صاحب راية رسول اللّه، لو كان ثمة فرق بينهما.

و نحن نشك فى ذلك، لأن بعض أهل اللغة ينصون على عدم الفرق «۱»، فإن كلا منهما عبارة عما يجعله القائد من الأقمشة فى طرف رمح أو نحوه.

و نجد وصف اللواء بالأعظم تارة «۲»، و وصف الراية بالعظمى أيضا «۳».

إلا- أن يقال: إن مصعب بن عمير كان صاحب لواء المهاجرين، فلما استشهد فى أحد صار لواؤهم إلى على، فعلى «عليه السلام» صاحب راية و لواء رسول اللّه، و هو أيضا صاحب لواء المهاجرين. و لعل هذا هو الأظهر.

و قد تقدم بعض الكلام حول هذا الموضوع فى غزوة بدر أيضا، فلا نعيد.

عدة و عدد المسلمين:

ثم توجّه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» إلى أحد و معه: ألف رجل، و يقال: تسعمائة، و زاد بعضهم خمسين.

منهم مئة دارع.

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۴۷.

(۲) راجع حياة الصحابة ج ۱ ص ۴۳۱، و تاريخ ابن عساكر ترجمة على (ع) بتحقيق المحمودى ج ۱ ص ۱۱۰ و المنتقى.

(۳) كما فى قول ابن أبى الحديد عن هزيمة الشيخين فى خيبر

و للراية العظمى و قد ذهبا بهاملابس ذل فوقها و جلابيب

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۲۲

ليس معهم فرس «۱».

و قيل: مع النبى (ص) فرسه، و فرس لأبى بردة بن نيار «۲».

و قيل: كان معهم فرس واحد «۳».

رجوع المنافقين:

و يظهر مما يأتى: أنه (ص) خرج نحو أحد من ثنية الوداع، شامى المدينة.

و رجع ابن أبى مما بين المدينة و أحد بمن معه من المنافقين، و أهل الريب. و كانوا ثلاثمائة رجل، و قال: محمد عصانى و أطاع الولدان؟

سيعلم. ما ندرى علام نقتل أنفسنا و أولادنا ها هنا أيها الناس؟

فرجعوا. و تبعهم جابر بن عبد اللّه الأنصارى يناشدهم اللّه فى أنفسهم، و فى نبيهم، فقال ابن أبى: لو نعلم قتالا لاتبعناكم، و لو أطعتنا

لرجعت معنا.

و قيل: إن النبى (ص) أمرهم بالإنصراف، لكفرهم «۴».

فبقى (ص) فى سبعمائة من أصحابه، أو ستمائة.

و برجوع ابن أبى سقط فى أيدى بنى حارثة و بنى سلمة، ثم عادوا إلى الموقف الحق، قال تعالى: إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۸۴ و ۲۸۵ عن ابن عقبة، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۱، و فتح البارى.

(۲) تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۱۹۰، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۱.

(۳) مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۱۷ عن الطبرانى، و حياة الصحابة ج ۳ ص ۷۶۹ عن كنز العمال ج ۳ ص ۱۳۵ عن الطيالسى.

(۴) سيرة مغلطاى ص ۴۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۲۳

الآية.

و روى بسند رجاله ثقات: أنه بعد أن جاوز النبى (ص) ثنية الوداع، إذا هو بكتيبة خشناء، فقال (ص): من هؤلاء؟ قالوا: عبد اللّه بن أبى بن سلول فى ستمائة من مواليه اليهود. فقال: و قد أسلموا؟ قالوا: لا يا رسول اللّه، قال: مروهم فليرجعوا، فإننا لا ننتصر بأهل الكفر على أهل الشرك. أو: فإننا لا نستعين بالمشركين على المشركين «۱».

الخيانة و آثارها:

إن من الطبيعى: أن يكون لا نخذال ابن أبى و رجوعه بمن معه من المنافقين أثر سىء على نفوس المسلمين و معنوياتهم، فإن حدوث الخيانة هذه قد كانت أحد الأسباب الرئيسية لتهيؤ بعض المسلمين نفسيا للهزيمة فى المعركة، و هم بنو حارثة، و بنو سلمة.

و قد حكى اللّه ذلك بقوله: إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا «۲».

و قد جاءت هذه الخيانة فى لحظات حرجة و حساسة، قد مهدت الطريق، و منحت العذر لمن تبقى من المنافقين للفرار فى أحرج اللحظات، و أخطرها على الإسلام و المسلمين بصورة عامة.

و هذا يؤيد، و يؤكد سلامة موقفه (ص) فى إرجاعه فى غزوة بدر من لم يكن مسلما، و عدم قبوله باشتراك بعض اليهود فى حرب أحد، حيث أرجع كتيبتهم كما سلف. و لذلك شواهد كثيرة فى حياته (ص) يجدها

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۸۳، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۲ عن الوفاء، و الطبرانى فى الكبير و الأوسط بسند رجاله ثقات، و ذكر مثل ذلك عن الكشاف و معالم التنزيل و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۰، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۲۷، و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۱۵.

(۲) آل عمران: ۱۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۲۴

المتتبع فى السيرة النبوية.

و قد أشار اللّه تعالى إلى الأثر السىء لمواقف المنافقين فى العديد من الآيات، فهو تعالى يقول: لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زادُوكُمْ إِلَّا خَبالًا «۱».

و يعطى قاعدة عامة فى التعامل مع غير المؤمنين، فيقول: وَ لا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ «۲» إلى غير ذلك مما لا مجال

لتتبعه.

و بعد هذا، فإننا نعرف عدم صحة ما روى عن الزهرى، قال: «كان يهود يغزون مع النبى (ص)؛ فيسهم لهم كسهام المسلمين» «۳».

و ما ذلك إلا لأنه قد زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَياةُ الدُّنْيا، وَ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا «۴»، و لأن: الَّذِينَ آمَنُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ «۵». و من هذا المنطلق، قال ابن أبىّ هنا: ما ندرى علام نقتل أنفسنا و أولادنا؟.

و من جهة ثانية، فإن المنافقين و اليهود كانوا يلتقون مع المشركين فى الهدف مرحليا؛ لأنهم جميعا لا يستطيعون أن يروا انتصار الإسلام و المسلمين فى المنطقة، لأنهم- و هم الذين لا همّ لهم إلا الدنيا- يرون ذلك يضر بمصالحهم، و بموقعهم السياسى، و الإجتماعى، و الإقتصادى فى المنطقة.

---

(۱) التوبة: ۴۷.

(۲) هود: ۱۱۳.

(۳) مصنف عبد الرزاق ج ۵ ص ۱۸۸، و سنن البيهقى ج ۹ ص ۵۳، و نقل عن ابن أبى شيبة.

(۴) البقرة: ۲۱۲.

(۵) النساء: ۷۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۲۵

و إذا حارب اليهود و المنافقون إلى جانب المسلمين، فإنما يفعلون ذلك إما تمهيدا للخيانة بهم، و إسلامهم إلى أعدائهم، و إما طمعا فى المال و الغنائم. و من يقاتل من أجل ذلك، فلا يستطيع أن يقدم على الأخطار، و لا أن يضحى بنفسه، بل إنما يكون مع المسلمين ما دام النصر حليفهم، حتى إذا رأى أنهم فى خطر، فإنه لا بد أن يخذلهم فى أحرج اللحظات، و هذا ما سوف يؤثر تأثيرا سلبيا على معنوياتهم، و من ثمّ على مستقبلهم و مصيرهم أيضا.

سؤال و جوابه:

و يبقى سؤال، و هو: أنه إذا كان الحال كذلك، فلماذا يقبل النبى (ص) المنافقين فى جيش المسلمين؟ مع أن ذلك يشكل خطرا عليهم؟! و لماذا لا يفضحهم و يكشفهم للناس؟! و إذا كان يمنع اليهود و غيرهم من الكفار من المشاركة، فلماذا لا يتخذ تدبيرا معينا يمنع به المنافقين من الحضور فى ساحة الحرب؟!

و الجواب يتلخص فى النقاط التالية:

۱- لقد كان النبى (ص) واقعا بين محذورين، كل منهما صعب و خطير.

أحدهما: سلبية خروج المنافقين إلى الحرب، و قد حددها اللّه سبحانه، حينما قال: لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زادُوكُمْ إِلَّا خَبالًا، وَ لَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ، يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ «۱».

و كان (ص) يستر ذلك عليهم ما داموا لم يظهروا هم أنفسهم ذلك، من خلال أفعالهم و مواقفهم، و أقوالهم.

الثانى: سلبية إبقاء المنافقين فى المدينة، يسرحون و يمرحون،

---

(۱) التوبة: ۴۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۲۶

و ربما يكون الخطر فى ذلك أعظم مما لو اصطحبهم معه فى الحرب، لأن ذلك يفسح المجال لهم للتآمر، من دون أن يكون ثمة من

يستطيع دفع كيدهم، ورد بغيهم.

و ما قضية تبوك إلا الدليل القاطع على ما نقول، حيث اضطر الرسول الأعظم (ص) إلى إبقاء خليفته و وصيه، و من هو منه بمنزلة هارون من موسى فى المدينة، حينما شعر أن تخلف المنافقين عن الخروج إلى تبوك يحمل فى طياته أخطارا جساما، لا يمكن لأحد مواجهتها إلا النبى (ص)، أو أخوه على «عليه السلام».

و قد رجح (ص) هذا على ذاك ليرد كيدهم، و يفشل مؤامراتهم، و لأجل ذلك كان يخرجهم معه إلى الحرب.

۲- ثم إن النفاق قد لا يتخذ صفة العنف، بل يظهر المنافق الإسلام حفاظا على مصالحه، أو لأسباب خاصة أخرى، مع عدم إبائه عن الدخول فيه، و تقبّله طبيعيا له، فهو لا يهتم بهدم الإسلام و الكيد له. فتبرز الحاجة- و الحالة هذه- إلى إعطائهم الفرصة للتعرف أكثر فأكثر على تعاليم الإسلام و أهدافه، و لكى يعيشوا أجواءه من الداخل، و ليكتشفوا ما أمكنهم من أسرار عظمته و أصالته، فتلين له قلوبهم، و تخضع له عقولهم. و لا أقل من أن أبناءهم، و من يرتبط بهم، يصبح أقدر على ملامسة واقع المسلمين، و التفاعل مع تعاليم الإسلام ما دام أنه يعيشها بنفسه، و تقع تحت سمعه و بصره.

و هذا بالذات ما كان يهدف إليه الإسلام من التألف على الإسلام، و إعطاء الأموال و الأقطاع، و حتى المناصب و القيادات لمن عرفوا ب «المؤلفة قلوبهم»، بالإضافة إلى ما كان يهدف إليه من دفع كيدهم و شرهم.

و ما تقدم يفسر لنا السبب الذى جعل رسول اللّه (ص) كان يقبل

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۲۷

بوجهه و حديثه على أشر القوم، يتالفهم بذلك، حتى إن عمرو بن العاص ظن بنفسه أنه خير القوم. ثم صار يسأل النبى (ص) عن المفاضلة بين نفسه و غيره، فلما عرف: أنهم أفضل منه، قال: «فلوددت أنى لم أكن سألته» «۱».

۳- إن سكوته (ص) عن المنافقين، و قبولهم كأعضاء فى المجتمع الإسلامى، إنما يريد به المحافظة على من أسلم من أبنائهم، و إخوانهم، و آبائهم، و أقاربهم، حتى لا تنشأ المشاكل العائلية الحادة فيما بينهم؛ و لا يتعرض المسلمون منهم للعقد النفسية، و المشكلات الإجتماعية، التى ربما تؤثّر على صمودهم و استمرارهم.

۴- و كذلك، فإن اتخاذ أى إجراء ضد المنافقين، لربما يكون سببا فى تقليل إقبال الناس على الإسلام، و عدم وثوقهم بمصيرهم، و ما سوف يؤول إليه أمرهم معه فيه، و لا سيما إذا لم يستطيعوا أن يتفهّموا سر ذلك الإجراء، و لا أن يطلعوا على أبعاده و خلفياته.

و لسوف يأتى: أن سبب إظهار وحشى للإسلام، هو أنه كان معروفا عن النبى (ص): أنه كان لا يتعرض لمن يظهر الإسلام بشىء يسوءه.

۵- إن اتخاذ أى إجراء ضد المنافقين معناه: فتح جبهة جديدة، كان بالإمكان تجنبها، و اضطرار هؤلاء الساكتين ظاهرا، انصياعا لظروفهم، إلى المجاهرة بالعداء، و الإعلان بالتحدى، و هم عدو داخلى كثير العدد، و خطير جدا، يعرف مواضع الضعف، و مواضع القوة، و يكون بذلك قد أعطاهم المبرر للإنضمام إلى الأعداء، العاملين ضد الإسلام و المسلمين.

و واضح أن تصرفا كهذا ليس من الحكمة و لا من الحنكة فى شىء،

---

(۱) راجع: مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۵ عن الطبرانى بإسناد حسن، و فى الصحيح بعضه بغير سياقه. و حياة الصحابة ج ۲ ص ۷۰۶ عن الترمذى فى الشمائل ص ۲۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۲۸

لأنه يأتى فى ظرف يحتاج فيه الإسلام إلى تمزيق أعدائه و تفريقهم؛ حيث لا يستطيع مواجهتهم جميعا فى آن واحد.

بقى أمران:

أحدهما: لقد نزلت آيات قرآنية كثيرة تفضح المنافقين، و تظهر أفاعيلهم، و تنقل أقاويلهم، و تبيّن أوصافهم بدقة و بتفصيل. كما أن النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» نفسه قد حاول أن يحدّ من فعالية المنافقين ما أمكنه، و ذلك بتنبيه الصحابة إلى خططهم و مؤامراتهم، و الكشف عن حقيقتهم و وجودهم، و تحذير الناس منهم، و ذكر أفعالهم و أوصافهم باستمرار، حتى حينما كان النبى (ص) فى مكة.

بل لقد اتخذ (ص) أحيانا إجراءات عملية ضدهم، كهدم مسجد الضرار، و غير ذلك مما يظهر جليا فى الآيات القرآنية الكثيرة، و المواقف النبوية المختلفة.

و هذا بطبيعته يمثل حصانة و مناعة للمسلمين ضد النفاق و المنافقين و مكائدهم.

الثانى: إنه يظهر مما تقدم: أنه كان ثمة كتيبة لليهود بقيادة ابن أبى، و قد أرجعها رسول اللّه (ص) من الطريق. ثم رجع ابن أبى مع طائفة من المنافقين. بل يظهر من بعض النصوص: أن المنافقين قد رجعوا من نفس أحد «۱».

و الذى نخشاه هو أن تكون هذه الرواية مكذوبة بهدف التغطية على فساد ابن أبى و رجوعه بالمنافقين من وسط الطريق.

إرجاع الصغار:

و قد ردّ رسول اللّه (ص) من استصغرهم، و منعهم من الخروج إلى

---

(۱) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۱۹، و شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۲۳۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۲۹

الحرب، مثل: ابن عمرو بن ثابت، و سمرة بن جندب، و رافع بن خديج، ثم سمح (ص) لرافع؛ لأنه رام. و كان يتطاول من الشغف على الخروج.

فيقال: إن سمرة قال لزوج أمه: أذن لرافع وردنى، و أنا أصرعه؟! فأمرهما (ص) بالمصارعة؛ فصرعه سمرة بن جندب؛ فأذن له أيضا «۱».

الريب فيما ينقل عن سمرة:

و نحن نرتاب فيما نقل عن سمرة بن جندب، و ذلك لما يلى:

۱- إن ابن الأثير يذكر: أن صاحب هذه القضية هو جابر بن سمرة حليف بنى زهرة «۲» و ليس سمرة بن جندب.

۲- إن سمرة لم يكن مستقيما و لا مراعيا للشرع فى تصرفاته و مواقفه. فحياة سمرة، و تاريخه، و نفسيته، و روحيته، سواء فى حياة النبى (ص)، أو بعد وفاته، كل ذلك يأبى عن نسبة مثل ذلك إليه.

أما فى حياة النبى (ص)، فإننا نجد: أنه هو صاحب العذق الذى كان فى حائط الأنصارى، و بيت الأنصارى فى ذلك الحائط أيضا؛ فكان سمرة يمرّ إلى نخلته، و لا يستأذن، فكلّمه الأنصارى، فأبى، فشكاه إلى النبى (ص)، فكلمه النبى (ص) فأبى أن يستأذن. فساومه النبى (ص)، و بذل له ما شاء من الثمن فأبى أيضا. فبذل له نخلة فى الجنة فى مقابلها، فأبى أيضا.

فقال رسول اللّه (ص) حينئذ للأنصارى: إذهب فاقلعها، و ارم بها إليه؛ فإنه لا ضرر و لا ضرار «۳».

---

(۱) تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۱۹۱، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۰، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۲، و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۱۶، و

شرح النهج ج ۴ ص ۲۲۷.

(۲) الكامل ج ۲ ص ۱۵۱.

(۳) راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۷۸، و الكافى ج ۵ ص ۲۹۲ و ۲۹۴، و من

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۳۰

كما أنه هو نفسه- كما فى الروضة- الذى ضرب رأس ناقة النبى (ص) فشجها، فشكته إلى رسول اللّه (ص) «۱»

و أما بعد وفاة النبى (ص)، فإنه قتل من المسلمين ما لا يحصى؛ حتى إن زياد ابن أبيه استخلفه على البصرة، و أتى الكوفة مدة و جيزة، فقتل ثمانية آلاف «۲»، كما عن الطبرى. و قتل سبعة و أربعين رجلا من بنى عدى فى غداة واحدة، كلهم قد جمع القرآن «۳». و كان يقتل من يتشهد الشهادتين، و يبرأ من الحرورية «۴».

و بعد موت زياد أقره معاوية على البصرة ستة أشهر ثم عزله؛ فقال:

لعن اللّه معاوية، لو أطعت اللّه كما أطعت معاوية لما عذبنى أبدا «۵» و كان يخرج من داره مع خاصته ركبانا فلا- يمر بطفل، و لا عاجز، و لا حيوان إلا سحقه هو و أصحابه، و هكذا إذا رجع. فلم يكن يمر عليه يوم إلا و له قتيل أو أكثر «۶».

و بذل معاوية له مئة ألف، ليروى: أن آية: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ

- لا يحضره الفقيه ج ۳ ص ۲۳۳ و ۱۰۳، و التهذيب ج ۷ ص ۱۴۷، و الوسائل ج ۱۷ ص ۳۴۰ و ۳۴۱، و البحار ج ۱۰۰ ص ۱۲۷ ط جديد و ط قديم ج ۸ ص ۶۷۵، و مصابيح السنة للبغوى ج ۲ ص ۱۴، و السنن الكبرى ج ۶ ص ۱۵۷، و سنن أبى داود ج ۳ ص ۳۱۵، و الدر المنثور ج ۶ ص ۳۵۷ عن ابن أبى حاتم و راجع: قاموس الرجال ج ۵ ص ۸.

(۱) قاموس الرجال ج ۵ ص ۸ عن الروضة.

(۲) تاريخ الأمم و الملوك ج ۵ ص ۲۳۷ ط دار المعارف بمصر.

(۳) قاموس الرجال ج ۵ ص ۸.

(۴) قاموس الرجال ج ۵ ص ۹.

(۵) تاريخ الأمم و الملوك ج ۵ ص ۲۹۱ ط دار المعارف.

(۶) قاموس الرجال ج ۵ ص ۹ عن الطبرى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۳۱

يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا. إلى قوله: وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ «۱» نزلت فى على «عليه السلام»، و أن آية: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ، وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ «۲»، نزلت فى ابن ملجم؛ فلم يقبل، فبذل له مئتى ألف، ثم ثلاثمائة. فلما بذل له أربعمائة ألف، قبل، و روى ذلك «۳».

كما أن سمرة هذا قد حضر مقتل الحسين، و كان من شرطة ابن زياد، و كان يحرض الناس على الخروج إلى قتال الإمام الحسين «عليه السلام» «۴».

هذا هو سمرة، و هذه هى نفسيته، و أفاعليه، فإن كان حقا هو صاحب القضية المتقدمة، و هو بعيد فى الغاية، فلا بد و أن يكون هدفه هو الحرب من أجل المال أو الجاه، و غيره من المكاسب الدنيوية، مهما كانت تافهة و حقيرة.

۳- و إن من الأمور التى شاعت و ذاعت، و رواها المحدثون و المؤرخون بشكل واسع قول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» فى سمرة، و أبى هريرة، و أبى محذورة: آخركم موتا فى النار. فكان سمرة آخرهم موتا «۵».

و تأويل ذلك: بأن سمرة قد مات فى قدر مملوءة ماءا حارا «۶». لا

(۱) البقرة: ۲۰۴.

(۲) البقرة: ۲۰۷.

(۳) شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۷۳.

(۴) راجع: قاموس الرجال ج ۵ ص ۸- ۱۰ و شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۷۷ و ۷۸ و ۷۹.

(۵) راجع: قاموس الرجال، و الإصابة ج ۲ ص ۷۹، و شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۷۸.

(۶) راجع: الإصابة ج ۲ ص ۷۹، و الإستيعاب بهامشها ج ۲ ص ۷۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۳۲

يصح، لأنه خلاف الظاهر، فإن ظاهر الكلام: أن المراد هو النار الأخروية، كما هو المتبادر، لا أن موته بسبب أن النار تجعل الماء حارا، ثم يقع فيه؛ فإن ذلك- بالإضافة إلى أنه مجاز لا مبرر له إلا إرادة تبرئة ساحة رجل له أمثال تلك الجنايات و العظائم- لا يصح، إذ لو كان هو المراد لكان الأصح هو التعبير بقوله: «بالنار»، لا «فى النار»، أو يقول: فى الماء الحار، و نحو ذلك.

فهذه الكرامة له، و التى تقول: إنه كان يتشوق للمشاركة فى الحرب، رغم صغر سنه، ثم مصارعته لرافع، لا تناسب كل ما أشرنا إليه آنفا، و لا تنسجم مع واقع سمرة و نفسيته. و لعل سر تكرم محبيه عليه بهذه الفضيلة، هو طاعته الخارقة لمعاوية، و معاونته لابن زياد، و تحريضه على قتل الحسين، و غير ذلك.

و لو أننا قبلنا صدور ذلك منه؛ فإنه- و لا شك- قد انقلب على عقبيه بعد ذلك، و لا تنفعه أمثال هذه الأمور، بعد أن كانت عاقبته هى: النار.

ملاحظة:

و لا يخفى: أن هذا الكلام منه (ص) فى حق هؤلاء الثلاثة من شأنه أن يسقطهم عن الإعتبار جميعا، إذ لو كان واحد منهم مستقيم الطريقة لم يجز وضعه فى دائرة من يحتمل فى حقه ذلك.

و هذا أسلوب فذ فى اسقاط خطط الذين يريدون تكريس رموز، و اشخاص يريدون أن يقوموا بدور غير مسؤول و يمس مستقبل الأمة، و يؤثر على دينها، و على كل وجودها و لو عن طريق تزوير نصوص الدين و أحكامه، و العبث برسومه و أعلامه:

الحراسة و قصة ذكوان:

و نزل (ص) فى مكان فى الطريق، و عين محمد بن مسلمة فى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۳۳

خمسين آخرين لحراسة الجيش. و يقولون: ثم قال: من يحرسنا الليلة؟

فقام رجل، فقال: أنا.

فسأله عن اسمه، فقال: ذكوان.

فأجلسه.

ثم سأل الثانية، فقام رجل، فقال: أنا.

فسأله عن اسمه فقال: أبو سبع.

فأجلسه.

و فى الثالثة قام رجل و تسمى بابن عبد القيس، فأجلسه.

ثم أمر بقيام الثلاثة. فقام ذكوان وحده.

فسأله عن الباقين.

فأخبره أنه هو صاحب الأسماء الثلاثة، فكان هو الذى حرسه «۱».

قال المعتزلى: قلت: قد تقدم هذا الحديث فى غزوة بدر، و ظاهر الحال أنه مكرر، و أنه إنما كان فى غزاة واحدة. و يجوز أن يكون قد وقع فى الغزاتين، و لكن على بعد «۲».

الشك فى قصة ذكوان:

و نحن نستبعد قصة ذكوان هذه و ذلك لما يلى:

۱- إننا لا نستطيع أن نصدق: أن النبى (ص) كان ساذجا إلى حدّ

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۲/ ۴۲۳، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۱، و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۱۷، و شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۲۲۸.

(۲) شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۲۲۸/ ۲۲۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۳۴

أنه لا يستطيع أن يدرك: أن الذى أجابه فى المرات الثلاث، بل الأربع، هو شخص واحد، حتى سأله عن الباقين!!

۲- ثم إننا لم نفهم المبرر لعدم إجابة غير ذكوان من المسمين الذين يبلغ عددهم حوالى سبعمائة رجل، و فيهم أعظم المؤمنين، و كثيرون من الغيارى على حياة الرسول و أصحابه، و يفدونه بأرواحهم، و بكل غال و نفيس.

و لم تكن الحراسة بذلك الأمر، الذى لا مناص من مواجهة الخطر على النفس فيه. و إن كان يحتمل فيها ذلك. و أين كان على «عليه السلام» عنه فى تلك الليلة، مع أنه هو الذى كان يتولى حراسته عادة.

۳- إننا لا نفهم المبرر لأمره (ص) إياه بالجلوس فى المرات الثلاث!! و لم لم يوافق على طلبه من المرة الأولى؟!

۴- إن النزول فى الطريق، و بيات ليلة فيه موضع شك أيضا إذ لم تكن المسافة بين المدينة و بين جبل أحد كبيرة إلى حد يحتاج معها إلى أن يبيت فى الطريق إليه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۳۵

الفصل الثانى: نصر و هزيمة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۳۷

التعبئة للقتال:

اشارة

و يقولون: إنه لما وصل النبى (ص) إلى منطقة القتال، اختار أن ينزل إلى جانب جبل أحد، بحيث يكون ظهرهم إلى الجبل.

ثم عبأ أصحابه، و صار يسوى صفوفهم؛ حتى إنه ليرى منكب الرجل خارجا، فيؤخره.

و أمرهم أن لا يقاتلوا أحدا حتى يأمرهم.

و كان على يسار المسلمين جبل إسمه جبل عينين، و هو جبل على شفير قناة، قبلى مشهد حمزة، عن يساره «۱». و كانت فيه ثغرة؛ فأقام عليها خمسين رجلا- من الرماة، عليهم عبد اللّه بن جبير، و أوصاه: أن يردوا الخيل عنهم، لا يأتوهم من خلفهم. و فى رواية قال: إن رأيتمونا تختطفنا الطير، فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، و إن رأيتمونا هزمنا القوم، و أوطأناهم؛ فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم «۲».

و حسب نص آخر: احموا ظهورنا؛ فإن رأيتمونا نقتل؛ فلا تنصرونا، و إن رأيتمونا قد غنمنا، فلا تشركونا «۳».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۳.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۳ عن البخارى.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۴، عن الطبرانى و الحاكم، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۳۸

و كان شعاره يوم أحد: أمت. أمت.

و يقولون أيضا: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» قد ظاهر بين درعين، كما نص عليه الحاكم، و طائفة من المؤرخين.

و يقول الواقدى: إنه كان قد لبس قبل وصوله إلى أحد درعا، فلما وصل إلى ساحة الحرب لبس درعا أخرى، و مغفرا و بيضة فوق المغفر «۱».

و من جهة أخرى: فقد عبأ المشركون قواهم، استعدادا للحرب، و أرسل أبو سفيان إلى الأنصار: خلوا بيننا و بين ابن عمنا؛ فننصرف عنكم؛ فلا حاجة بنا إلى قتالكم، فردوا عليه بما يكره «۲».

و نذكر هنا ما يلى:

ألف: المظاهرة بين درعين:

إننا نشك فى أنه (ص) قد ظاهر بين درعين فى الوقت الذى يرى فيه أن غالب أصحابه لا درع لهم يحميهم من سيوف المشركين، فضلا عن أن يكون لهم درعان. و لم يكن النبى (ص) ليميّز نفسه عنهم، بل كان من عادته أن يجعل نفسه كأحدهم. مع أنه يعلم: أنه هو المستهدف بالدرجة الأولى. و هذه هى أخلاق النبوة. و ذلك هو سيماء الأفذاذ من الرجال، و عباد اللّه الصالحين.

إلا- أن يقال: إن المسلمين أنفسهم قد أصروا عليه بأن يظاهر بين درعين، من أجل الحفاظ عليه (ص)، كما كانوا يقومون بحراسته (ص) ليلا من أجل ذلك أيضا .. و يكون (ص) قد قبل منهم ذلك لتطمئن قلوبهم، و يهدأ روعهم.

---

(۱) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۱۹، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۳۰.

(۲) الكامل لإبن الأثير ج ۲ ص ۱۵۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۳۹

و نقول: إن ذلك لا يصح أيضا، لأن النبى (ص) كان ملاذا للناس حين الحرب، و كانوا يلجأون إليه فى الشدائد و الأهوال. و لم يكن

أحد أقرب منه إلى العدو، و كان يقدم أحباءه و أهل بيته فى الحرب، و لا نجد مبررا بعد هذا للمظاهرة بين درعين، لا سيما مع وجود المنافقين، و من فى قلوبهم مرض، و مع وجود اليهود و غيرهم من الأعداء، الذين سوف لا- يسكتون عن أمر كهذا، بل سوف يستفيدون منه لتضليل الناس، و خداع ضعاف النفوس، و السذج و البسطاء. و لم يكن النبى (ص) ليسجل على نفسه سابقة كهذه أصلا.

ب: المنطق القبلى لدى أبى سفيان:

إن محاولة أبى سفيان استعمال المنطق القبلى حين قال: خلوا بيننا و بين ابن عمنا إنما كانت لتفريق الناس عن النبى (ص)؛ ليتمكن من القضاء على حركته من أسهل طريق؛ فلا- يتعرض للعداوات الحادة بينه و بين المدنيين، و لا للخسائر الكثيرة فى الأرواح، و لا لتغيير المعادلات السياسية فى المنطقة. إلى غير ذلك من الإعتبارات الكثيرة فى جو كهذا.

و لكن فأله قد خاب، فقد وجد: أن الإسلام و المسلمين لا يأبهون لمنطق كهذا، و أصبح المسلم أخا للمسلم أيا كان، و من أى قبيلة كانت.

أما أبو سفيان و أصحابه فعدوّ محارب، حتى و لو كانوا آباءهم، أو أبناءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم، أو غيرهم.

أبو دجانة، و السيف:

اشارة

و يقولون: إنه (ص) أخذ سيفا، و قال: من يأخذ هذا السيف بحقه، فطلبه جماعة، منهم الزبير. و فى نصوص أخرى: أبو بكر، و عمر، و تضيف رواية الينابيع عليا أيضا؛ فلم يعطهم إياه.

فسأله أبو دجانة: ما حقه؟

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۴۰

فقال: أن تضرب به العدو حتى ينحنى. فطلبه أبو دجانة؛ فأعطاه إياه، فجعل يتبختر بين الصفين، فقال (ص): إنها لمشية يبغضها اللّه إلا فى هذا الموطن.

فقاتل أبو دجانة قتالا عظيما، حتى حمل على مفرق رأس هند- التى كانت تحوش المسلمين بهجماتها- ثم عدل السيف عنها؛ لأنها صرخت، فلم يجبها أحد؛ فكره أن يضرب بسيف رسول اللّه إمرأة لا ناصر لها «۱».

ملاحظات على هذه الرواية:

و نقول:

۱- إن قضية عرضه السيف على أصحابه، و منعه من البعض، و إعطائه لأبى دجانة قد تكون صحيحة.

و لكن ما تقدم عن الينابيع، من ذكر على «عليه السلام» فيمن لم يعطه (ص) السيف فى غير محله. كيف؟ و سيأتى: أنه لم يثبت أمام ذلك الجيش الهائل سوى أمير المؤمنين صلوات اللّه و سلامه عليه. و هذا يقرّب:

أنه «عليه السلام» كان يدرك: أنه لم يكن هو المقصود للنبى (ص) فى دعوته للمسلمين، لأخذ السيف بحقه؛ لأنه كان يعرف موقعه و دوره فى المعركة.

---

(۱) راجع نصوص هذه الرواية المختلفة فى: لباب الآداب ص ۱۷۶، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۴/ ۴۲۵، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۲/ ۲۲۳/ ۲۲۵، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۵۷، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۶/ ۱۷، و فيهما ذكر عمر و الزبير، و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۵۹، و حياة الصحابة ج ۱ ص ۵۷۵- ۵۷۷ عن غير واحد، و ينابيع المودة، إلى غير ذلك من المصادر الكثيرة التى لا مجال لتعدادها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۴۱

و لنا أن نحتمل هنا- بسبب ما عرفناه و ما ألفناه من هؤلاء الرواة و المحدثين-: أن إضافة إسم على فى الرواية، قد كانت من أجل الحفاظ على كرامة و شخصية الطالبين و الممنوعين الحقيقيين عن السيف فى هذا الموقف.

فإنهم لم تكن مواقفهم الحربية تأبى عن مثل هذا، حيث لم تؤثر عنهم مواقف حربية شجاعة فى ساحات الجهاد، بل أثر عنهم العكس من ذلك تماما.

۲- إننا لا نفهم: لماذا يرفض رسول اللّه (ص) إعطاء السيف للزبير، و لأبى بكر، و عمر، بعد طلبهم إياه، قبل أبى دجانة، و لماذا لا يجربهم، ليظهر مواهبهم و مواقفهم؟! و لماذا يواجههم أمام الناس بهذا الرفض الفاضح و القاسى، حتى لقد وجدوا فى أنفسهم من منعه لهم؟.

و لربما يقال: إنه أراد أن يعطيه أنصاريا؛ ليقتدى به الأنصار.

و جوابه: إنه قد كان اللازم حينئذ: أن يوضح ذلك لهم بكلمة، أو بإشارة، حتى لا يتعرض الممنوعون لسوء ظن الناس بهم، أو حتى لا ينسبوا للفشل و العجز، و تصير كرامتهم فى معرض الإمتهان.

و إن كنا سنرى: أن هؤلاء الممنوعين لم يكونوا فى المستوى المطلوب، و كان أبو دجانة أولى منهم بهذا التكريم، لأن هذه القضية قد جرت لو صحت بعد عودة المسلمين من الهزيمة. و سيأتى بعض الكلام فى ذلك إن شاء اللّه.

۳- إن ما ذكروه: من أن هندا كانت تقاتل المسلمين و تحوشهم قد كذبته أم عمارة رحمها اللّه؛ فراجع «۱».

و لا ندرى من أين حصلت هند على هذه البسالة النادرة، التى

---

(۱) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۷۲، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۴۲

تجعلها فى عداد أعظم فرسان التأريخ؟ و لماذا لم يعدها المؤرخون من فرسان الدهر، و شجعان ذلك العصر؟!

كما أن من المعلوم: أنه (ص) قد كان يوصى سراياه و بعوثه وصايا عديدة، منها: أن لا يقتلوا إمرأة، و لا و لا إلخ.

۴- إن من الواضح مدى التشابه بين ما تذكره هذه القضية عن تبختر أبى دجانة بين الصفين، و قول النبى (ص) له، و بين ما كان من تبختر على «عليه السلام» يوم الخندق، فاعترض عمر على ذلك، و نبّه النبى (ص) إلى مشيته «عليه السلام». فأجابه النبى (ص) بهذا الجواب بعينه. و ستأتى مصادر هذه القضية هناك، و أنها ثابتة بلا ريب.

و يبعد أن تتعدد الواقعة بكل خصوصياتها. كما أنه بعد قضية أبى دجانة فى أحد لا يبقى مورد لا عتراض عمر فى الخندق، إذ نستبعد عدم اطلاعه على ما جرى فى أحد، إن لم يكن هو نفسه هو الذى اعترض آنئذ كما تعوداه منه فى المواقف المختلفة، حتى ليندر أن تجد فى التاريخ اعتراضا على النبى لغيره!!.

و لا أقل من حضوره و شهوده الأحداث عن قرب، فإنه ممن طلب السيف، و رفض طلبه؛ فإذا كان ما جرى يوم الخندق هو الصحيح، و إذا كان ثمة تبديل و تغيير فى الأسماء و الأشخاص فقط؛ فلا عجب، فإنما هى شنشنة نعرفها من أخزم.

و على كل حال، فإن مشية على «عليه السلام» يوم الخندق، كان الهدف منها هو الإفتخار بعظمة و بعزة الإسلام، و ذل أعدائه حتى فى حال انتصارهم من جهة. ثم الحرب النفسية لأعدائه، و التأثير على معنوياتهم من جهة أخرى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۴۳

نشوب الحرب، و قتل أصحاب اللواء:

اشارة

و كان أول من رمى بسهم فى وجوه المسلمين أبو عامر الفاسق فى خمسين ممن معه، بعد أن حاول استمالة قومه من الأوس؛ فردّوا عليه بما يكره، فتراموا مع المسلمين، ثم ولوا مدبرين.

و حرض أبو سفيان بنى عبد الدار، حاملى لواء المشركين على الحرب، و جعل النساء يضربن بالدفوف، و يحرضنهم بالأشعار.

و طلب طلحة بن أبى طلحة، حامل لواء المشركين البراز، فبرز إليه على «عليه السلام» فقتله. فسر رسول اللّه (ص) بذلك، و كبّر تكبيرا عاليا.

و يقال: إن طلحة سأل عليا: من هو؟. فأخبره فقال: قد علمت يا قضم: أنه لا يجسر علىّ أحد غيرك «۱».

و قد ضربه على (ع) على رأسه، ففلق هامته إلى موضع لحيته، و انصرف على «عليه السلام» عنه، فقيل له: هلا ذففت عليه؟! قال: إنه لما صرع استقبلنى بعورته؛ فعطفتنى عليه الرحم. و قد علمت أن اللّه سيقتله، و هو كبش الكتيبة «۲».

---

(۱) فعن أبى عبد اللّه «عليه السلام»: أن رسول اللّه (ص) كان بمكة لم يجسر عليه أحد؛ لموضع أبى طالب، و أغروا به الصبيان، و كانوا إذا خرج رسول اللّه (ص) يرمونه بالحجارة و التراب، و شكا ذلك إلى على (ع)، فقال: بأبى أنت و أمى يا رسول اللّه (ص)، إذا خرجت فاخرجنى معك، فخرج رسول اللّه (ص) و معه أمير المؤمنين (ع)، فتعرض الصبيان لرسول اللّه (ص) كعادتهم، فحمل عليهم أمير المؤمنين، و كان يقضمهم فى وجوههم، و آنافهم، و آذانهم، فكان الصبيان يرجعون باكين إلى آبائهم، و يقولون: قضمنا على، قضمنا على، فسمى لذلك: «القضم». راجع:

البحار ج ۲۰ ص ۵۲، و تفسير القمى ج ۱ ص ۱۱۴، و أشار إلى ذلك أيضا فى نهاية ابن الأثير.

(۲) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۲۶، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۳۶ و غير ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۴۴

و فى رواية أخرى: إنه صلوات اللّه و سلامه عليه قال: إنه ناشدنى اللّه و الرحم؛ فاستحييت. و عرفت أن اللّه قد قتله «۱».

و قيل: إن ذلك كان حينما قتل «عليه السلام» أبا سعيد بن أبى طلحة. و ثمة كلام آخر فى المقام لا أهمية له.

قال ابن هشام: «لما اشتد القتال يوم أحد، جلس رسول اللّه (ص) تحت راية الأنصار، و أرسل إلى على: أن قدّم الراية، فتقدم على، و قال:

أنا أبو القصم (و الصحيح: أبو القضم)؛ فطلب أبو سعيد بن أبى طلحة- و كان صاحب لواء المشركين- منه البراز، فبرز إليه على، فضربه، فصرعه».

ثم ذكر قصة انكشاف عورته حسبما تقدم «۲».

و اقتتل النـاس، و حميت الحرب. و حـارب المسـلمون دفاعا عن دينهم، و عن وطنهم، الـذى فيه كل مصالحهم، و يتوقف على حفظه مستقبلهم و وجودهم. حاربوا فئة حاقدة، تريد الثأر لقتلاها فى بدر، و هى أكثر منهم عددا، و أحسن عدّة.

ثم شد أصـحاب رسول اللّه (ص) على كتائب المشركين، فجعلوا يضربون وجوههم، حتى انتقضت صفوفهم، ثم حمل اللواء عثمان بن أبى طلحـة، أخو طلحـة السابق، فقتل، ثم أبو سـعيد أخوهما، ثم مسافع؛ ثم كلاب بن طلحة بن أبى طلحة، ثم أخوه الجلاس، ثم أرطأة بن شرحبيل، ثم شريح بن قانط، ثم صواب، فقتلوا جميعا؛ و بقى لواؤهم مطروحا على الأرض، و هزموا، حتى أخذته إحدى نسائهم، و هى عمرة بنت علقمة

---

(۱) تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۱۹۴، و الكامل لإبن الأثير ج ۱ ص ۱۵۲، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۳، و الأغانى ج ۱۴ ص ۱۶.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۷.

الحارثية، فرفعته، فتراجعت قريش إلى لوائها، و فيها يقول حسان:

و لو لا لواء الحارثية أصبحوايباعون فى الأسواق بالثمن البخس و يقال: إن أصحاب اللواء بلغوا أحد عشر رجلا «۱».

قال الصادق «عليه السـلام»، بعد ذكره قتل أمير المؤمنين «عليه السـلام» لأصـحاب اللواء: «و انهزم القوم، و طارت مخزوم، فضـحها على «عليه السلام» يومئذ» «۲».

كما أن رماة المسـلمين الذين كانوا فى الشـعب قد ردّوا حملات عديدة لخيل المشركين، حيث رشقوا خيلهم بالنبل، حتى ردّوها على أعقابها.

و قبل المضى فى الحديث نسجل هنا ما يلى:

ألف: بنو مخزوم، و أهل البيت:

و لعل ما تقـدم هو سرّ حقد خالد بن الوليد المخزومى- الذى كان على ميمنة المشـركين فى أحد- على أمير المؤمنين «عليه السـلام»، الذى قتل عددا من فراعنتهم «۳».

و قد تقدم فى أوائل هذا الجزء حين الكلام عن خطبة على (ع) لبنت أبى جهل بعض ما يشير إلى حقد خالد هذا، فلا نعيد.

و قد روى الحاكم، عن النبى «صـلى اللّه عليه و آله» قوله: «إن أهل بيتى سـيلقون من بعدى من أمتى قتلا و تشريدا. و إن أشد قومنا لنا بغضا:

بنو أمية، و بنو المغيرة، و بنو مخزوم» «۴».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۷.

(۲) الإرشاد للمفيد ص ۵۲، و البحار ج ۲۰ ص ۸۷ عنه.

(۳) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۸۴.

(۴) مستدرك الحاكم ج ۴ ص ۴۸۷.

ب: الزبير و المقداد على الخيل:

و ثمة رواية تفيد: أن الزبير و المقداد كانا على الخيل، و حمزة بالجيش بين يديه (ص)، و أقبل خالد الذى كان على ميمنة المشركين، و عكرمة بن أبى جهل على الميسرة، فهزمهم الزبير و المقداد، و حمل النبى (ص)، فهزم أبا سفيان «۱».

و نحن لا نصدق هذه الرواية؛ فقد تقدم: أنه لم يكن مع النبى (ص) خيل. و جاء فى بعض الروايات: أنه كان ثمة فرس واحد، أو فرسان: فرس للنبى، و الآخر لأبى بردة بن نيار كما تقدم.

إلا أن يقال: إن المراد: أنه كان فى مقابل خيل المشركين: الزبير و المقداد. و لكن ذلك بعيد عن سياق الكلام، و لا سيما إذا لم يكن معهما خيل.

أما العشرة أفراس التى غنمها المسلمون يوم بدر، فلعلها قد بيعت، أو نفقت، أو كان بعضها فى حوزة من لم يشاركوا فى حرب أحد، ممن رجع مع ابن أبىّ أو غيرهم.

ثم إننا لا ندرى أين كان على «عليه السلام»، الذى قتل نصف قتلى المشركين أو أكثر كما سيأتى؟!. و لماذا لا تتعرض له هذه الرواية، و لا تدلنا على دوره فى هذه الحرب؟!.

ج: إخلاص على (ع)، و عطفه على كبش الكتيبة:

و أما أن عليا انصرف عن قتل حامل لواء المشركين، لأنه قد عطفته عليه الرحم، فلا يمكن أن يصح؛ لأن عليا لم يكن ليرحم من حادّ اللّه، و رسوله، و كان كبش كتيبة المشركين، الذين جاؤا لاستئصال شأفة الإسلام

---

(۱) الكامل لإبن الأثير ج ۲ ص ۱۵۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۴۷

و المسلمين. و نحن نعلم: أن عليا (ع) كان فى كل أعماله مخلصا للّه تعالى كل الإخلاص. و قد قدمنا الإشارة إلى موقفه حينما قتل عمرو بن عبد ودّ فلا نعيد.

فالظاهر أن الصحيح: هو أنه ناشده اللّه و الرحم، و استقبله بعورته فانصرف عنه. و هو بلاء تعرّض له أمير المؤمنين مع غيره أيضا، كعمرو بن العاص، و بسر بن أبى أرطأة فى وقعة صفين، كما هو معلوم.

نعم لقد انصرف عنهم جميعا، بدافع من كرم النفس، و طاعة اللّه.

فهو حين يقتل قومه يقتلهم طاعة للّه، و حين ينصرف عنهم ينصرف لكرم النفس و النبل و الشرف، و طاعة للّه أيضا. حيث لم يكن ثمة حاجة للتذفيف عليه، مع مشاهدة ما لا يحسن مشاهدته منه- عورته- و قد علم أن اللّه سيقتله من ضربته تلك، التى فلقت هامته إلى موضع لحيته.

و لا ننسى أن نشير هنا إلى أنه إذا بلغ السيف إلى موضع لحيته، فإنه لن يكون قادرا على مناشدة أحد.

د: من قتل أصحاب اللواء:

اشارة

إن من الثابت: أن عليا أمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام، هو الذى قتل جميع أصحاب اللواء و كانوا أحد عشر رجلا، و لا يعتنى بتفصيلات طائفة من المؤرخين فى من قتل هذا، و من قتل ذاك، و نستند فى ذلك إلى ما يلى:

۱- قال الطبرى، و ابن الزبير، و غيرهما: «و كان الذى قتل أصحاب اللواء على، قال أبو رافع: قال: فلما قتلهم أبصر النبى (ص) جماعة من المشركين إلخ».

و ستأتى المصادر الكثيرة جدا لهذا النص حين الكلام عن مناداة جبرئيل:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۴۸ لا سيف إلا ذو الفقارو لا فتى إلا على و قد نصّ على أنه «عليه السلام» هو الذى قتل أصحاب اللواء عدد جمّ من المؤرخين و غيرهم «۱»، و بعضهم- كالإسكافى- ذكر ذلك فى مقام الحجاج و الإحتجاج. و لو كان ثمة مجال لإنكار ذلك، لم يجرؤ على إيراده فى مقام كهذا.

۳- و عن أبى عبد اللّه، عن أبيه «عليهما السلام»، قال: كان أصحاب اللواء يوم أحد تسعة، قتلهم على بن أبى طالب عن آخرهم إلخ «۲».

و يمكن تأييد ذلك بما سيأتى إن شاء اللّه، من أن أمير المؤمنين (ع) قد قتل نصف بل أكثر قتلى المشركين فى معركة أحد.

لماذا التزوير!؟.

فإذا كان هذا هو الصحيح فى هذه القضية، و إذا كنا نلاحظ كثيرا:

أنهم فى مقام تفصيلاتهم الأخرى فى هذا المقام، و فى غيره أيضا، يحاولون إعطاء كثير من الإمتيازات لأولئك الذين لم تكن لهم علاقات حسنة بأهل البيت (ع). بل كان لغالبهم عداوات كبيرة مع على و أهل بيته، و علاقات وثيقة بأعدائهم و مناوئيهم.

إذا كان كذلك، فإننا نستطيع أن نعرف سرّ محاولة صرف الأنظار هنا

---

(۱) راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۹۳ عن الإسكافى، و ليراجع: آخر العثمانية للجاحظ ص ۳۴۰، و شرح التجريد للقوشجى ص ۴۸۶، و مجمع البيان ج ۲ ص ۵۱۳، و البحار ج ۲۰ ص ۲۶ و ۴۹ و ۶۹ و ۸۷، و تفسير القمى ج ۱ ص ۱۱۳، و الإرشاد للشيخ المفيد ص ۵۲، و عن الخصال ج ۲ ص ۱۲۱ و ۱۲۴.

(۲) الإرشاد للشيخ المفيد ص ۵۲، و البحار ج ۲۰ ص ۸۷ عنه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۴۹

عن رجل الجهاد الحقيقى، الذى كان و لا يزال شوكة جارحة فى أعين أعداء الدين الحق، الذين يحاربون اللّه و رسوله بالسلاح تارة، و بالكذب و الدعايات المسمومة أخرى، و بالتحريف و التزوير ثالثة، و هكذا.

و من الممكن أن يكون بعض ما ذكروه عن غير على صحيحا أيضا، و أنهم قد قتلوا بعض المشركين. و لكن من المؤكد: أنه لم يكن لهم دور بهذا المستوى المعروض فعلا، و لا هم قتلوا أصحاب اللواء. و لكن مناوئى أهل البيت قد بدلوا الأسماء كيدا منهم و حقدا.

و من هنا فلا مانع من أن يكون أحدهم، و هو حمزة، قد قتل بطلا من غير أصحاب اللواء من المشركين بأن ضربه بالسيف فقطع يده و كتفه، حتى بلغ مؤتزره، فبدا سحره (أى رئته)، ثم رجع، و قال: أنا ابن ساقى الحجيج «۱».

و لسوف يأتى إن شاء اللّه المزيد من الكلام فيما يرتبط بهذا الموضوع.

ه: مبارزة أبى بكر لولده:

اشارة

و يقولون: إن أبا بكر دعا ابنه عبد الرحمان للبراز يوم أحد، و كان عبد الرحمان من أشجع قريش، و أشدهم رماية «۲»!! فقال له النبى (ص):

متّعنا بنفسك، أما علمت أنك منى بمنزلة سمعى من بصرى، فأنزل اللّه تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ «۳».

---

(۱) السيرة النبوية لدحلان (بهامش السيرة الحلبية) ج ۲ ص ۲۸، و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۵۴.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۶۸.

(۳) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۶۹ و ۲۲۴ و فيها عن على ما يؤيد هذا، و العثمانية

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۵۰

و قد ذكرت قصة شبيهة بهذه لأبى بكر و إبنه فى يوم بدر أيضا. لكن فيها: أن عبد الرحمان هو الذى دعا أباه للبراز. و لكن لم يذكر فيها نزول الآية بهذه المناسبة «۱». كما أن أكثر المصادر لم تذكر قوله: أما علمت أنك منى بمنزلة إلخ.

و فى بعض السير: أن أبا بكر قال لولده يوم بدر و هو مع المشركين:

أين مالى يا خبيث؟. فقال له عبد الرحمان كلاما معناه: إنه لم يبق إلا عدة الحرب، التى هى السلاح، و فرس سريعة الجرى، و جنان يقاتل عليه شيوخ الضلال «۲».

و لنا على ما ذكر ملاحظات:

۱- أما بالنسبة لمال أبى بكر الذى طالب به ولده، فيردّه قولهم: إن أبا بكر حمل ماله كله حين هاجر من مكة إلى المدينة، حتى إن أباه أبا قحافة لما جاء و سأل: إن كان أبقى لأهله شيئا، اضطرت أسماء لأن تضع الحصى فى كيس و تلمسه إياه على أنه نقود «۳» و قد تقدم بعض الحديث حول ثروة أبى بكر حين الكلام على قضية الغار، فليراجع ما ذكرناه هناك.

۲- و أما نزول الآية، فى أبى بكر فى هذه المناسبة فلا ندرى: هل

- للجاحظ ص ۶۲ و لم يذكر نزول الآية و كذا فى الكامل لإبن الأثير ج ۲ ص ۱۵۶، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۵۶ مثله، و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۵۷، و ملحق العثمانية ص ۳۳۰ و ۳۴۰، و البحار ج ۲۰ هامش ص ۱۰۳ عن كشف الغمة، و عن المقريزى فى الإمتاع.

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۶۸، و الإستيعاب هامش الإصابة ج ۲ ص ۳۹۹/ ۴۰۰ و راجع: غزوة بدر، فقد أشرنا إلى هذه الرواية هناك أيضا.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۶۹، و سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۲۹۱.

(۳) تقدمت مصادر ذلك فى هذا الكتاب فى فصل هجرة الرسول الأعظم (ص) حين الحديث حول شراء أبى بكر للموالى و نفقاته.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۵۱

نصدق هذا؟! أم نصدق قولهم: إن أبا بكر سمع والده أبا قحافة يذكر النبى (ص) بشرّ؛ فلطمه لطمة سقط منها، فنهاه النبى (ص) أن يعود لمثلها.

فقال: و اللّه، لو حضرنى سيف لقتلته به فنزلت الآية «۱».

و هذا يعنى أن الآية مكية و ليست مدنية قد نزلت فى أحد، لأن أبا قحافة قد بقى فى مكة إلى حين الفتح.

كما أن هذا ينافى ما قيل فى تفسير هذه الآية، من أن المراد:

الدعوة إلى الحرب، أو إلى القرآن «۲». و مقتضى ما ذكر فى قصته: أنه دعاه لترك الحرب، و ليبقى حيا و يمتعهم بنفسه.

۳- قال ابن ظفر فى الينبوع: «لم يثبت أن أبا بكر دعا ابنه للمبارزة، و إنما هو شيء ذكر فى كتب التفسير» «۳».

۴- و لما ذكر الجاحظ فى عثمانيته هذه الحادثة متبجحا بها، أجابه الإسكافى بقوله: «ما كان أغناك يا أبا عثمان عن ذكر هذا المقام المشهور لأبى بكر، فإنه لو تسمعه الإمامية لأضافته إلى ما عندها من المثالب، لأن قول النبى «صلى اللّه عليه و آله»: «إرجع» دليل على أنه لا يحتمل مبارزة أحد، لأنه إذا لم يحتمل مبارزة ابنه، و أنت تعلم حنو الإبن على الأب، و تبجيله له، و إشفاقه عليه، و كفه عنه، لم يحتمل مبارزة الغريب الأجنبى.

و قوله: «و متعنا بنفسك» إيذان بأنه كان يقتل لو خرج، و رسول اللّه كان أعرف به من الجاحظ. فأين حال هذا الرجل من حال الرجل الذى

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۶۹.

(۲) راجع الدر المنثور ج ۳ ص ۱۷۶ عن ابن أبى شيبة، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و أبو الشيخ، و ابن إسحاق.

(۳) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۶۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۵۲

صلى بالحرب، و مشى إلى السيف بالسيف، فقتل السادة و القادة، و الفرسان و الرجالة» «۱».

۵- و أخيرا .. فإن عائشة تقول: ما أنزل اللّه فينا شيئا من القرآن، غير أن اللّه أنزل عذرى «۲». و حتى عذرها هذا لا يمكن أن يكون قد نزل فيها كما اثبتناه فى كتابنا حديث الإفك.

فكيف تكون الآية قد نزلت بهذه المناسبة؟!.

هزيمة المشركين:

اشارة

و يقولون: إنه لما قتل أصحاب اللواء، و انتكست راية المشركين، صاروا كتائب متفرقة، و صار أصحاب الثغرة يرمون المشركين، و «اقتتل الناس قتالا شديدا، و أمعن فى الناس حمزة، و على، و أبو دجانة فى رجال من المسلمين، و أنزل اللّه نصره على المسلمين، و كانت الهزيمة» «۳».

و على حد تعبير الديار بكرى: «و قاتل على فى رجال من المسلمين» «۴».

و انهزموا، و اتبعهم المسلمون، يضعون السيف منهم حيث شاؤا، حتى أجهضوهم، و وقعوا ينتهبون العسكر، و يأخذون ما فيه من الغنائم.

و قد روى كثير من الصحابة ممن شهد أحدا، قال كل واحد منهم:

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۹۴ و ص ۲۸۱، و ليراجع آخر كتاب العثمانية ص ۳۴۰ و ليراجع ص ۲۳۰.

(۲) صحيح البخارى ط سنة ۱۳۰۹ ج ۳ ص ۱۲۱، و تفسير ابن كثير ج ۴ ص ۱۵۹، و الدر المنثور ج ۶ ص ۴۱، و فتح القدير ج ۴ ص ۲۱. و راجع: الغدير ج ۸ ص ۲۴۷.

(۳) الكامل لإبن الأثير ج ۱ ص ۱۵۳.

(۴) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۵۳

و اللّه، إنى لأنظر إلى هند و صواحبها منهزمات، و ما دون أخذهن شيء لمن أراده، و لكن لا مرد لقضاء اللّه «۱».

و يذكرون هنا أيضا: أن سعد بن أبى وقاص قتل بطلا آخر، رماه بسهم، ثم أخذ يسلبه درعه، فنهض إليه نفر، فمنعوه سلبه، و كان أجود سلب لمشرك درع فضفاضة، و مغفر، و سيف جيد، يقول سعد: «و لكن حيل بينى و بينه».

و يذكرون كذلك: أن عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح، قد قتل أحد فرسان المشركين؛ فنذرت أم المقتول: أن تشرب فى قحف رأس عاصم الخمر، و جعلت لمن جاءها به مئة من الإبل؛ فلما قتل يوم الرجيع، و أرادوا أن يأخذوا لها رأسه حمته الدبر- أى جماعة النحل و الزنابير- و ثمة تفصيلات أخرى تقال هنا لا مجال لتتبعها.

و سنتكلم عن قضية حماية الزنابير لرأس عاصم فى الجزء التالى من هذا الكتاب إن شاء اللّه.

و نحن نشير هنا إلى ما يلى:

ألف: لماذا لم يسب من نساء قريش أحد!

و مع أن الفرصة كانت متاحة لسبى نساء قريش فى أحد، و لكن لم يسب أحد منهن. بل نجد: أنه لم يسب لقريش أحد طيلة حروبها مع المسلمين فى مدة عشر سنين.

و هذا فى الحقيقة لطف إلهى، و نعمة عظيمة على الإسلام و على المسلمين، و ذلك:

---

(۱) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۲۹، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۳۹ عنه، و مجمع البيان ج ۲ ص ۵۱۳، و غير ذلك كثير.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۵۴

أولا- لأن سبى نساء قريش لسوف يوقع بعض المسلمين من المهاجرين فى حرج نفسى و إجتماعى، ربما تكون له آثار سيئة على موقعه فى الإسلام و المسلمين. بل ربما يوجب ذلك حرجا لبعض المسلمين من الأنصار من أهل المدينة أنفسهم، لأن العلاقات النسبية عن طريق التزويج كانت موجودة بين مكة و المدينة. حتى إن بعض قتلى اللواء فى أحد كانت أمهم أوسية.

ثم إن ذلك سوف يؤثر على موقف كثير من المكيين من الإسلام، رفضا أو قبولا؛ فإن دخولهم على مجتمع قد عاملهم هذه المعاملة القاسية، فى أكثر القضايا حساسية، عاطفيا، و اجتماعيا، (بل ربما توجب لهم- على حد فهمهم و زعمهم- عار الدهر) سوف يكون صعبا جدا، و لا سيما إذا كان لا بد و أن يطلب منهم: التعامل مع هذا المجتمع بروح الصفاء، و المحبة و الأخوة. و أنّى يمكنهم ذلك بعد الذى كان.

ثانيا: إنه إذا كان لم يسب لقريش أحد، و لم تستطع أن تنسى ثارات بدر، و أحد، و سائر المعارك. حتى إن حرب صفين- كما قالت أم الخير بنت الحريش- كانت لإحن بدرية، و أحقاد جاهلية، و ضغائن أحدية، و ثب بها معاوية حين الغفلة؛ ليدرك ثارات بنى عبد شمس «۱».

بل إن مجزرة كربلاء، و فاجعة قتل الإمام الحسين «عليه السلام» و أهل بيته و أصحابه، كانت لها دوافع بدرية، و إحن أحدية أيضا،

فقد قال اللعين يزيد بن معاوية:

ليت أشياخى ببدر شهدواجزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلّوا و استهلوا فرحاثم قالوا: يا يزيد لا تشل

---

(۱) العقد الفريد ط دار الكتاب ج ۲ ص ۱۱۵، و صبح الأعشى ج ۱ ص ۲۹۷، و بلاغات النساء ص ۵۷، و فى الغدير ج ۹ ص ۳۷۱، و نهاية الأرب ج ۷ ص ۲۴۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۵۵ قد قتلنا القرم من أشياخهمو عدلنا ميل بدر فاعتدل و لما وصل رأس الحسين «عليه السلام» إلى المدينة رمى مروان بالرأس نحو قبر النبى (ص)، و قال: يا محمد يوم بيوم بدر «۱» و قيل: إن الذى قال هذا هو الأشدق، كما فى مثالب أبى عبيدة «۲».

هذا كله عدا عن واقعة الحرة، و سائر المواقف العدائية لقريش تجاه أهل البيت، و أصحابهم، و شيعتهم. فلو أن النبى (ص) كان قد سبى أحدا من قريش؛ فما هى الحالة التى يمكن تصورها لزينب، و سبايا كربلاء؟! اللواتى تجرّعن الغصص، و واجهن أفظع المصائب و البلايا، على يد يزيد الغادر الأثيم، و أعوانه، أعوان الشيطان؟! و مع ذلك نجدهم يقولون: إنه إمام مجتهد، أو أنه كان مجتهدا متأولا مخطئا «۳». مع أنهم يقولون بالتصويب فى الإجتهاد. و هل ليزيد حظ من العلم، فضلا عن نيل شرف الإجتهاد؟! فإنا للّه و إنا إليه راجعون!!

ب: مقارنة:

قال المعتزلى: «قلت: شتان بين على و سعد، هذا يجاحش على السلب، و يتأسف على فواته، و ذاك يقتل عمرو بن عبدود يوم الخندق، و هو فارس قريش، و صنديدها، و مبارزه؛ فيعرض عن سلبه؛ فيقال له:

كيف تركت سلبه، و هو أنفس سلب؟! فيقول: كرهت أن أبزّ السبّى ثيابه.

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ج ۴ ص ۷۱، ۷۲ عن الإسكافى.

(۲) راجع: الغدير ج ۱۰ ص ۲۶۴.

(۳) الفصل لإبن حزم ج ۴ ص ۸۹، و تاريخ ابن كثير ۷/ ۲۷۹ و ۸/ ۲۲۳ و ج ۱۳ ص ۹، و الغدير ۹/ ۹۳/ ۳۹۴ عنهم. و العواصم من القواصم. و كذا قالوا فى ابن ملجم أيضا كما ذكره فى الغدير عنهم أيضا، فراجع الصفحات المشار إليها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۵۶

فكأن حبيبا [يعنى أبا تمام الطائى رحمه اللّه] عناه بقوله:

إن الأسود أسود الغاب همتهايوم الكريهة فى المسلوب لا السلب «۱»»

الهزيمة بعد النصر:

و يقولون: لما رأى أصحاب الثغرة المشركين قد انهزموا، و أن المسلمين يغنمون، اختلفوا، فبعضهم ترك الثغرة للغنيمة.

و فى معالم التنزيل: إنهم قالوا: نخشى أن يقول رسول اللّه (ص):

من أخذ شيئا فهو له، و لا يقسم الغنائم- كما لم يقسمها يوم بدر «۲».

و قال بعضهم: و كانوا فوق العشرة، أو دونها-: لا نخالف أمر رسول اللّه (ص).

و لما سأل رسول اللّه (ص) التاركين لمراكزهم عن سبب ذلك، قالوا: تركنا بقية إخواننا و قوفا، فقال: بل ظننتم: أنا نغل؛ فلا نقسم لكم.

فأنزل اللّه تعالى: وَ ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ، وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَ- الآية- و قال بعضهم: و أنزل اللّه: مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا، وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ.

فلما رأى خالد قلة من على الثغرة، و خلاء الجبل، و اشتغال المسلمين بالغنيمة، و رأى ظهورهم خالية، صاح فى خيله، فمر بهم، و تبعه عكرمة فى جماعة؛ فحملوا على من بقى فى الثغرة؛ فقتلوهم جميعا، ثم حملوا على المسلمين من خلفهم. و رأت قريش المنهزمة عودة

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۳۷.

(۲) الظاهر: أن هذه جملة إعتراضية، زادها الرواة تبرعا، و إلا فقد تقدم: أنه (ص) قد قسم الغنائم فى بدر، بل لقد ادّعوا- و إن كان ذلك كذبا-: أنه (ص) قد أسهم لمن لم يكن قد حضرها، فكيف بغيره. فراجع.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۵۷

رجالها للحرب، و رفعت الحارثة لواءهم الذى كان ملقى على الأرض؛ فعادوا إلى الحرب من جديد.

و إذا كان المسلمون قد تفرقوا، و انتقضت صفوفهم، و لم يعودوا صفا واحدا كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضا، و فقدوا الإرتباط بقيادتهم الحكيمة، و هم فى طلب المغنم، فمن الطبيعى أن لا يتمكنوا من مقاومة هذه الحملة الضارية، و أن يضيعوا بين أعدائهم، فكان همّ كل واحد منهم أن ينجو بنفسه فقد- أهّمتهم أنفسهم- على حد تعبير القرآن الكريم.

لا سيما و أن أحد المشركين قد قصد مصعب بن عمير و هو يذب عن رسول اللّه، فظن أنه الرسول فقتله، (فيقال: إن اللواء كان معه، فأخذه أبو الروم.

و يقال: بل أخذه ملك فى صورة مصعب. و الذى عليه المحققون:

أن النبى (ص) أعطاه عليا (ع)، و قد قدمنا أن الظاهر هو أن هذا اللواء خاص، و ليس هو لواء الجيش، الذى كان مع على (ع). و نادى قاتل مصعب- أو غيره-: أن محمدا قد قتل؛ فازداد المشركون جرأة، و هزم المسلمون الذين، لم يستطيعوا جمع شملهم، و لمّ شعثهم. و ثبت على (ع) وحده معه (ص)، يدافع عنه.

و خلص العدو إلى رسول اللّه (ص)، و كلمت شفته، و شج فى وجهه، و نشبت حلقتان من الدرع فى وجهه الشريف، و دثّ بالحجارة، حتى وقع لشقه. كذا يقولون.

و يقولون أيضا: إن أبا عبيدة هو الذى انتزع حلقتى الدرع من وجهه الشريف فسقطت ثنيتاه، فكان أحسن الناس هتما. و قيل: بل انتزعهما أبو بكر، و قيل: طلحة، و قيل: عقبة بن وهب «۱».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۳۵، و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۴۷، و شرح النهج

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۵۸

و لا بد أن يكون انتزاعها بعد عودة المسلمين من هزيمتهم، كما سنرى. كما أن الذى كسر رباعيته (ص) لم يولد له ولد، إلا وابتلى بالهتم، كما يقال.

تصحيح و توضيح:

و قد تصدّى الإمام الصادق «عليه السلام» لتصحيح بعض ما كان يشاع حول أن النبى (ص) قد ترك موضعه و تراجع حتى بلغ الغار

الذى فى جبل أحد، فأوضح «عليه السلام» أن النبى (ص) لم يتزحزح من موقفه و لم يتراجع قيد شعرة.

كما أنه «عليه السلام» لم يكن قد نقص من خلقته شىء، و لم تكسر رباعيته، فقد روى عن الإمام الصادق (ع): أنه قد ردّ ذلك، فقد قال له الصباح بن سيابة: «كسرت رباعيته كما يقول هؤلاء؟!

قال: لا و اللّه، ما قبضه اللّه إلا سليما، و لكنه شج فى وجهه.

قلت: فالغار فى أحد الذى يزعمون: أن رسول اللّه (ص) صار إليه؟!

قال: و اللّه، ما برح مكانه. و قيل له: ألا تدعو عليهم؟ قال: «اللهم أهد قومى» إلخ «۱».

و لعلهم أرادوا بذلك أن يثبتوا الهزيمة للنبى ليخف العار عن المنهزمين الذين يحبونهم.

الرسول يدعوهم فى اخراهم:

و حين هزم المسلمون، جعل الرسول (ص) يدعوهم فى أخراهم:

- للمعتزلى ج ۱۵ ص ۳۳، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۱. و ليلاحظ مدى الإختلاف فى هذا!!

(۱) البحار ج ۲۰ ص ۹۶، و إعلام الورى ص ۸۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۵۹

إلىّ عباد اللّه، إلى عباد اللّه، إلىّ يا فلان، إلىّ يا فلان، و هم يصعدون و لا يلوون، و لا يعرّج عليه أحد، و النبل يأتى إليه من كل ناحية.

و استمروا فى هزيمتهم حتى الجبل، و فيهم: أبو بكر، و عمر، و طلحة، و سعد بن أبى وقاص، و غيرهم. أما عثمان فقد استمر فى هزيمته ثلاثة أيام، و ستأتى نصوص ذلك كله بعد صفحات إن شاء اللّه تعالى.

على (ع)، و كتائب المشركين:

اشارة

و حين انهزم الناس غضب، «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»، و نظر إلى جنبه، فإذا على «عليه السلام»؛ فقال: ما لك لم تلحق ببنى أبيك؟! فقال «عليه السلام»: يا رسول اللّه، أكفر بعد إيمان؟! إن لى بك أسوة «۱».

و يقول النص التاريخى: كان الذى قتل أصحاب اللواء على، قاله أبو رافع.

و صارت تحمل كتائب المشركين على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فيقول: يا على، اكفنى هذه؛ فيحمل عليهم، فيفرقهم، و يقتل فيهم.

حتى قصدته كتيبة من بنى كنانة، فيها بنو سفيان بن عويف الأربعة فقال له (ص): اكفنى هذه الكتيبة، فيحمل عليها، و إنها لتقارب خمسين فارسا، و هو «عليه السلام» راجل، فما زال يضربها بالسيف حتى تتفرق عنه ثم تجتمع عليه هكذا مرارا حتى قتل بنى سفيان بن عويف الأربعة و تمام العشرة منها، ممن لا يعرف بأسمائهم فقال جبريل «عليه السلام»:

يا محمد، إن هذه المواساة، لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى!

---

(۱) البحار ج ۲۰ ص ۹۵ و ۱۰۷ عن إعلام الورى، و روضة الكافى ص ۱۱۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۶۰

فقال (ص): و ما يمنعه، و هو منى و أنا منه؟!

فقال جبريل: و أنا منكما.

ثم سمع مناد من السماء:

لا سيف إلا ذو الفقارو لا فتى إلّا على فسئل (ص) عنه؛ فقال: هذا جبريل «۱».

قال المعتزلى: «... قلت: و قد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين، و هو من الأخبار المشهورة، و وقفت عليه فى بعض نسخ مغازى محمد بن إسحاق، و رأيت بعضها خاليا منها، و سألت شيخى

---

(۱) النص المتقدم فى أكثره للمعتزلى فى شرح النهج ج ۱۴ ص ۲۵۰/ ۲۵۱ عن الزاهد اللغوى غلام ثعلب، و عن محمد بن حبيب فى أماليه، و راجع ج ۱۳ ص ۲۹۳، و راجع الرواية فى الأغانى ط ساسى ج ۱۴ ص ۱۸، و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۱۹۷، و الكامل لإبن الأثير ج ۲ ص ۱۵۴، و فرائد السمطين، الباب الخمسون ج ۱ ص ۲۵۷، و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۱۴ و ۱۲۲ عن البزار و عن الطبرانى، و كنز العمال ج ۱۵ ص ۱۲۶، و البداية و النهاية ج ۶ ص ۵، و اللآلى المصنوعة ج ۱ ص ۳۶۵، و تفسير القمى ج ۱ ص ۱۱۶، و البحار ج ۲۰ ص ۵۴ و ۹۵ و ۱۰۵ و ۱۰۷ و ۱۰۲ عن القمى، و علل الشرايع ص ۷ باب ۷، و الإرشاد ص ۴۶، و إعلام الورى و تفسير فرات ص ۲۴/ ۲۶، و روضة الكافى ص ۱۱۰، و عيون أخبار الرضا ج ۱، و حياة الصحابة ج ۱ ص ۵۵۹، و ربيع الأبرار ج ۱ ص ۸۳۳، و مناقب الخوارزمى ص ۱۰۳، إلا أن فيه: أن ذلك كان فى بدر. و الغدير ج ۲ ص ۵۹- ۶۱ عن العديد من المصادر، و سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۱۰۶، و تاريخ ابن عساكر ترجمة على (ع) بتحقيق المحمودى ج ۱ ص ۱۴۸/ ۱۴۹/ ۱۵۰، و فى هامشه عن الفضائل لأحمد بن حنبل، الحديث رقم ۲۴۱، و المعجم الكبير للطبرانى ج ۱ ص ۳۱۸، و غاية المرام ص ۴۵۷، و فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ۱ ص ۳۴۳، و الرياض النضرة المجلد الثانى ج ۳ ص ۱۳۱، و عن على بن سلطان فى مرقاته ج ۵ ص ۵۶۸ عن أحمد فى المناقب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۶۱

عبد الوهاب بن سكينة رحمه اللّه عن هذا الخبر، فقال: هذا الخبر صحيح إلخ» «۱».

و بعد أن صدّ أمير المؤمنين «عليه السلام» تلك الكتائب لم يعد منهم أحد «۲».

و أصيب أمير المؤمنين بجراح كثيرة، قال أنس بن مالك: «أتى رسول اللّه (ص) بعلى (ع) يومئذ و فيه نيف و ستون جراحة، من طعنة، و ضربة، و رمية. فجعل رسول اللّه (ص) يمسحها و هى تلتئم بإذن اللّه تعالى كأن لم تكن «۳».

و قبل أن نتابع حديثنا نسجل ما يلى:

ألف: استشهاد حمزة رضوان اللّه عليه:

اشارة

و بعد قتل أصحاب الألوية، و اشتداد الحرب، قال وحشى: و اللّه، إنى لأنظر إلى حمزة يهدّ الناس هدّا، بسيف ما يبقى شيئا، مثل الجمل الأورق. فاختبأ وحشى خلف شجرة، أو حجر، و رصد حمزة حتى مرّ عليه، بعد قتله سباع بن عرفطة بن عبد العزى، و قبله أبا نيار، فأتاه من ورائه «۴» فدفع عليه حربته، فأصابت ثنته ... فأقبل حمزة نحوه، فغلب، فوقع؛ فلما مات جاءه وحشى، و أخذ حربته، و شغل المسلمون عن وحشى بهزيمتهم «۵».

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۵۱.

(۲) الإرشاد للشيخ المفيد ص ۵۳، و البحار ج ۲۰ ص ۸۸.

(۳) البحار ج ۲۰ ص ۲۳، و مجمع البيان ج ۲ ص ۵۰۹.

(۴) البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۰۱.

(۵) إرشاد المفيد ص ۵۰، و البحار ج ۲۰ ص ۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۶۲

و رجع وحشى إلى العسكر، و مكث فيه، و لم يكن له بغيره حاجة.

و أعطته هند ثوبها و حليها، و وعدته عشرة دنانير بمكة.

نعم، عشرة دنانير لقاتل أسد اللّه و أسد رسوله!!.

استطراد حول وحشى:

و لما عاد وحشى إلى مكة أعتق. و يقال: إنه ندم على ما فعل، لأنه لم يعتق «۱». فلما كان فتح مكة هرب إلى الطائف؛ فقيل له: «ويحك، إنه و اللّه لا يقتل أحدا من الناس دخل دينه» فذهب مع الوفد إلى المدينة.

و قبل أن يقع نظر النبى (ص) عليه شهد شهادة الحق. فلما رآه النبى (يقال: إنه طلب منه: أن يحدثه كيف قتل حمزة، ففعل) و قال له (ص):

غيّب وجهك عنى، فكان يتنكبه حيث كان؛ لئلا يراه حتى قبضه اللّه «۲».

قال ابن إسحاق: فبلغنى: أن وحشيا لم يزل يحدّ فى الخمر حتى خلع من الديوان. فكان عمر بن الخطاب يقول: قد علمت: أن اللّه لم يكن ليدع قاتل حمزة. ثم مات غريقا فى الخمر «۳».

و نعلق على ما تقدم بأمور:

الأول: قد يقال: إن كلمة عمر فى حق وحشى تشير إلى أن اللّه تعالى سوف يخذل قاتل حمزة، و لا يمدّه بالتوفيقات و العنايات و الألطاف؛ بل يطبع على قلبه بما عصى و اعتدى.

(۱) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۴، و الطبرى ج ۲ ص ۱۹۵.

(۲) راجع فى ذلك: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۶، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۹، و حياة الصحابة ج ۱ ص ۵۷۲، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۸ عن ابن إسحاق.

و قال فى آخره: و أخرجه البخارى، عن جعفر بن عمر.

(۳) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۹، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۶، و إسعاف الراغبين، بهامش نور الأبصار ص ۸۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۶۳

و لكن الحقيقة هى خلاف هذا التوجيه، فإن عمر- على ما يظهر- كان يذهب إلى أبعد من ذلك، فهو يقول: إن اللّه سوف لا يدع قاتل حمزة، بل سوف يلاحقه فى كل مكان لينتقم منه بصورة مباشرة، و سوف لا يدعه و شأنه، و لن يفسح له المجال لإصلاح نفسه، و لعمل الخير، و ملازمة التقوى.

إذن، فشرب وحشى للخمر هو نتيجة لهذا التصميم الإلهى على الإنتقام من هذا الرجل. و معنى ذلك هو أن شربه للخمر كان من فعل

اللّه سبحانه، و وحشى كان مجبورا على ذلك.

نقول هذا لأن لدينا الكثير من الدلائل و الشواهد على أن عمر كان لا يزال يعتقد بالجبر الإلهى، و أن جهود النبى (ص) لم تفلح فى قلع هذه الرواسب من نفسه، و نفوس الكثيرين ممن كانوا قد عاشوا فى الجاهليهٔ، و تربوا على مفاهيمها و أفكارها. و قد ذكرنا طائفهٔ من النصوص و المصادر لهذا الموضوع فى كتابنا: «أهل البيت فى آيهٔ التطهير، أواخر الفصل الخامس من القسم الأول».

و الذى نعتقده و هدانا إليه القرآن و الإسلام و العقل، هو أن اللّه تعالى لم يكن ليجبر عباده على شىء، و إنما هم يعصون و يطيعون بملء إختيارهم. و لسنا هنا بصدد تحقيق ذلك.

الثانى: إن وحشيا قد أسلم؛ لأن من عادهٔ النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن لا يقتل أصحابه، كما أنه لما طلب عمر من النبى (ص) أن يقتل ابن أبىّ المنافق، أجابه (ص): دعه، لا يتحدث الناس: أن محمدا يقتل أصحابه «۱».

---

(۱) المصنف ج ۹ ص ۴۶۹ عن ابن المدينى، و الحميدى عن ابن عيينهٔ، و أخرجه مسلم. و صحيح البخارى ط سنهٔ ۱۳۰۹ ج ۳ ص ۱۳۲، و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۲۳۱.

الصحيح من السيرهٔ النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۶۴

و لما رجعوا من أحد إلى المدينهٔ، و أرجف بهم المنافقون، و أظهروا الشماتهٔ، طلب عمر بن الخطاب من النبى «صلى اللّه عليه و آله»: أن يأمره بقتلهم، فرفض (ص) ذلك؛ لأنه مأمور أن لا يقتل من يتشهد الشهادتين «۱».

و حين كان (ص) يقسّم مالا، اعترض عليه أحدهم بأنه لا يعدل، فغضب (ص) حتى احمرت وجنتاه، فقال: و يحك فمن يعدل إذا لم أعدل؟!

فقال أصحابه: ألا تضرب عنقه؟.

فقال: لا أريد أن يسمع المشركون أنى أقتل أصحابى «۲».

و قد قال (ص) ذلك أيضا حين أراد عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبىّ أن يقتل أباه فراجع «۳».

نعم، و هذه هى الخطهٔ الحكيمهٔ و الصحيحهٔ، لأن قتله لأصحابه، معناه:

۱- أن لا يرغب أحد بعد فى الدخول فى الإسلام لأنه لا يرى فيه عصمهٔ لنفسه، و لا يطمئن لمستقبله و وجوده. كما أن من دخل فيه يجد نفسه مضطرا للتخلى عنه، و اختيار طريق الردّهٔ، فيما لو صدر منهم أى عمل سىء أحيانا له مساس بالحالهٔ العامهٔ، أو بشخص النبى (ص) دون ما يقع فى نطاق التعدى على حقوق الآخرين و حرماتهم.

---

(۱) السيرهٔ الحلبيهٔ ج ۲ ص ۲۵۶ و لهذا نظائر أيضا لا مجال لتتبعها ستأتى فى أواخر هذا الجزء، أواخر فصل بعد ما هبت الرياح.

(۲) كنز العمال ج ۱۱ ص ۲۹۵ عن ابن جرير، و البدايهٔ و النهايهٔ ج ۷ ص ۲۹۷ و ۲۹۸ عن أحمد، و مسلم، و النسائى.

(۳) الدر المنثور ج ۶ ص ۲۲۵ عن عبد الرزاق، و عبد بن حميد، و سعيد بن منصور، و البخارى، و مسلم، و الترمذى، و ابن المنذر، و ابن مردويه، و البيهقى فى الدلائل.

الصحيح من السيرهٔ النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۶۵

۲- أن يفسح المجال أمام أعداء الإسلام للقيام بحملهٔ دعائيهٔ ضده، و منع الناس من التعرف عليه و الإهتداء بهديه، حيث يطعن أعداؤه عليه بأنه (ص) كسائر الملوك الذين يستفيدون من الناس حتى يحققوا أهدافهم، ثم يقتلون من ناصرهم على الظن و التهمهٔ.

۳- إن ذلك ربما يدفع ضعفاء النفوس، ممن أظهروا الإسلام إلى التخلى عنه، ابتعادا بأنفسهم عن مواطن الخطر بزعمهم.

۴- أضف إلى ما تقدم: أن ذلك منه (ص) لربما يتخذ من قبل حكام الجور و الإنحراف ذريعهٔ لقتل الأبرياء، و التخلص من خصومهم

السياسيين، ثم يحتجون بأن رسول اللّه (ص) قد فعل ذلك.

۵- كما أنه لا يبقى مجال للتعصبات القبلية، التى ربما تؤدى إلى خروج قبيلة بكاملها من الإسلام. و لعله لأجل ذلك نجد أبا سفيان لا يثأر لأبى أزيهر الدوسى، و كان فى جواره، و منع ولده من ذلك أيضا، و قال له:

«أتريد أن تفرق بين قريش؛ فيقوى علينا محمد؟ لعمرى ما بدوس عجز عن طلب ثأرهم» «۱».

۶- هذا كله عدا عن أنه (ص) لو فعل ذلك، لخسر أبناء المقتولين، و إخوانهم، و كثيرا من عشائرهم، و أصبحت علاقاتهم به لا تقوم على أساس الحب، بل على أساس الخوف من سلطانه، الأمر الذى سوف يدفع الكثيرين منهم للبحث عن منافذ للفرار، و التخلص من هيمنة رجل قتل أحباءهم بالأمس، و لربما تصل النوبة إليهم اليوم أو غدا.

الثالث: إن موقف الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» من وحشى، و قوله له: غيّب وجهك عنى، إن دل على شىء؛ فإنما يدل على أن وحشيا لم يكن مسلما حقا؛ إذ لا يمكن أن يقول النبى (ص) ذلك

---

(۱) نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ۳۲۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۶۶

لمسلم مؤمن؛ بسبب ما كان قد ارتكبه حين كفره، فإن الإسلام يجبّ ما قبله.

و عليه فإن التشهّد بالشهادتين، و إن حقن دم وحشى، إلا أنّه إنما أسلم حينما رأى البأس، بعد أن أهدر النبى «صلى اللّه عليه و آله» دمه.

فإسلامه و إيمانه لا ينفعه؛ لأنه فى الحقيقة لم يكن مستندا إلى الإختيار، و لا إلى القناعة الوجدانية و العقلية بهذا الدين. و أعتقد: أنه لو لا شبهة: أن النبى (ص) إنما قتل مسلما، و ما سوف يوجب ذلك من تبلبل فى الأفكار، و من ضرر على الإسلام، لكان للنبى (ص) أن يقتله. و إن أعماله الشنيعة و القبيحة، و سيرته الخبيثة بعد ذلك لتدل دلالة واضحة على أنه لم يسلم، و إنما استسلم، تماما كما كان الحال بالنسبة لطلقاء مكة، أبى سفيان و أصحابه.

ب: هل يدعو النبى (ص) على قومه؟!:

و قد رووا عن أنس: أن النبى (ص) جعل يمسح الدم عن وجهه، و يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، و هو يدعوهم إلى ربهم، فأنزل اللّه تعالى: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ، فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ «۱».

---

(۱) راجع: الجامع الصحيح للترمذى ج ۵ ص ۲۲۷، و فتح البارى ج ۸ ص ۱۷۱ و ج ۷ ص ۲۸۱، و صحيح البخارى ج ۳ ص ۱۶، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۹ عن ابن إسحاق، و الترمذى، و النسائى، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۴، و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۴۵، و مجمع البيان ج ۲ ص ۵۰۱، و البحار ج ۲۰ ص ۲۱، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۳۴، و الدر المنثور ج ۲ ص ۷۰/ ۷۱ عن: ابن أبى شيبة، و أحمد، و عبد بن حميد، و البخارى، و مسلم، و الترمذى، و ابن جرير، و النسائى، و ابن المنذر، و النحاس فى ناسخه، و ابن أبى حاتم، و عبد الرزاق، و البيهقى فى الدلائل، و نصب الراية ج ۲ ص ۱۲۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۶۷

و قيل: إنه (ص) جعل يلعن أبا سفيان، و صفوان بن أمية، و سهيل بن عمرو، و الحرث بن هشام- و أضافت بعض الروايات: عمرو بن العاص- فنزلت الآية، فتيب عليهم كلهم «۱».

و قيل: إنه (ص) همّ أن يدعو عليهم، فنهاه اللّه تعالى بهذه الآية؛ لعلمه بأن فيهم من يؤمن، فكف عن الدعاء عليهم «۲».

و نحن نشك فى صحة ما تقدم، و ذلك لما يلى:

۱- تناقض الروايات المتقدمة.

۲- إنهم يقولون: إن سبب نزول الآية هو: أنه (ص) كان يقنت فى صلاته بعد الركوع، و يدعو على مضر، و فى صلاة الفجر يدعو على بعض الأحياء العربية، فنزل قوله تعالى: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ «۳».

و سيأتى ذلك فى الجزء الآتى من هذا الكتاب فى فصل القنوت و الدعاء على القبائل.

و فى نص آخر: إنه (ص) كان يلعن فلانا و فلانا من المنافقين، الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۶ ۱۶۷ ب: هل يدعو النبى(ص) على قومه؟!: ..... ص : ۱۶۶

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۳۴، و الدر المنثور ج ۲ ص ۷۱ عن: أحمد، و البخارى، و الترمذى، و البيهقى فى الدلائل، و ابن جرير، و النسائى، و ابن أبى حاتم، و صحيح البخارى ج ۳ ص ۱۶، و راجع ج ۴ ص ۱۷۱ و ۷۴ و ج ۲ ص ۷۳، و فتح البارى ج ۸ ص ۱۷۰، و نصب الراية ج ۲ ص ۱۲۷ و ۱۲۹، و نيل الأوطار ج ۲ ص ۳۹۸، و راجع: سنن البيهقى ج ۲ ص ۲۰۷ و ۲۰۸، و الجامع الصحيح للترمذى ج ۵ ص ۲۲۷ و ۲۲۸، و مسند أحمد ج ۲ ص ۹۳.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۳۴/ ۲۴۱، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۹، و الدر المنثور ج ۲ ص ۷۱ عن ابن جرير.

(۳) الدر المنثور ج ۲ ص ۷۱ عن البخارى و مسلم، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و النحاس فى ناسخه، و البيهقى فى سننه، و مجمع البيان ج ۲ ص ۵۰۱، و البحار ج ۲۰ ص ۲۱ عنه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۶۸

فأنزل اللّه سبحانه الآية «۱».

و فى أخرى: أن الآية قد نزلت، حينما أساء رجل من قريش الأدب مع النبى (ص)، حيث كشف عن استه بحضرته، فدعا عليه (ص) ثم أسلم، فحسن إسلامه «۲».

۳- إنهم يقولون: إنه (ص) قد قال حين شج فى وجهه: اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون «۳».

۴- و أخيرا لو كانت الآية المباركة المذكورة نازلة «ردّا على النبى (ص)، لم يبق ثمة مناسبة بينها و بين الآية التى قبلها.

و لم يمكن تفسير هذه الآية تفسيرا معقولا و مقبولا، و خصوصا قوله تعالى: أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، فإنه عطف على الآية قبلها، و الآيتان هما: لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، أَوْ يَكْبِتَهُمْ، فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ. لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ، فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ. وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ، يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ، وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ «۴».

---

(۱) الدر المنثور ج ۲ ص ۷۱ عن النحاس فى ناسخه، و عبد بن حميد و المحلى ج ۴ ص ۱۴۴، و سنن البيهقى ج ۲ ص ۹۸، و ۲۰۷، و المنتقى ج ۱ ص ۵۰۳، و ليس فيه عبارة: «ناسا من المنافقين» و راجع: سنن النسائى ج ۲ ص ۲۰۳، و صحيح البخارى ج ۳ ص ۷۴ و ج ۴ ص ۱۷۱، و الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ج ۵ ص ۳۲۵/ ۳۲۶، و مسند أحمد ج ۲ ص ۱۴۷ و ۹۳، و عن شرح معانى الآثار ج ۱ ص ۲۴۲.

(۲) الدر المنثور ج ۲ ص ۷۱ عن ابن إسحاق، و النحاس فى ناسخه.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۲ عن ابن عائذ، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۵۶، و مجمع البيان ج ۲ ص ۵۰۱، و البحار ج ۲۰ ص ۲۱ و ۹۶ عنه، و عن إعلام الورى.

(۴) آل عمران: ۱۲۷- ۱۲۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۶۹

و المعنى: أن نصر اللّه لكم ببدر، و إمداده لكم بالملائكة، و غير ذلك من أمور، إنما هو ليقطع اللّه منهم طرفا، و يقلّل عدتهم بالقتل و الأسر، أو ليخزيهم و يغيظهم، أو ليتوب عليهم، أو ليعذبهم.

فأما القطع و الكبت؛ فلأن الأمر إليه (أى إلى اللّه) لا لك يا محمد، لتمدح أو تذم، و قد ذكر هذا بنحو الجملة الإعتراضية بين الأقسام المتقدمة. و أما التوبة و العذاب؛ فلأن اللّه هو المالك لكل شيء؛ فيغفر لمن يشاء، و يعذب من يشاء «۱».

فلا ربط للآية إذن بالكلام المنسوب إلى النبى (ص). و لو كان الكلام منفصلا عما قبله كما تقتضيه الروايات المتقدمة، لورد سؤال: إن قوله: «أو يتوب عليهم» معطوف على ماذا؟! «۲».

هذا، و يجب أن لا ننسى أن ثمة يدا تحاول أن تثبت الإيمان للأربعة المتقدم ذكرهم، و هم: أبو سفيان، و صفوان بن أمية، و سهيل بن عمرو، و الحرث بن هشام- و لغيرهم من أعوانهم- ممن صارت السلطة فيما بعد إلى قومهم و أبنائهم. مع أنهم من الطلقاء و المنافقين المؤلفة قلوبهم، و مع أنه قد صدرت منهم أمور تدل على أنهم لم يسلموا، و إنما استسلموا كما سنذكره عن خصوص أبى سفيان فى أواخر غزوة أحد إن شاء اللّه تعالى.

استطراد هام:

و مما يلفت النظر هنا قولهم المتقدم: إنه (ص) جعل يلعن صفوان و أبا سفيان إلخ. فنزلت الآية، فتيب عليهم كلهم.

---

(۱) راجع تفسير الميزان ج ۴ ص ۹.

(۲) سنعود إلى توضيح هذه الآية فى الجزء الخامس من هذا الكتاب، فى فصل القنوت و الدعاء على القبائل.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۷۰

و أعجب من ذلك: أن نجد ابن كثير يدعى، بالنسبة لدعاء النبى (ص) على معاوية بقوله: «لا أشبع اللّه بطنه، قال: فما شبع بعدها» «۱»: أن معاوية قد انتفع بهذا الحديث دنيا و آخرة: أما فى الدنيا فكان بعد ما يأكل الكثير يقول: و اللّه ما أشبع و إنما إعياء، و هذه نعمة و معدة يرغب فيها كل الملوك. و أما فى الآخرة، فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذى رواه البخارى، و غيرهما من غير وجه، عن جماعة من الصحابة: أن رسول اللّه (ص) قال: اللهم إنما أنا بشر (و فى رواية: اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر) فأيما عبد سببته، أو جلدته، أو دعوت عليه، و ليس لذلك أهلا، فاجعل ذلك كفارة و قربة تقربه بها عندك يوم القيامة» (و فى نص: سببته أو لعنته أو جلدته، فاجعلها له زكاة و رحمة.

أو: فاجعل ذلك له قربة إليك) «۲». قال ابن كثير: «فركّب مسلم من الحديث الأول و هذا الحديث فضيلة لمعاوية، و لم يورد له غير ذلك» «۳».

و ثمة نصوص منقولة عن مصادر كثيرة حول شبع بطن معاوية لا- مجال لإيرادها هنا. و قد علق عليها العلامة الأمينى بما هو مفيد فليراجع «۴».

أما نحن فنكتفى هنا بالإشارة إلى الحديث الآخر، فنسجل ما يلى:

---

(۱) صحيح مسلم ج ۸ ص ۲۷، و البداية و النهاية ج ۸ ص ۱۱۹.

(۲) راجع هذه النصوص فى: صحيح مسلم ج ۸ ص ۲۷، و ج ۲ ص ۳۹۱ كتاب البر و الصلة، و الغدير ج ۱۱ ص ۸۹، و ج ۸ ص ۲۵۲

عنه، و مسند أحمد ج ۵ ص ۴۳۷ و ۴۳۹، و ج ۶ ص ۴۵، و ج ۲ ص ۳۹۰ و ۴۸۸ و ۴۹۳. و ۴۹۶، و ج ۳ ص ۳۳ و ۳۹۱ و ۴۰۰، و صحيح البخارى ج ۴ ص ۷۸، و دلائل الصدق ج ۱ ص ۴۱۶، و راجع: نسب قريش لمصعب ص ۲۱۹، و أسد الغابة ج ۵ ص ۴۸۵، و المصنف ج ۵ ص ۲۱۴، و ج ۱۱ ص ۱۸۹، و ج ۹ ص ۴۶۹.

(۳) البداية و النهاية ج ۸ ص ۱۱۹ و الغدير عنه.

(۴) راجع: الغدير ج ۱۱ ص ۸۹/ ۹۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۷۱

۱- روى عنه (ص) أنه قال: المؤمن لا يكون لعانا «۱» و قال، و قد أبى الدعاء على المشركين: إنى لم أبعث لعانا، و إنما بعثت رحمة «۲»، فلم يلعنهم و لا دعا عليهم. و قال (ص) لما لعنت جارية ناقتها: لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة «۳»، و روى عنه (ص) ما هو قريب من ذلك حينما سمع رجلا لعن ناقته «۴».

و قال سلمة بن الأكوع: كنا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه، رأينا أن قد أتى بابا من الكبائر «۵».

و جاء فى اللعنة أحاديث كثيرة لا مجال لتتبعها «۶».

۲- و قد ذكر فى الرواية: السباب. مع أنه (ص) قال: سباب المؤمن فسوق.

و قال (ص): المستّبان شيطانان يتهاتران و يتكاذبان. و غير ذلك «۷».

---

(۱) مستدرك الحاكم ج ۱ ص ۱۲ و ۴۷، و الغدير ج ۱۱ ص ۹۰ عنه. و بقية المصادر ستأتى فى الجزء السادس فى فصل القنوت و الدعاء على القبائل.

(۲) الغدير ج ۱۱ ص ۹۱ و ج ۸ ص ۲۵۲، و صحيح مسلم ج ۸ ص ۲۴، و صحيح البخارى ج ۴.

(۳) الغدير ج ۱۱ ص ۹۲، و صحيح مسلم ج ۸ ص ۲۳، و راجع: الترغيب و الترهيب ج ۳ ص ۴۷۴، و مسند أحمد ج ۶ ص ۷۲ و ۲۵۸ و ۱۳۸ و ج ۴ ص ۴۲۹ و ۴۲۰ و ۴۲۳، و سنن الدارمى ج ۲ ص ۲۸۸، و سنن أبى داود ج ۳ ص ۲۶، و دلائل الصدق ج ۱ ص ۴۱۶ و ۴۱۷.

(۴) الترغيب و الترهيب ج ۳ ص ۴۷۴، و الغدير ج ۱۱ ص ۹۲.

(۵) الغدير ج ۱۱ ص ۹۲، و الترغيب و الترهيب ج ۳ ص ۴۷۲.

(۶) راجع هذه الأحاديث فى الغدير للعلامة الأمينى ج ۱۱ ص ۸۹- ۹۳ و ج ۸ ص ۲۵۲ عن كثير من المصادر، و دلائل الصدق ج ۱ ص ۴۱۶.

(۷) الغدير ج ۱۱ ص ۹۱ و ج ۸ ص ۲۵۲ عن البخارى ج ۱، و مسلم، و الترمذى،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۷۲

۳- و أما أن النبى بشر يرضى و يغضب، فإنه (ص) هو نفسه قال لعبد اللّه بن عمرو: أكتب عنى فى الغضب و الرضا، فوالذى بعثنى بالحق نبيا، ما يخرج منه إلّا حق، و أشار إلى لسانه «۱».

۴- و كان (ص) كما وصفه أمير المؤمنين لا يغضب للدنيا؛ فإذا أغضبه الحق، لم يعرفه أحد، و لم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له «۲».

۵- و عنه (ص): المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده «۳».

۶- و روى البخارى فى كتاب الأدب: أنه (ص) لم يكن سبّابا، و لا فحّاشا، و لا لعانا «۴».

۷- و قد قال تعالى: الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً.

و بعد هذا فإننا نعرف: أنه لا قيمة لقولهم: إن من خصائصه (ص)

– و النسائى، و ابن ماجة، و الطبرانى، و الحاكم و الدارقطنى، و أحمد، و الطيالسى، و الهيثمى، و السيوطى، و المناوى.

(۱) الغدير ج ۱۱ ص ۹۱ و ج ۶ ص ۳۰۸ و ۳۰۹، و سنن الدارمى ج ۱ ص ۱۲۵، و إحياء العلوم ج ۳ ص ۱۷۱ عن أبى داود، و مستدرك الحاكم ج ۱ ص ۱۰۴/ ۱۰۵، و تلخيصه للذهبى (مطبوع بهامشه)، و جامع بيان العلم ج ۱ ص ۸۵ و راجع: ج ۲ ص ۶۲ و ۶۳، و ليراجع أيضا: سنن أبى داود ج ۳ ص ۳۱۸، و الزهد و الرقائق ص ۳۱۵، و المصنف للصنعانى ج ۷ ص ۳۴ و ۳۵ و ج ۱۱ ص ۲۳۷.

(۲) الغدير ج ۱۱ ص ۹۲ عن الترمذى فى الشمائل.

(۳) صحيح البخارى ج ۱ ص ۶.

(۴) صحيح البخارى ج ۴ ص ۳۷ و ۳۸، و دلائل الصدق ج ۱ ص ۴۱۷ و ۴۱۶، و صحيح مسلم ج ۸ ص ۲۴، و الغدير ج ۱۱ ص ۹۱ و ج ۸ ص ۲۵۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۷۳

جواز لعن من شاء بغير سبب «۱».

قال المظفر رحمه اللّه: «نعم ربما يلعن بعض المنافقين و فراعنة الأمة، الذين ينزون على منبره نزو القردة، لكشف حقائقهم؛ إذ يعلم بابتلاء الأمة بهم، كبنى أمية الشجرة الملعونة فى القرآن.

لكن أتباعهم وضعوا الحديث الذى صيروا فيه اللعنة زكاة، ليعمّوا على الناس أمرهم، و يجعلوا لعن النبى (ص) لهم لغوا، و دعاءه على معاوية بأن لا يشبع اللّه بطنه باطلا، فجزاهم اللّه تعالى عن نبيهم ما يحق بشأنهم» «۲».

و لا تذهب نفسك عليهم حسرات:

و مما يلفت النظر هنا: أننا نجد النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»، مع ما نالته به قريش، كان يقول– و فى تلك اللحظات بالذات–: اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون.

و ما ذلك إلا- لأنه رجل هادف، و طبيب دوّار بطبّه، لا يكرههم، و لا يعاديهم، لأنهم عدو، و إنما هو يكره كفرهم، و انحرافهم، و أعمالهم الشاذة، التى تعود أولا و أخيرا بالدمار عليهم و على إخوانهم من بنى الإنسان. و لقد كان يذوب حسرة و شفقة عليهم، حتى عاتبه اللّه تعالى بقوله: فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ «۳».

نعم، إن النبى (ص) يرأف على عدوّه، و تذهب نفسه حسرات

(۱) الغدير ج ۱۱ ص ۹۳ عن الخصائص الكبرى ج ۲ ص ۲۴۴، و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۳۹۵.

(۲) دلائل الصدق ج ۱ ص ۴۱۷، و راجع الغدير ج ۱۱ ص ۸۹– ۹۴.

(۳) فاطر: ۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۷۴

عليه، و يهتم و يبذل كل غال و نفيس فى سبيل إنقاذه. و ليس أشد على الإنسان من أن يعيش قضية شخص، و يعيش مشكلته، و يبذل كل ما فى وسعه من أجل إنقاذه، و إذا به يرى ذلك الغير يعاديه و يعلن الحرب عليه، و يعمل على قتله، من أجل أن يحتفظ بذلك الإنحراف بالذات، و فى سبيل الإبقاء على تلك المشاكل نفسها.

و من أجل ذلك احتاج الأنبياء إلى أعظم مراتب الصبر، كما يظهر من الآيات القرآنية.

و قد أشرنا من قبل إلى أنه فى حرب الجمل، حينما حارب على «عليه السلام» البغاة، خرج صائح يحذر جيش عائشة من سيف الأشتر، و جندب بن زهير «۱».

و نرى: أن هذا الصائح إنما فعل ذلك عن رأى على «عليه السلام» و رضاه، لأنه يريد إعلاء كلمة اللّه تعالى بأقل قدر ممكن من الخسائر؛ لأنه يحب لهم الهداية، و لا يريد أبدا لهم الضلالة و الغواية. و كان (ع)- كأخيه- تذهب نفسه حسرات عليهم، كما يظهر من كلماته المرّة المعبرة عن غصته و آلامه.

هذا، عدا عن أن ذلك من أساليب الحرب النفسية، التى تعجّل فى كسر شوكتهم، و تحطيم كبريائهم.

لم يثبت فى أحد غير على (ع):

و أما عن الذين ثبتوا يوم أحد، فنجد الروايات مختلفة جدا، و تذكر أرقاما متعددة من واحد إلى ثلاثين.

و الصحيح هو أن عليا وحده هو الذى ثبت يوم أحد، و فرّ الباقون.

و يدل على ذلك:

---

(۱) لباب الآداب ص ۱۸۷، و الإصابة ج ۱ ص ۲۴۸، و الجمل ص ۱۹۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۷۵

۱- قال القوشجى، بعد أن ذكر قتل على «عليه السلام» لأصحاب اللواء: «فحمل خالد بن الوليد بأصحابه على النبى (ص)؛ فضربوه بالسيوف، و الرماح و الحجر، حتى غشى عليه، فانهزم الناس عنه سوى على (ع)؛ فنظر النبى (ص) بعد إفاقته، و قال: اكفنى هؤلاء، فهزمهم على عنه، و كان أكثر المقتولين منه» «۱».

۲- و قد قالوا: «كان الفتح يوم أحد بصبر على (رض)» «۲».

و قد يقال: إن هذا النص لا يدل على فرارهم، و إنما هو يدل على عظيم جهاد على (ع) و صبره ..

۳- عن ابن عباس، قال: لعلى أربع خصال، هو أول عربى و عجمى صلى مع النبى (ص)، و هو الذى كان لواؤه معه فى كل زحف، و هو الذى صبر معه يوم المهراس (أى يوم أحد)، انهزم الناس كلهم غيره، و هو الذى غسله و أدخله قبره «۳».

۴- ما سنذكره- بعد الحديث عن موقف على- من أن من يذكرونهم: أنهم ثبتوا؛ لا ريب فى فرارهم، كما تدل عليه النصوص.

و قبل أن نشير إلى هذه الناحية لا بد من إلماحة موجزة إلى ما يمكن أن يقال حول ثبات على (ع) فى هذا الموقف.

انه منى، و أنا منه:

إن قول النبى (ص) عن على (ع): إنه منى و أنا منه، لا بد أن نتدبر

---

(۱) شرح التجريد ص ۴۸۶، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۳۵۷ عنه.

(۲) نور الأبصار ص ۸۷، و الإرشاد للمفيد ص ۵۱ و ۵۲، و البحار ج ۲۰ ص ۶۹ و ۸۶ و ۸۷ و ۱۱۳، و الإحتجاج ج ۱ ص ۱۹۹/ ۲۰۰.

(۳) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۱۱، و مناقب الخوارزمى ص ۲۱/ ۲۲، و راجع:

إرشاد المفيد ص ۴۸، و تيسير المطالب ص ۴۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۷۶

معناه و مغزاه. و هو قريب من قوله (ص): حسين منى و أنا من حسين.

و لعل المراد: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» هو من شجرة النبى، و سائر الناس من شجر شتى، هذه الشجرة التى أصلها ثابت و فرعها فى السماء. و هو «عليه السلام» من طينة رسول اللّه (ص)، لحمه لحمه، و دمه دمه.

و هو من النبى (ص) سلوكا، و عقيدة، و مبدأ، و نضالا، و أدبا، و خلوصا، و صفاء، إلخ. كما أن النبى (ص) هو الذى صنع عليا، و علّمه، و ثقفه، و أدبه.

و من الجهة الأخرى، فإن النبى (ص) أيضا من على، حيث إن الوجود الحقيقى للنبى الأكرم (ص) إنما هو بوجود دينه، و مبدئه، و فكره، و عقيدته، و سلوكه، و مواقفه؛ فهذا النبى هو من على، و على هو الذى سوف يبعثه من جديد من خلال إحيائه لمبادئه، و فضائله، و آدابه، و علومه، و غير ذلك.

و هكذا كان؛ فلو لا على لم يبق الإسلام، و لا حفظ الدين. حتى إننا نجد أحدهم يصلى خلف على «عليه السلام» مرة؛ فيقول: إنه ذكّره بصلاة رسول اللّه (ص) «۱». هذه الصلاة التى لم يبق منها إلا الأذان، و حتى الأذان فإنهم قد غيّروه «۲».

و يلاحظ هنا: أنه (ص) قد قدّم قوله: «إنه منى»، تماما كما قدم قوله: «حسين منى»، لأن صناعة النبى (ص) لهم سابقة على إحيائهم لدينه. فثقافة، و فكر، و نفسية، و دين، و خصائص، و آداب النبى (ص)، لسوف يبعثها على و الحسين «عليهما السلام»؛ و هكذا العكس.

و من هنا صح للنبى (ص) أن يقول: أنا و أنت يا على أبوا هذه

---

(۱) و (۲) راجع مصادر ذلك فى الجزء الأول من هذا الكتاب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۷۷

الأمة «۱».

كما أنه ليس من البعيد أن يكون جبريل قد كان يستفيد و يتعلم من النبى (ص) و على (ع)؛ و لأجل ذلك قال: و أنا منكما. و قد ناشدهم أمير المؤمنين بهذه القضية بالذات فى قضية الشورى «۲»، و ذلك يؤكد مغزاها العميق، و مدلولها الهام.

لا سيف الا ذو الفقار:

و إن مناداة جبرئيل ب «لا سيف إلا ذو الفقار إلخ»، لها مغزى عميق أيضا، فإنها تأتى تماما فى مقابل ما فعله الذين فرّوا و جلسوا يتآمرون- هل يرسلون ابن أبىّ لأبى سفيان ليتوسط لهم عنده؟ أم أن كونهم من قومهم، و بنى عمهم يجعلهم لا شىء عليهم، أم يرجعون إلى دينهم الأول؟- كما سيأتى- فإن كل ذلك يدل على أن الذى كان سيفه خالصا للّه حقا هو أمير المؤمنين «عليه السلام» فإنه لا سيف خالصا للّه، و فى سبيل اللّه، إلا سيفه ذو الفقار.

و هذا السيف هو الذى قال عنه أمير المؤمنين «عليه السلام» فى رسالته إلى بعض عماله، يتهدده على تلاعبه بأموال الأمة، مشيرا إلى هذا: «و لأضربنك بسيفى الذى ما ضربت به أحدا إلا دخل النار» «۳».

لأنه لا يقتل به إلا مستحقها، و لأجل هذا صار لهذا السيف شرف و مجد، و تفرّد بين سائر السيوف بأنه فى يد على الذى هو نفس النبى

---

(۱) راجع كتابنا: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام ج ۲ بحث: الحب فى التشريع الإسلامى و بحث آخر فى نفس الكتاب حول: الوحدة الإسلامية أسسها و منطلقاتها.

(۲) البحار ج ۲ ص ۶۹، عن الخصال ج ۲ ص ۱۲۱ و ۱۲۴.

(۳) نهج البلاغة ج ۳ ص ۷۴ بشرح عبده الكتاب رقم ۴۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۷۸

(ص).

كما أن أمير المؤمنين (ع) هو الذى كان اللّه و رسوله، و جهاد فى سبيله، أحب إليه من كل شىء حتى من نفسه؛ و جراحه الكثيرة جدا شاهد صدق على ذلك.

أما غير على (ع)، فقد كانت نفسه- بدرجات متفاوتة طبعا- أحب إليه من اللّه و رسوله، و جهاد فى سبيله. و لأجل ذلك تخلى عن كل ذلك، حينما رأى نفسه تلك فى خطر. بل لقد همّ بعضهم بأن يتخلى حتى عن دينه، حيث قال: «إرجعوا إلى دينكم الأول»!

بل نجد البعض يرى: أن عشيرته الكافرة أحب إليه من اللّه و رسوله، و جهاد فى سبيله، و من دينه؛ فنراه يقول: «نلقى إليهم بأيدينا، فإنهم قومنا و بنو عمنا» «۱».

و يلاحظ: أن أكثر ذلك الكلام قد كان من المهاجرين على وجه العموم!!.

كما أن أولئك كلهم لا فتوّة لهم، و لا رجولة عندهم. و على (ع) وحده هو الفتى، لأنه يملك نفسه، و لا تملكه نفسه، أما هم، فإن نفوسهم تملكهم؛ فتهلكهم.

و لعل مما يشير إلى ما ذكرنا: أننا نجد اللّه تعالى يؤكد فى الآيات النازلة فى أحد على أنه قد كان ثمة اتجاه إلى امتحان أصحاب النبى (ص) هؤلاء، و تمحيصهم. ثم هو يبين لهم مدى ارتباطهم بنبيهم الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» و يبين لهم: أن أمر هذا النبى (ص) لا يهمهم، بل هو إن مات أو قتل انقلبوا على أعقابهم. و نحن نكتفى هنا بذكر الآيات

---

(۱) راجع: السيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش السيرة الحلبية) ج ۲ ص ۳۳، و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۷، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۲۸۰، و راجع: البحار ج ۲۰ ص ۲۷ و غير ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۷۹

التالية:

إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ، فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ، وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ، وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا، وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ، وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ. وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا، وَ يَمْحَقَ الْكافِرِينَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ، وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ. وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ؛ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ إلخ «۱».

و خلاصة الأمر: إننا نجد هؤلاء يفرون هنا، و لا يثبت إلا على «عليه السلام»، و يتركون النبى (ص) عرضة للشدائد و البلايا، و على «عليه السلام» وحده هو الذى يثبت، و يدفع عن هذا الرسول «صلى اللّه عليه و آله»، و يرد عنه، تماما كما كان «عليه السلام» فى بدر يحارب، ثم يرجع ليتفقد الرسول (ص) كما تقدم.

و الدليل على أنهم قد اهمّتهم أنفسهم، و لم يهتموا بحفظ نفس الرسول: أننا نجدهم- بعد سنوات- لا يعنيهم موت الرسول الأعظم (ص)، فى قليل و لا كثير، حتى لقد أخرج ابن سعد، عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع، قال: جاء على بن أبى طالب (رض) يوما متقنعا متحازنا، فقال له أبو بكر (رض): أراك متحازنا.

فقال على: إنه عنانى ما لم يعنك!!

قال أبو بكر: اسمعوا ما يقول، أنشدكم اللّه، أترون أحدا كان أحزن على رسول اللّه (ص) منى «۲»؟!

(۱) آل عمران: ۱۴۰- ۱۴۴.

(۲) حياة الصحابة ج ۲ ص ۸۴، و كنز العمال ج ۷ ص ۱۵۹ عن ابن سعد.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۸۰

فإن عليا لم يكن يراهم محزونين على النبى (ص)، و لا مهتمين بأمره، و لا حتى حين وفاته، بل لم يكن يعنيهم أمره أصلا، حتى اضطر أبو بكر إلى هذا الإستشهاد؛ لإنقاذ موقفه. و لا بد أن يكون قد استشهد من هم على رأيه، و على مثل موقفه، من المقربين إليه.

بل نجد النبى (ص) نفسه يلمح للصحابة: أن غيرهم يحبه أكثر منهم. فقد روى أنه قال: إن قوما يأتون من بعدى، يودّ أحدهم أن يفتدى رؤيتى بأهله و ماله «۱».

بل إننا نجده (ص) يفضل الذين يأتون بعده و لم يروه، على أصحابه، كما يظهر من عدد من الروايات «۲».

الفّارون فى أحد:

اشاره

و مما يدل على أنه لم يثبت غير على (ع): أن من تحاول بعض الروايات التأكيد على ثباتهم لا ريب فى فرارهم، فيلاحظ التعمّد و الإصرار على ثبات طلحة، و سعد بن أبى وقاص، و غيرهم.

و نكتفى هنا بذكر عبارة الشيخ الطوسى رحمه اللّه، حيث قال: «ذكر البلخى: أن الذين بقوا مع النبى (ص) يوم أحد، فلم ينهزموا ثلاثة عشر رجلا، خمسة من المهاجرين: على (ع)، و أبو بكر، و طلحة، و عبد الرحمان بن عوف، و سعد بن أبى وقاص، و الباقون من الأنصار.

فعلى و طلحة لا خلاف فيهما، و الباقون فيهم خلاف» «۳».

و فى نص آخر: «أفرد النبى (ص) فى تسعة، سبعة من الأنصار

(۱) مجمع الزوائد ج ۱۰ ص ۶۶ عن البزار، و حياة الصحابة ج ۲ ص ۴۱۷ عنه.

(۲) مجمع الزوائد ج ۱۰ ص ۶۶ و ۶۷ عن أبى يعلى و البزار، و أحمد، و حياة الصحابة ج ۲ ص ۴۱۶ و ۴۱۷.

(۳) التبيان ج ۳ ص ۲۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۸۱

و رجلين من قريش». ثم ذكر أن السبعة من الأنصار قد قتلوا أيضا «۱».

و رغم ذلك كله نقول: لا ينبغى الريب فى أن عليا (ع) وحده هو الذى ثبت و فرّ الباقون جميعا؛ حتى طلحة و غيره. و لبيان ذلك؛ نقول:

فرار سعد:

إن مما يدل على فرار سعد:

۱- ما تقدم من أنه لم يثبت سوى على «عليه السلام».

۲- عن السدى: لم يقف إلا طلحة، و سهل بن حنيف «۲».

و لعل عدم ذكر على «عليه السلام» بسبب أن ثباته إجماعى، لم يرتب فيه أحد.

۳- و عند الواقدى: أنه لم يثبت سوى ثمانية، و عدّهم، و ليس فيهم سعد. أما الباقون ففرّوا و الرسول يدعوهم فى أخراهم «۳».

۴- و يعدّ الإسكافى، و ابن عباس، و غيرهم من ثبت يوم أحد، و ليس فيهم سعد «۴».

۵- و سلمة بن كهيل يقول: لم يثبت غير إثنين، على، و أبو دجانة «۵».

---

(۱) تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۴۱۲ عن أحمد، و راجع ص ۴۱۵ عن دلائل النبوة للبيهقى بنحو آخر.

(۲) تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۲۰۱، و دلائل الصدق ج ۳ ص ۳۵۶ غنه.

(۳) مغازى الواقدى ج ۱ و شرح النهج عنه، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۳۵۶ عن الأول.

(۴) راجع شرح النهج ج ۱۳ ص ۲۹۳، و آخر العثمانية ص ۲۳۹.

(۵) المصدر المتقدم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۸۲

۶- عن سعد، قال: لما جال الناس عن رسول اللّه (ص) تلك الجولة تنحيت، فقلت: أذود عن نفسى، فإما أن استشهد، و إما أن أنجو.

إلى أن قال: فقال رسول اللّه (ص): أين كنت اليوم يا سعد؟!

فقلت: حيث رأيت «۱».

فرار طلحة:

و يدل على فراره:

۱- جميع ما تقدم فى أنه لم يثبت سوى على (ع).

۲- و يدل على ذلك أيضا قول سلمة بن كهيل المتقدم.

۳- إنتهى أنس بن النضر إلى عمر بن الخطاب، و طلحة بن عبيد اللّه، فى رجال من المهاجرين و الأنصار، و قد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يحبسكم؟

قالوا: قتل رسول اللّه.

فقال: فما تصنعون بالحياة بعده؟! قوموا، فموتوا على مثل ما مات عليه رسول اللّه (ص). ثم استقبل القوم؛ فقاتل حتى قتل «۲».

---

(۱) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۲۶، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۳۵۶.

(۲) تاريخ الطرى ج ۲ ص ۱۹۹، و الكامل لإبن الأثير ج ۲ ص ۱۵۶، و الثقات لإبن حبان ج ۱ ص ۲۲۸، و السيرة النبوية لإبن كثير ج ۳ ص ۶۸، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۴ عن ابن إسحاق، و سيرة ابن هشام ج ۳ ص ۸۸، و الدر المنثور ج ۲ ص ۸۱ عن ابن جرير، و قاموس الرجال ج ۲ ص ۱۲۵، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۳۵۶ عن الدر المنثور، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۴، و حياة الصحابة ج ۱ ص ۵۳۱ عنه. و لكن قد اقتصر فى مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۸۰، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۸۶ على ذكر عمر فقط، و تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۳۱۴، و سيرة ابن إسحاق ص ۳۳۰، و الأغانى ج ۱۴ ص ۱۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۸۳

و يروى السدى: أنه خاف هو و عثمان أن يدال عليهم اليهود و النصارى، فاستأذنا رسول اللّه (ص) بالخروج إلى الشام ليأخذ أحدهما العهد لنفسه من اليهود، و يأخذه الآخر من النصارى، فرفض (ص) طلبهما «۱».

فرار أبى بكر:

و يدل على فراره:

۱- جميع ما تقدم فى ثبات أمير المؤمنين «عليه السلام». و ما تقدم فى فرار سعد، ما عدا الحديث الأخير المختص بسعد.

۲- عن عائشة: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد بكى، ثم قال: ذاك كان يوم طلحة. ثم أنشأ يحدث، قال: كنت أول من فاء يوم أحد؛ فرأيت رجلا يقاتل مع رسول اللّه (ص)؛ فقلت: كن طلحة، حيث فاتنى ما فاتنى، يكون رجلا من قومى «۲».

و حسب نص آخر، عن عائشة، عن أبيها: لما جال الناس عن

---

(۱) نهج الحق ص ۳۰۶ و ۳۰۷، و تفسير الخازن ج ۱ ص ۴۷۱، و تفسير ابن كثير ج ۲ ص ۶۸ من دون تصريح بالإسم.

(۲) منحة المعبود فى تهذيب مسند الطيالسى ج ۲ ص ۹۹، و طبقات ابن سعد ج ۳ ص ۱۵۵، و السيرة النبوية لإبن كثير ج ۳ ص ۵۸، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۱، عن الصفوة، و ابن أبى حاتم، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۹ عن الطيالسى، و كنز العمال ج ۱۰ ص ۲۶۸ و ۲۶۹ عن الطيالسى، و ابن سعد، و ابن السنى، و الشاشى، و البزار، و الدار قطنى فى الأفراد، و أبى نعيم فى معرفة الصحابة، و الطبرانى فى الكبير و الأوسط، و ابن عساكر، و الضياء فى المختارة. و قد صرح فى مقدمة الكنز بصحة ما يعزوه لبعض هؤلاء، و حياة الصحابة ج ۱ ص ۲۷۲ عن ابن سعد و عن الكنز عمن تقدم بإضافة ابن حبان، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۳۵۹ عن الكنز أيضا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۸۴

رسول اللّه (ص) يوم أحد كنت أول من فاء إلى رسول اللّه (ص)، فبصرت به من بعد، فإذا برجل قد اعتنقنى من خلفى مثل الطير، يريد رسول اللّه (ص)؛ فإذا هو أبو عبيدة. قال الحاكم: صحيح الإسناد «۱».

و لكن ما أراده أبو بكر لم يصل إليه، فإن طلحة كان قد فرّ أيضا كما فرّ هو، و لكنه فاء إلى رسول اللّه (ص) قبله.

ثم إننا لا نستطيع أن نوافق أبا بكر على هذه الروح القبلية التى كانت تستبد به، و تهيمن على فكره و عقله و روحه، حتى فى هذه اللحظات الحرجة و الخطيرة، حيث يتمنى أن يكون رجلا من قومه!!.

۳- قال الأمير أسامة بن منقذ: لما دوّن عمر الدواوين، جاء طلحة بنفر من بنى تميم يستفرض لهم. و جاء أنصارى بغلام مصفر سقيم، فسأل عنه عمر؛ فأخبر أنه البراء بن أنس بن النضر، ففرض له فى أربعة آلاف، و فرض لأصحاب طلحة فى ستمائة؛ فاعترض طلحة. فأجابه عمر:

«إنى رأيت أبا هذا جاء يوم أحد، و أنا و أبو بكر قد تحدثنا: أن رسول اللّه قتل؛ فقال: يا أبا بكر، و يا عمر، ما لى أراكما جالسين؟! إن كان رسول اللّه قتل؛ فإن اللّه حى لا يموت إلخ» «۲».

۴- قال زيد بن وهب لإبن مسعود: و أين كان أبو بكر و عمر؟ قال:

كانا ممن تنحى «۳».

۵- قال المظفر رحمه اللّه ما معناه: إنه كيف يتصور ثبات أبى بكر فى ذلك اليوم الهائل، و حومة الحرب الطاحنة التى لم يسلم فيها حتى

(۱) مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۲۷، و تلخیصه للذهبی بهامش نفس الصفحة، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۳۵۹ عن المستدرک، و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۱۲ عن البزار.

(۲) لباب الآداب ص ۱۷۹، و لیراجع: حیاة محمد لهیکل ص ۲۶۵.

(۳) الإرشاد للشیخ المفید ص ۵۰، و البحار ج ۲۰ ص ۸۴ عنه.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۶،ص:۱۸۵

النبی (ص)، فضلا عن علی «علیه السلام» کیف یتصور ثباته فی ظروف کهذه، و ما أصاب و ما أصیب، و کیف یسلم، و هو قد ثبت لیدفع عن النبی (ص) السیوف، و الرماح و الحجارة؟ و لا سیما مع ما یزعمه أولیاؤه من أنه قرین النبی (ص) فی طلب قریش له، حتی بذلوا فی قتله ما بذلوه فی قتل النبی (ص)؟ ثم أتراهم ینعون إصبع طلحة، و لا ینعون جراحة أبی بکر «۱»؟!.

۶- روی مسلم: أن رسول اللّه قد أفرد فی أحد فی سبعة من الأنصار و رجلین من قریش «۲».

قال الشیخ المظفر: «إن أحد الرجلین علی، و الآخر لیس أبا بکر؛ إذ لا روایة، و لا قائل فی ثباته، و فرار سعد أو طلحة» «۳».

هذا و قد ذکر فی سحّ السحابة: أن الأنصار قد قتلوا جمیعا واحدا بعد واحد «۴».

و لکن روایة أخری تقول: إنهم سبعة من الأنصار، و رجل من قریش، و ستأتی الروایة حین الحدیث عن عدم ثبات أحد من المهاجرین سوی علی «علیه السلام».

۷- و یرد الإسکافی علی الجاحظ بقوله: «أما ثباته یوم أحد؛ فأکثر المؤرخین و أرباب السیر ینکرونه» «۵».

(۱) راجع: دلائل الصدق للشیخ المظفر ج ۲ ص ۳۶۰.

(۲) صحیح مسلم ج ۵ ص ۱۷۸ فی أول غزوة أحد، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۳۵۹، و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۳۴۶ عن سح السحابة.

(۳) دلائل الصدق ج ۲ ص ۳۵۹.

(۴) تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۳۶.

(۵) شرح النهج للمعتزلی ج ۱۳ ص ۲۹۳، و لیراجع آخر العثمانیة ص ۳۳۹.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۶،ص:۱۸۶

۸- لقد رووا بسند صحیح، عن ابن عباس؛ فی قوله: «و شاورهم فی الأمر»: أبو بکر و عمر. «۱»

قال الرازی: «و عندی فیه إشکال؛ لأن الذین أمر اللّه رسوله بمشاورتهم، هم الذین أمره بالعفو عنهم، و یستغفر لهم. و هم المنهزمون؛ فهب أن عمر کان من المنهزمین؛ فدخل تحت الآیة، إلا أن أبا بکر ما کان منهم؛ فکیف یدخل تحت هذه الآیة» «۲».

و أجابه المظفر بقوله: «إن الإشکال موقوف علی تقدیر ثبات أبی بکر، و هو خلاف الحقیقة. هذا، و الآیة ظاهرة فی الأمر بمشاورتهم للتألیف، کما یظهر من کثیر من أخبارهم، و مثله الأمر بالعفو عنهم، و الإستغفار لهم» «۳».

فرار عمر:

و یدل علی فراره:

۱- ما تقدم فی ثبات أمیر المؤمنین فقط.

۲- ما تقدم فی فرار طلحة، و ما جری بینهم و بین أنس بن النضر.

۳- ما تقدم فى فرار أبى بكر، فى حديث فرض عمر لإبن أنس بن النضر. و كذلك ما ذكره ابن مسعود. ثم ما قاله المظفر. ثم ما قاله مسلم، و علق عليه المظفر. ثم ما ذكره ابن عباس، و علق عليه الرازى، و أجابه

---

(۱) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۷۰، و تلخيصه للذهبى هامش نفس الصفحة، و صححاه على شرط الشيخين، و الدر المنثور ج ۲ ص ۹۰ عن الحاكم، و البيهقى فى سننه، و ابن الكلبى، و التفسير الكبير للرازى ج ۹ ص ۶۷ عن الواحدى فى الوسيط عن عمرو بن دينار، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۳۵۹ عمن تقدم.

(۲) تفسير الرازى ج ۹ ص ۶۷.

(۳) دلائل الصدق ج ۲ ص ۳۵۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۸۷

المظفر.

۴- ما تقدم فى فرار سعد.

۵- عن كليب قال: خطبنا عمر، فكان يقرأ على المنبر آل عمران، و يقول: إنها أحديـة. ثم قال: تفرقنا عن رسول اللّه (ص) يوم أحد؛ فصعدت الجبل، فسمعت يهوديا يقول: قتل محمد. فقلت: لا أسمع أحدا يقول: قتل محمد، إلا ضربت عنقه.

فنظرت، فإذا رسول اللّه (ص)، و الناس يتراجعون إليه؛ فنزلت:

وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ «۱».

و فى نص آخر: لما كان يوم أحد هزمناهم «۲»، ففررت حتى صعدت الجبل، فلقد رأيتنى: أنزو كأننى أروى «۳». و فى لفظ الواقدى: إن عمر كان يحدث، فيقول: لما صاح الشيطان: قتل محمد، قلت:

أرقى الجبل كأننى أروية «۴».

و نحن هنا لا ندرى من أين جاء ذلك اليهودى الملعون، الذى نقل عنه عمر قوله: قتل محمد!! مع أنه (ص) قد رفض مشاركة اليهود فى هذه الحرب، كما رفض ذلك فى غيرها.

كما أننا لا ندرى كيف نفسر تهديد عمر لهذا اليهودى بالقتل، مع

---

(۱) الدر المنثور ج ۲ ص ۸۰، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۳۵۸، و كنز العمال ج ۲ ص ۲۴۲ عن ابن المنذر، و حياة الصحابة ج ۳ ص ۴۹۷ عن الكنز ج ۱ ص ۲۳۸، و فتح القدير ج ۱ ص ۳۸۸.

(۲) لعل الصحيح: هزمنا ففررت. كما يقتضيه سياق الكلام.

(۳) الدر المنثور ج ۲ ص ۸۸ عن ابن جرير، و كنز العمال ج ۲ ص ۲۴۲، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۳۵۸، و حياة الصحابة ج ۳ ص ۴۹۷، و كنز العمال ج ۲ ص ۲۴۲، و جامع البيان ج ۴ ص ۹۵، و التبيان ج ۳ ص ۲۵/ ۲۶.

(۴) شرح النهج ج ۱۵ ص ۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۸۸

أنه هو نفسه قد فر عن رسول اللّه (ص)، و أسلمه لأعدائه، فأين كان حماس عمر عنه فى الدفاع عن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» ضد المشركين؟! و لم لم يقتل أحدا منهم؟ و لا حتى طيلة السنوات العشر، فى عشرات الغزوات و السرايا التى اشترك فيها؟!

إن ذلك لعجيب حقا، و أى عجيب!!

۶- قال المعتزلى: قال الواقدى: لما صاح إبليس: إن محمدا قد قتل، تفرق الناس. إلى أن قال: و ممن فر عمر و عثمان «۱».

لكن يلاحظ أن إسم عمر قد حذف من المطبوع من مغازى الواقدى، و أثبته المعلق فى هامش الصفحة على أنه قد ورد فى بعض نسخ المغازى دون بعض «۲».

فليراجع ذلك بدقة، فقد تعودنا منهم مثل هذا الشيء الكثير!!

۷- و بعد أن ذكر الواقدى إعتراض عمر على رسول اللّه (ص) فى قضية الحديبية، قال عن النبى (ص): «ثم أقبل على عمر، فقال: أنسيتم يوم أحد؛ إذ تصعدون و لا تلوون على أحد، و أنا أدعوكم فى أخراكم» «۳»؟!.

۸- ما سيأتى من عدم قتل خالد لعمر، حينما كان عمر منهزما.

۹- و جاءته إمرأة أيام خلافته، تطلب بردا من برد كانت بين يديه، و جاءت معها بنت لعمر، فأعطى المرأة، و ردّ ابنته. فقيل له فى ذلك،

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۲۴، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۳۵۸، و راجع:

غرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج ۴ ص ۱۱۳.

(۲) راجع: مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۷۷.

(۳) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۲۴، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۳۵۸، و مغازى الواقدى ج ۲ ص ۶۰۹.

فقال: إن أب هذه ثبت يوم أحد، و أب هذه فر يوم أحد، و لم يثبت «۱».

۱۰- و قد اعترف عمر برعبه من على «عليه السلام»، حينما تبع الفارّين و هو يقول لهم: شاهت الوجوه، و قطّت، و بطّت، و لطّت، إلى أين تفرون؟ إلى النار؟ و يقول: بايعتم، ثم نكثتم؟ فو اللّه لأنتم أولى بالقتل ممن أقتل إلخ .. «۲».

و قد اعترف الجاحظ بفرار عمر فى عثمانيته أيضا فراجع «۳».

۱۱- و على كل حال، فإن فرار عمر من الزحف يوم أحد، و حنين، و خيبر، معروف، و يعدّه العلماء من جملة المطاعن عليه؛ لأن الفرار من الزحف من جملة الكبائر الموبقة، و لم يستطع المعتزلى أن يجيب على ذلك، بل اعترف به، و اكتفى بالقول:

«و أما الفرار من الزحف، فإنه لم يفر إلا متحيزا إلى فئة، و قد استثنى اللّه تعالى ذلك؛ فخرج به عن الإثم» «۴».

و لكن قد فات المعتزلى: أن ما جرى يوم أحد، لا يمكن الإعتذار عنه بما ذكر، لعدم وجود فئة لهم إلا الرسول (ص) نفسه،، و قد تركوه، و فرّوا عنه، و لأن اللّه تعالى قد ذمّهم على هذا الفرار، و علّله بأن الشيطان قد استزلّهم ببعض ما كسبوا، ثم عفا عنهم، و لو كان لا إثم فى هذا الفرار؛ فلا حاجة إلى هذا العفو. هذا، و قد حقق العلامة الطباطبائى: أن المراد بالعفو هنا معنى عام، يشمل العفو عن المنافقين أيضا، فراجع «۵».

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۲۲.

(۲) البحار ج ۲۰ ص ۵۳، و تفسير القمى ج ۱ ص ۱۱۴/ ۱۱۵.

(۳) العثمانية ص ۱۶۹.

(۴) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۲ ص ۱۷۹/ ۱۸۰.

(۵) راجع تفسير الميزان ج ۴ ص ۵۱.

و قد كان ثمة حاجة إلى التسامح فى هذا الفرار، لأنه الأول من نوعه، و يأتى فى وقت يواجه الإسلام فيه أعظم الأخطار داخليا و

خارجيا، مع عدم وجود إمكانات كافية لمواجهتها، و مواجهة آثار مؤاخذتهم بما اقترفوا.

و استمع أخيرا إلى ترقيع الرازى الذى يقول: «و من المنهزمين عمر، إلا أنه لم يكن فى أوائل المنهزمين و لم يبعد، بل ثبت على الجبل إلى أن صعد النبى (ص)» «۱».

بارك اللّه فى هذا الثبات، لكن لا فى ساحة المعركة، بل فوق الجبل (!!).

ثم إننا لا ندرى ما الفرق بين أن يكون المنهزم فى أول الناس أو فى وسطهم، أو فى آخرهم؟! و ما الفرق بين أن يبعد فى هزيمته و بين أن لا يبعد!!

فرار الزبير:

و بعد هذا فلا نرى حاجة لإثبات فرار الزبير فى أحد. بعد أن عرفنا أنه لم يثبت سوى أمير المؤمنين «عليه السلام». أو على و أبو دجانة، و غير ذلك من نصوص تقدمت مع مصادرها.

و إن كان ثمة محاولات لإظهار الزبير على أنه فارس الإسلام، و رجل الحرب الذى لا يبارى و لا يجارى، حتى إننا لنجد عمر بن الخطاب يعتبره يعدل ألف فارس. و عند مصعب الزبيرى!!: أنه أشجع الفرسان، و على أشجع الرجالة.

بل و يدّعون: أنه قد افتتح إفريقية وحده «۲».

---

(۱) التفسير الكبير ج ۹ ص ۵۱.

(۲) راجع لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص ۱۷۳- ۱۷۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۹۱

مع أن مما لا شك فيه: أن إفريقية قد فتحت على عهد عثمان فى سنة سبع أو ثمان و عشرين على يد عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح «۱»!!.

و نحن نعرف: أن الهدف هو إيجاد شخصيات بديلة، أو فى قبال الإمام على «عليه السلام»، الذى هو أشجع البشر، بعد إبن عمه محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلّم». و لكن اللّه يأبى إلا أن يتم نوره، و يرد كيد الخائنين للحقيقة و التاريخ.

فرار عثمان:

و أما عثمان، فلا يختلف فى فراره فى أحد إثنان. و هو موضع إجماع المؤرخين، و كان يعيّر به. و قد رجع بعد ثلاثة أيام، فقال له رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»: لقد ذهبتم فيها عريضة «۲»!!.

و عن ابن عباس و غيره: إن آية: إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى

---

(۱) راجع: تاريخ الطبرى و فتوح البلدان.

(۲) راجع: تفسير المنارج ۴ ص ۱۹۱، و الجامع لأحكام القرآن ج ۴ ص ۲۴۴، و فتح القدير ج ۱ ص ۳۹۲، و تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۴۱۴، و تفسير التبيان ج ۳ ص ۲۶، و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۰۳، و الإرشاد للشيخ المفيد ص ۵۰، و البحار ج ۲۰ ص ۸۴، و البدآية و النهاية ج ۴ ص ۲۸، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۲۱ عن الواقدى لكن مغازى الواقدى المطبوع لم يصرح

بالأسماء بل كنى عنها فى ج ۱ ص ۲۷۷ لكن فى الهامش قال: فى «نسخة عمر و عثمان»، و الكامل لإبن الأثير ج ۲ ص ۱۵۸، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۷، و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۵، و الدر المنثور ج ۲ ص ۸۸ و ۸۹ عن ابن جرير و ابن المنذر، و ابن إسحاق و راجع: سيرة ابن إسحاق ص ۳۳۲، و جامع البيان ج ۴ ص ۹۶، و غرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج ۴ ص ۱۱۳، و التفسير الكبير للرازى ج ۹ ص ۵۰ و ۵۱، و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۲۶. و راجع عن فراره يوم أحد و تخلفه يوم بدر: محاضرات الراغب ج ۳ ص ۱۸۴، و مسند أحمد ج ۲ ص ۱۰۱ و ج ۱ ص ۶۸، و الصراط المستقيم للبياضى ج ۱ ص ۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۹۲

الْجَمْعانِ نزلت بعثمان «۱».

بل فى بعض النصوص: أن طلحة أراد أن يتنصّر، و عثمان أراد أن يتهوّد «۲».

لم يثبت من المهاجرين سوى على (ع):

يقول حسان بن ثابت عن الأنصار؛ مشيرا إلى فرار المهاجرين:

سمّاهم اللّه أنصارا لنصرهم‌دين الهدى، و عوان الحرب يستعر

و جاهدوا فى سبيل اللّه و اعترفواللنائبات فما خافوا و لا ضجروا

و الناس إلب علينا ثم ليس لناإلا السيوف و أطراف القنا وزر

و لا يهرّ جناب الحرب مجلسناو نحن حين تلظّى نارها سعر

و كم رددنا ببدر دونما طلبواأهل النفاق و فينا أنزل الظفر

و نحن جندك يوم النعف من أحدإذ حزبت بطرا أشياعها مضر

فما و نينا و ما خمنا، و ما خبروامنا عثارا وجل القوم قد عثروا «۳» و أخيرا فقد تقدم: أن أبا بكر، و سعدا، و عمر، و عثمان، و طلحة و الزبير كلهم من المهاجرين. و هنا نص يقول: إنه لم يثبت أحد من المهاجرين إلا رجل واحد، و سبعة من الأنصار قتلوا كلهم. و لا ريب فى أن هذا المهاجرى هو على (ع)؛ للإجماع.

و النص هو: أخرج الإمام أحمد، عن أنس: أن المشركين لما رهقوا النبى (ص) يوم أحد- و هو فى سبعة من الأنصار، و رجل من

---

(۱) الدر المنثور ج ۲ ص ۸۸، و فتح القدير ج ۱ ص ۳۹۲، و راجع: جامع البيان ج ۴ ص ۹۶.

(۲) قاموس الرجال ج ۵ ص ۱۶۹.

(۳) ديوان حسان بن ثابت ص ۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۹۳

قريش- قال: من يردهم عنا، و هو رفيقى فى الجنة؟ فجاء رجل من الأنصار؛ فقاتل حتى قتل. فلما رهقوه أيضا قال: من يردهم عنا، و هو رفيقى فى الجنة؟ .. فأجابه أنصارى آخر، و هكذا، حتى قتل السبعة.

فقال رسول اللّه (ص): ما أنصفنا أصحابنا «۱».

سر الاختلاف فى من ثبت:

و بعد، فإننا يمكن أن نفهم: أن رجعة المسلمين إلى المعركة بعد هزيمتهم لم تكن دفعة واحدة، و إنما رجع الأول فرأى عليا. ثم

يرجع آخر؛ فيرى عليا و أبا دجانة مثلا، ثم يرجع آخر فيرى خمسة، و هكذا؛ فكل منهم ينقل ما رآه. حتى وصل العدد لدى بعض الناقلين إلى ثلاثين.

كما أن ما يؤثر عن بعض الصحابة من مواقف نضالية؛ لعله قد كان بعد عودتهم إلى ساحة القتال.

ثبات أبى دجانة:

و لعل ذكر أبى دجانة فى بعض الأخبار، مرجعه ذلك. و إلا، فإننا نجد ابن مسعود ينكر ثباته، فقد قال: انهزم الناس إلا على وحده. و ثاب إلى النبى (ص) نفر، و كان أولهم: عاصم بن ثابت، و أبو دجانة «۲».

و لكن يعكّر؛ على هذه الرواية: أنه قد جاء فى المطبوع من كتاب الإرشاد للمفيد: أن أبا دجانة قد ثبت هو و سهل بن حنيف، كانا قائمين

---

(۱) البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۶، و حياة الصحابة ج ۱ ص ۵۳۳، و تقدمت الرواية عن صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۷۸ إلا أن فيه: رجلين من قريش. و كذا فى تاريخ الخميس أيضا.

(۲) قاموس الرجال ج ۵ ص ۷. و لكن يبدو أن فى الإرشاد تحريفا، فراجع ص ۵۰ منه، و قارنها مع ما نقله عنه فى البحار ج ۲۰، و قاموس الرجال.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۹۴

على رأسه، بيد كل واحد منهما سيف ليذب عنه «۱». و ثاب إليه من أصحابه المنهزمين أربعة عشر رجلا «۲».

و نحن لا نستبعد: أن يكون أبو دجانة قد ثبت، و لكن لا كثبات على «عليه السلام». و إنما حارب أولا بسيفه، ثم لما فرّ المسلمون صار يقى النبى (ص) بنفسه، و يترّس عليه «۳»، كما تقدم عن سلمة بن كهيل أيضا؛ حيث كان على (ع) يصد الكتائب، و يجندل الأبطال، حتى نزل فى حقه:

لا سيف إلا ذو الفقارو لا فتى إلا على أو أن أول عائد إليه (ص) هو عاصم بن ثابت كما تقدم، فصار هو و سهل بن حنيف يذبان عن رسول اللّه (ص) إلى أن كثر المسلمون. و بعد عودة المسلمين من فرارهم أعطاه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» السيف بحقه، و منعه عمر، و الزبير، و أبا بكر، عقابا لهم، و تقديرا و اهتماما فى عودة أبى دجانة إلى ساحة الحرب، و مجال الطعن و الضرب معززا و مكرما.

إلا- أن يقال: إن أبا بكر و عمر لم يعودا إلى الحرب بعد فرارهما أصلا، فلا بد أن يكون عرض السيف على أبى دجانة و عليهم قد كان فى المواجهة الأولى.

نحن، و شعر حسان المتقدم:

و أمام تصريحات المؤرخين الكثيرة جدا، و المقطوع بصحتها

---

(۱) و فى ربيع الأبرار ج ۱ ص ۸۳۳/ ۸۳۴: أن عمارا كان بين يدى النبى (ص) يذب عنه، و المقداد كان عن يمينه (ص).

(۲) البحار ج ۲۰ ص ۸۳، و الإرشاد للمفيد ص ۵۰.

(۳) تفسير فرات ص ۲۴/ ۲۵، و البحار ج ۲۰ ص ۱۰۴/ ۱۰۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۹۵

و تواترها، لا- يسعنا قبول قول حسان المتقدم، الذى يقول فيه: إن الأنصار قد ثبتوا، و ينسب الفرار إلى خصوص المهاجرين. إلا أن يكون مراده: أن المهاجرين أو أكثرهم لم يرجعوا إلى ساحة القتال، و استمروا فوق الجبل، و الذين ثابوا إلى الحرب هم خصوص الأنصار. و لعل كرة العدو عليهم؛ قد ضعضعتهم، فانهزموا، ثم لما علموا بحياة الرسول كروا على عدوهم من دون أن يصعدوا الجبل، و لعل هذا هو الأقرب و الأظهر.

تأويلات سقيمة للفرار:

و يقول البعض هنا ما ملخصه: إن فرقة استمروا فى الهزيمة حتى المدينة، فما رجعوا حتى انقضى القتال. و فرقة صاروا حيارى حينما سمعوا بقتل النبى (ص)؛ فصار همّ الواحد منهم: أن يذب عن نفسه، و يستمر فى القتال إلى أن يقتل. و فرقة بقيت مع النبى (ص)، ثم تراجعت إليهم الفرقة الثانية شيئا فشيئا لما عرفوا أنه حى. و ما ورد فى الإختلاف فى العدد، فمحمول على تعدد المواطن فى القصة؛ فقولهم: «فروا» أى بعضهم، أو أطلق ذلك باعتبار تفرقهم «۱».

و نحن لا نريد أن نطيل فى الرد على ذلك؛ فإن ما تقدم مما دل على أنه لم يثبت إلا فلان، أو فلان و فلان، و أن هذا قد فرّ، و ذاك كذلك، و هكذا، يدفعه. و إلا لكان الفرار منحصرا فى الثلاثة، بعثمان و صاحبيه.

كما أنه لو صحّ ما ذكره فلا يبقى لعتاب اللّه لهم جميعا بقوله: إِذْ تُصْعِدُونَ وَ لا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْراكُمْ، معنى و لا فائدة.

لماذا كانت الهزيمة:

۱- إن من الواضح: أن السبب الأول لما لحق بالنبى (ص)

---

(۱) راجع: وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۲، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۹۶

و للهزيمة التى لحقت بالمسلمين، و ما جرى عليهم من النكبات، و القتل الذريع، حتى لقد قتل منهم سبعون، و جرح أعداد هائلة- أيضا- هو:

أنهم عصوا، و تنازعوا، ففشلوا. قال تعالى: وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ؛ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ «۱» بِإِذْنِهِ، حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ، وَ تَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ، وَ عَصَيْتُمْ، مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا، وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ «۲».

و تصريح القرآن بأنهم قد عصوا، و تنازعوا من بعد ما كان النصر منهم قاب قوسين أو أدنى، يكذّب ما يدعيه البعض: من أنهم قد تخيلوا انتهاء أمد أمر النبى (ص)، و إن هذا إجتهاد منهم «۳». فإنه لو كان اجتهادا لما كان معصية، مع أن القرآن يصرح بالمعصية.

و القول بأن المراد بالمعصية: المخالفة مطلقا، و لو عن اجتهاد؛ خلاف ظاهر كلمة: «عصيتم».

فالنصر كان معهم، و حليفهم حتى تنازع الرماة، لأن بعضهم كان يريد الدنيا، و بعضهم يريد الآخرة.

أضف إلى ذلك: أن أمر الرسول كان صريحا لهم فى أن لا يتركوا مراكزهم، حتى يرسل إليهم، حتى و لو رأوهم مهزومين، أو حتى لو رأوهم يغنمون، و لذا قال رفقاؤهم: لا نخالف أمر رسول اللّه (ص). فكيف يصح بعد هذا أن يقال: إنهم تخيلوا انتهاء أمد أمره (ص)؟!.

و هكذا، فقد كانت معصية بعض الرماة، و تنازعهم سببا فى كل ما نال المسلمين من كوارث و نكبات آنئذ، قد أشرنا و لسوف نشير إن شاء اللّه

---

(۱) الحس: القتل على وجه الإستيصال.

(۲) آل عمران: ۱۵۲.

(۳) البوطى فى: فقه السيرة ص ۲۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۹۷

إلى شطر منها.

۲- و أيضا، فقد كان لاغترارهم بأنفسهم، و بكثرتهم، أثر كبير فى حلول الهزيمة بهم، فقد قالوا للنبى (ص): قد كنت فى بدر فى ثلاثمئة رجل؛ فأظفرك اللّه بهم، و نحن اليوم بشر كثير، نتمنى هذا اليوم، و ندعو اللّه له، و قد ساقه اللّه إلى ساحتنا هذه «۱». و قد أشار اللّه تعالى فى سورة آل عمران إلى هذا التمنى للموت. فراجع الآيات «۲».

و واضح: أن الإغترار بالكثرة يفقد العناصر المشاركة شعور الإعتماد على النفس، و يجعلهم يعيشون روح التواكل، و اللامسؤولية.

۳- ثم إن اللّه تعالى ما زال يؤيد المسلمين بنصره، حتى عصوا الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»، طمعا فى الدنيا، و إيثارا لها على الآخرة. فكان لا بد فى هذه الحالة من إعادة التمحيص لهم، و ابتلائهم؛ ليرجعوا إلى اللّه تعالى، و ليميز اللّه المؤمن من المنافق؛ و ليزداد الذين آمنوا إيمانا؛ لأن الإنسان ربما يغفل عن حقيقة العنايات الإلهية، و الإمدادات الغيبية، حين يرى الإنتصارات تتوالى، فينسب ذلك إلى قدرته الشخصية. و لأجل ذلك نجد: أنهم حين غلبوا شكّوا فى هذا الأمر، و قالوا: «هل لنا من الأمر شىء»؟ فجاءهم الجواب القاطع: قُلْ: إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ. نعم، لا بد إذن من إعادتهم إلى اللّه تعالى، و تعريفهم بحقيقة إمكاناتهم، و قدراتهم. و لسوف نعود عن قريب لبحث هذه النقطة إن شاء اللّه تعالى.

و من جهة ثانية، فقد تقدم فى غزوة بدر كلام هام للعلامة الطباطبائى، و فيه مقارنة بين بدر، و أحد و غيرها. و بيان لسر الإنتصار أولا، ثم ما ظهر من إمارات الضعف أخيرا، فليراجع.

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۲۱۱، و سيرة المصطفى ص ۳۹۶.

(۲) آل عمران الآيات: ۱۴۳ و ۱۵۲ و ۱۵۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۹۸

۴- و إن الإنضباطية- خصوصا حين يكون القائد حكيما، فكيف إذا كان نبيا- هى أساس النجاح. و لربما تكون مخالفة أفراد معدودين، سببا فى دمار جيش بكامله، كما كان الحال فى قضية أحد.

۵- كما أن عناية اللّه تعالى بهم، و تسديده لهم، لا يعنى الغاء جميع الأسباب الطبيعية كلية، كما لا يعنى أن هذه العناية، و ذلك الإمداد مطلق غير مشروط؛ بل هو مشروط قطعا بالسعى من قبلهم نحو الهدف الأسمى، و البذل و التضحيات التى تؤهلهم لأن يكونوا موضعا لعنايات اللّه و ألطافه، إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ، وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ.

أو على الأقل لا بد لا ستمرار هذه العناية الإلهية من حفظ الحد الأدنى من الإرتباط بالقيادة، و تنفيذ أوامرها. و إلا لم يكن لهذه المواقف و الحرب أثرها النفسى، و الإجتماعى، و التربوى المطلوب.

۶- قد ظهر مما تقدم: أن الذين تركوا مراكزهم قد ظنوا- أو ظن بعضهم-: أن رسول اللّه (ص) سيغلّ، أى يخونهم، فلا يقسم لهم. و هذا يدل على أن من بين هؤلاء من لم يكن على درجة حسنة من المعرفة و الوعى، و لربما الإيمان أيضا. و لو كان كذلك، فلا أقل

من أن أخلاقياته و روحياته، بما فى ذلك الإعراض عن الدنيا و الإيثار، لم تكن بالمستوى المطلوب، إن لم نقل: إنه منافق يظهر الإيمان لأجل مصالح يراها، و يبطن الكفر.

و لعل الآية تشير إلى ظنهم السيء هذا، و تقرعهم عليه بأنه: ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ، وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ «۱».

---

(۱) آل عمران: ۱۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۱۹۹

الفصل الثالث: فى موقع الحسم

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۰۱

الرعب القاتل:

قد تقدم معنا: أن عمر بن الخطاب قد كان و هو فارّ مرعوبا من أمير المؤمنين «عليه السلام»، الذى تبع الفارّين، و هو يقول لهم: شاهت الوجوه، و قطت، و لطّت، و بطت. إلى أين تفرّون؟ إلى النار؟ و يقول:

بايعتم، ثم نكثتم؛ فو اللّه لأنتم أولى بالقتل ممن أقتل إلخ.

و لكنهم قد استمروا فى هزيمتهم لا يلوون على شيء، و الرسول يدعوهم فى أخراهم. حتى بلغوا الجبل، و بلغوا صخرة فيه.

و فشا فى الناس: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» قد قتل؛ فقال بعض المسلمين، من أصحاب الصخرة فى الجبل: ليت لنا رسولا إلى عبد اللّه بن أبىّ؛ فيأخذ لنا أمانا من أبى سفيان قبل أن يقتلونا. و قال أناس من المنافقين: لو كان نبيّا ما قتل، إرجعوا إلى دينكم الأول. و فى النهر: أن فرقة قالوا: نلقى إليهم بأيدينا، فإنهم قومنا، و بنو عمنا «۱».

و هذه الكلمة، تدل دلالة واضحة على أن هذه الفرقة كانت من المهاجرين، لا من الأنصار.

فجاءهم أنس بن النضر، فقال لهم: إن كان محمد قد قتل؛ فما تصنعون بالحياة بعده؟! فقاتلوا على ما قاتل عليه، و موتوا على ما مات

---

(۱) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۷، و راجع: البحار ج ۲۰ ص ۲۷، و غرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج ۴ ص ۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۰۲

عليه. ثم قال: اللهم إنى اعتذر إليك مما يقول هؤلاء، يعنى المسلمين.

و أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، يعنى المنافقين. ثم قاتل حتى قتل. و قد تقدمت بعض مصادر هذه القضية حين الكلام عن فرار طلحة.

و قيل: إن حمزة هو الذى قال: اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء النفر، أبو سفيان و أصحابه. و أعتذر إليك مما صنع هؤلاء بانهزامهم «۱».

و هذا يعنى: أن حمزة قد قتل بعد فرار الصحابة عن الرسول (ص).

و قد تقدم: أنه قد قتل بعد أصحاب اللواء؛ فلا مانع من أن يكون الناس قد انهزموا، فقتله وحشى، و هو عائد من بعض حملاته. ثم صار على (ع) يدفع كتائب المشركين عن رسول اللّه (ص) كما تقدم.

عودة المسلمين الى القتال:

ثم إن كعب بن مالك كان أول من عرف النبى (ص)، رأى عينيه تزهران من تحت المغفر، فصاح: يا معشر المسلمين، أبشروا؛ فهذا رسول اللّه.

فأمره النبى بالسكوت؛ لحراجة الموقف و خطورته.

ثم صار المسلمون يفيئون إلى رسول اللّه (ص) زرافات و وحدانا، و جعل (ص) يذرهم و يحضهم على القتال؛ فقاتلوا على قلتهم خير قتال.

و لكن الذين كانوا على الجبل فوق الصخرة لم يعودوا- أو أكثرهم- إلى القتال، و لا تركوا مركزهم.

و قبل أن نستمر فى الحديث عن المعركة الحاسمة، لا بأس بالإلماح إلى بعض المواقف البطولية التى سجلها بعض المسلمين، مع

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۰۳

محاولة التركيز على بعض الجوانب الإيجابية فيها، ثم نشير إلى بعض المختلقات فى هذا المجال، و لا سيما حول طلحة، و سعد بن أبى و قاص، فنقول:

مواقف و بطولات:

۱- مع أنس بن النضر، و ابن السكن و أصحابه:

إن موقف أنس بن النضر ليدل على فهمه العميق للإسلام، و إدراكه أن الإسلام لا يرتبط بالشخص و الفرد، حتى و لا بالنبى نفسه، الذى جاء به من عند اللّه من حيث هو شخص و فرد «۱». تماما على عكس الرؤية التى كانت لدى الذين فرّوا، حتى انتهوا إلى الصخرة. فالحق- عند أنس هذا- لا يعرف بالرجال، و إنما تعرف الرجال بالحق.

قال أمير المؤمنين: «إنك لم تعرف الحق، فتعرف من أتاه، و لم تعرف الباطل، فتعرف من أتاه» «۲».

و هذه النظرة على درجة من البعد و العمق، فإنه إذا تجسد الدين بالشخص، فإن القضاء على ذلك الشخص يكون كافيا فى القضاء على ذلك الدين. و هذه هى إحدى السياسات التى ينتهجها أعداء اللّه و الإنسان فى حربهم للّه و رسوله، على مدى الأجيال.

هذا، و لا يقل موقف ابن السكن و الرجال الخمسة الأنصاريين عن موقف أنس؛ فإنه لما تفرق القوم عن رسول اللّه (ص) و هاجمه المشركون، قال (ص): من رجل يشرى نفسه ابتغاء مرضاة اللّه؟ فقام زياد بن السكن- أو ولده عمارة- فى خمسة من الأنصار، فقاتلوا حتى قتلوا،

---

(۱) و إن كان الإرتباط به من حيث هو رسول و قائد حرب، و معلم، أمر ضرورى و لا بد منه.

(۲) نهج البلاغة الحكمة رقم ۲۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۰۴

ثم جاءت فئة؛ ففرقوا القوم عن رسول اللّه (ص).

۲- أبو دجانة:

و قد تقدم: أن أبا دجانة كان أول عائد مع عاصم بن ثابت، و قد ترّس على رسول اللّه (ص)، و صار يقيه بنفسه من وقع السهام، و هو منحن عليه لا- يتحرك، حتى كثر فى ظهره النبل، حتى استحق أن يعطيه رسول اللّه (ص) سيفا، و يمنعه غيره ممن فرّ، إهانة لهم، و تكريما له.

و ما ذلك إلا- لأن الإسلام و نبى الإسلام، لا يضيعان عمل عامل، أيّا كان، و مهما كان. و لا يهتم هذا الدين، و هذا النبى (ص) للدعاوى الفارغة التى يطلقها هذا أو ذاك، و إنما يهتمان بتقييم الإنسان على أساس ما يقدمه على صعيد الواقع، و نفس الأمر.

و أبو دجانة قد تعرض للإمتحان و نجح فيه. أما غيره؛ فقد أثبت الإمتحان عدم جدارته، أو استحقاقه لما يعدّ نفسه له ممن يتستر خلف دعاوى فارغة لا أكثر و لا أقل، حتى إذا جد الجد رأيته يتعجل الهزيمة، و يكون أبطأ من غيره فى العودة، أو لا يعود أصلا إلا بعد حسم الموقف.

فكان لا بد من إعطاء الضابطة للمسلمين جميعا، و إفهامهم: أن الإسلام واقعى بالدرجة الأولى، و إن مصب اهتماماته هو المضمون و المحتوى. و إنه يقيّم الإنسان على أساس أعماله، لا على أساس دعاواه و أقواله، و لا على أسس أخرى، ربما لا يكون له خيار فيها فى كثير من الأحيان.

فطلحة، و سعد، و أبو بكر، و عمر، و الزبير، و عثمان إلخ. و إن كانوا من المهاجرين الذين ربما يعطون أو يعطيهم الناس امتيازا لذلك؛ و إن كانوا قرشيين؛ و كان لهم بالنبى (ص) صلة من نوع ما بسبب أو نسب. إلا أن كل ذلك إذا لم يكن معه الإخلاص، و إذا لم يكن اللّه و رسوله، و جهاد فى سبيله أحب إليهم من كل شىء حتى من أنفسهم، فإنه يبقى منحصرا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۰۵

فى نطاقه الخاص، و لا ينبغى أن يتعداه إلى غيره، بحيث يخوّلهم الحصول على امتيازات لا يستحقونها.

و أخيرا، فقد ذكر المؤرخون: أن سلمان الفارسى أيضا قد كان يقوم بنفس دور أبى دجانة فى حماية الرسول (ص)، حيث جعل نفسه وقاية لرسول اللّه (ص) من وراء ظهره، من سهام الكفار، و أذاهم، و يقول:

نفسى فداء لرسول اللّه (ص) «۱».

۳- أم عمارة: و مقام فلان!! و فلان!!

اشارة

و قاتلت أم عمارة، نسيبة بنت كعب. و كان معها سقاء فيه ماء، فلما رأت قلة من كان مع الرسول، قامت تذب عنه مع هؤلاء القلة، و جرحها ابن قميئة فى عاتقها، حينما اعترضته مع آخرين، ممن كان يذب عن رسول اللّه (ص).

بل لقد روى غير واحد: أن النبى (ص) نظر فى أحد إلى رجل من المهاجرين يفرّ، قد ألقى ترسه خلف ظهره، فناداه: «يا صاحب الترس، ألق ترسك، و فر إلى النار»؛ فرمى بترسه.

فقال (ص): «لمقام نسيبة أفضل من مقام فلان، و فلان».

و أراد ولدها عمارة الفرار، فردته، و أخذت سيفه؛ فقتلت به رجلا؛ فقال (ص): «بارك اللّه عليك يا نسيبة». و كانت تقى النبى (ص) بيديها، و صدرها، و ثدييها «۲».

قال المعتزلى: «ليت الراوى لم يكنّ هذه الكناية، و كان يذكرهما

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۶.

(۲) قاموس الرجال ج ۱۱ ص ۳۸ عن القمى، و راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۲۶۶ و ۲۶۹، و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۶۹ و ۲۷۳، و تفسير القمى ج ۱ ص ۱۱۶، و البحار ج ۲۰ ص ۱۳۴ و ۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۰۶

بإسمهما، حتى لا تترامى الظنون إلى أمور مشتبهة. و من أمانة المحدث أن يذكر الحديث على وجهه، و لا يكتم منه شيئا؛ فما باله كتم إسم هذين الرجلين» «۱»؟!.

و يرى المجلسى: أن المراد بهما هنا: أبو بكر و عمر، إذ لا- تقية فى غيرهما؛ لأن خلفاء سائر بنى أمية و غيرهم من الخلفاء، ما كانوا حاضرين فى هذا المشهد؛ ليكنّى بذكرهم تقية من أولادهم و أتباعهم «۲».

و هذا أيضا هو رأى محمد بن معد العلوى «۳».

و نزيد نحن: أن عثمان لما كان قد فر بإجماع المؤرخين؛ فقد اضطروا إلى التصريح بإسمه، ثم حاولوا تبرير هذا الفرار بالتوبة عليه، و غفران ذنبه.

و مع ذلك، و مع أننا نجد روايات عديدة تصرح بأن آية: إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ، إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا قد نزلت فى عثمان، و خارجة بن زيد، و رفاعة بن المعلى، أو فى عثمان، و سعد بن عثمان، و عقبة بن عثمان الأنصاريين «۴».

فإننا نجد رواية ذكرها ابن إسحاق تقول: إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ فلان!! و سعد بن عثمان، و عقبة بن عثمان «۵».

و رواية أخرى عن عكرمة تقول: نزلت فى رافع بن المعلى، و غيره

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۲۶، و البحار ج ۲ ص ۱۳۳ عنه.

(۲) البحار ج ۲۰ ص ۱۳۴.

(۳) راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۲۳/ ۲۴.

(۴) الدر المنثور ج ۲ ص ۸۸ و ۸۹ عن مصادر كثيرة.

(۵) الدر المنثور ج ۲ ص ۸۹ عن ابن جرير، و ابن المنذر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۰۷

من الأنصار، و أبى حذيفة بن عتبة، و رجل آخر «۱».

كما أن الواقدى نفسه قد كنّى عن عثمان فى فراره ب «فلان» «۲».

فترى أنهم يهتمون فى التكنية حتى عن عثمان المجمع على فراره، دون غيره ممن تذكرهم الرواية. و بعد هذا، فكيف لا يكنّون عمّن هم أعظم من عثمان، و أجلّ عندهم.

و يذكر أخيرا: أن لفلان، و فلان!! فرارا آخر فى عرض الجبل، حينما جاءهم المشركون، و ندب الرسول المسلمين إلى قتالهم «۳»، و قد ردهم اللّه عنهم من دون حاجة إلى ذلك، كما سنرى إن شاء اللّه تعالى.

كما أن الظاهر: أن ابن عباس قد كنّى عنهما، حينما ذكر: أن الناس قد تركوا ثلاث آيات محكمات، و أبوا إلّا فلان بن فلان، و فلان بن فلان «۴».

جهاد المرأة:

و فى إلماحة موجزة هنا نقول: إن من المعلوم: أنه ليس فى الإسلام على المرأة جهاد، إلا حينما يكون كيان الإسلام فى خطر أكيد. و لقد أدركت أم عمارة مدى الخطر الذى يتهدد الإسلام، من خلال الخطر الذى يتعرض له النبى (ص) «۵». و لذلك فقد اندفعت للدفاع عن النبى (ص)،

---

(۱) الدر المنثور ج ۲ ص ۸۸ عن ابن جرير.

(۲) راجع: مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۷۷ مع هامشه.

(۳) نفس المصدر ص ۲۹۵.

(۴) راجع: المصنف ج ۱ ص ۳۷۹/ ۳۸۰. و ثمة تعبيرات أخرى عنهما بفلان و فلان.

ذكرها فى البحار، و روضة الكافى، لا مجال لذكرها هنا.

(۵) إذ لم يكن كل المسلمين و لا- جلّهم- كما أظهرته حرب أحد- فى مستوى و عى أمير المؤمنين (ع) و أنس بن النضر، و أبى دجانة و أمثالهم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۰۸

بنفسها و ولدها، و كل وجودها.

و ليت شعرى، كيف لم يدرك هذه الحقيقة كبار الصحابة من المهاجرين و الأنصار؟! و كيف سمحوا لأنفسهم بالفرار فى هذا الظرف الحرج و الخطر جدا على مستقبل الإسلام، الدين الحق؟!.

و قد كان المهاجرون يرون لأنفسهم، و يرى لهم الناس امتيازا على غيرهم، و أنهم فى موقع المعلم و المرشد. و هم الذين عاشوا مع النبى (ص)، و استفادوا من تعاليمه، و رأوا من معجزاته أكثر من غيرهم. و إذا كانت هذه الأنصارية التى لا- جهاد عليها، و التى لم تعاشر النبى (ص)، و لم تر من معجزاته و كراماته ما رآه هؤلاء، قد وقفت هذا الموقف الرسالى الرائد دونهم. فمن الطبيعى أن يكون مقامها أفضل من مقام فلان و فلان من كبارهم. كما أن من الطبيعى أيضا: أن يفرّ ذلك المهاجرى إلى النار، و يكون جهادها طريقها إلى الجنة.

كما أننا سوف لا نصدّق بعد هذا ما يقال، من أن الفضل إنما هو بطول الصحبة للرسول، أو بغير ذلك من عناوين، بل سوف نصر على أن الفضل- كما قرره القرآن- إنما هو بالتقوى، و العمل الصالح، عن علم و وعى، و عن قناعة وجدانية راسخة.

ملاحظة: و نشير أخيرا: إلى أن خروج أم عمارة إلى أحد لعله كان إستثنائيا، و لضرورة خاصة. و مما يوضح لنا ذلك: أننا نجد إمرأة من عذرة إستأذنت الرسول فى أن تخرج فى جيش كذا و كذا، فلم يأذن لها (ص)؛ فقالت: يا رسول اللّه، إنه ليس أريد أن أقاتل، إنما أريد أن أداوى الجرحى و المرضى، أو أسقى المرضى.

قال: لو لا أن تكون سنّة، و يقال: فلانة خرجت، لأذنت لك، و لكن اجلسى «۱».

---

(۱) حياة الصحابة ج ۱ ص ۶۱۸، و مجمع الزوائد ج ۵ ص ۳۲۳ و قال: رواه الطبرانى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۰۹

و قد تكلمنا حول هذا الموضوع فى غير هذا الكتاب. فليراجع «۱».

۴- أم سليط:

و ممن شارك فى حرب أحد أيضا أم سليط، فإنها كانت تزفر القرب، أى تحملها على ظهرها، تسقى الناس منها «۲».

۵- حنظلة الغسيل:

و استشهد فى أحد حنظلة بن أبى عامر الفاسق، و كان قد دخل بزوجته جميلة بنت عبد اللّه بن أبى ليلة أحد، و خرج و هو جنب، حين سمع الهائعة؛ فأعجله ذلك عن الغسل. بل يقال: إنه كان قد غسل أحد شقيه، فسمع الهائعة؛ فترك غسله، و خرج. و يقال: إن رسول اللّه (ص) أخبرهم: أن صاحبهم (حنظلة) لتغسله الملائكة. كما و يقال: إنه استأذن النبى (ص) فى أن يقتل أباه أبا عامر الفاسق، فلم يأذن له «۳».

و نقول:

۱- إن النبى كما منع حنظلة الغسيل من قتل أبيه، كذلك هو قد منع ابن عبد اللّه بن أبى من قتل أبيه أيضا «۴».

- فى الكبير و الأوسط، و رجالهما رجال الصحيح (إنتهى). و راجع: الإصابة ج ۴ ص ۴۸۷ و ۵۰۵، و الإستيعاب بهامشها نفس المكان، و التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۱۱۵.

(۱) راجع: الآداب الطبية فى الإسلام فصل التمريض و المستشفى.

(۲) راجع: التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۱۰۳.

(۳) الإصابة ج ۱ ص ۳۶۱، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۷/ ۴۲۸، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۰/ ۲۴۱. و غير ذلك من المصادر الكثيرة.

(۴) الإصابة ج ۱ ص ۳۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۱۰

و نقول: إنه إذا كان هدف الإسلام هو الحفاظ على إنسانية الإنسان، و تكامله فى مدارج الإنسانية، فلا بد أن تكون مواقفه و وسائله منسجمة مع ذلك الهدف الأسمى؛ لأن الوسيلة فى نظر الإسلام لا تنفصل عن الهدف، و إنما هى جزء منه.

إذن، فلا بد أن يتعامل مع كل أحد حتى مع أبيه، و ولده، و عشيرته، و ماله، و كل ما يحيط به، تعاملا إنسانيا صحيحا، و منسجما مع أهدافه تلك.

فإذا كانت علاقته بماله، أو بأبيه،، أو بولده سوف تفصله عن هدفه، أو تفرض عليه موقفا يتناقض معه، أو يعيق عن الوصول إليه، فلا بد من رفض تلك العلاقة و تدميرها؛ لأن الإبقاء عليها إنما يعنى تدمير الإنسانية، و الخروج عنها إلى ما هو أحط من الحيوان. و هذا هو ما أشار إليه تعالى فى قوله عمن اتخذ إلهه هواه: أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ، أَوْ يَعْقِلُونَ، إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا «۱».

إذن، فلا- جامع و لا قدر مشترك بين الإنسان المسلم الذى يعتبر نفسه إنسانا، بكل ما لهذه الكلمة من معنى، و يتصرف على هذا الأساس؛ و بين غيره ممن رضى لنفسه أن يكون أضل من الأنعام، و يتصرف على هذا الأساس، و مجرد وجود علاقة نسبية بينهما لا يبرر تخلى هذا عن إنسانيته فى سبيل إرضاء ذاك.

و أما إذا كانت مواقف ذلك الإنسان المنحرف و تصرفاته تساهم فى تدمير الإنسانية أينما كانت، و حيثما وجدت، و القضاء على خصائصها و منجزاتها، سواء على صعيد الفرد أو المجتمع، أو حتى الأجيال القادمة.

فإن من الطبيعى أن نرى ذلك الولد الإنسان: يهتم بالقضاء على هذا الوالد، و يعمل فى هذا السبيل بصدق، و بجدية، و إلا فإنه سيتضح لنا: أن

(۱) لقمان: ۴۴. راجع بحث العصمة فى فصل بحوث تسبق السيرة بعد غزوة بدر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۱۱

إنسانيته لم تكتمل بعد، أو على الأقل: إن وعيه الإنسانى يحتاج إلى تعميق و تركيز. كما أن العاطفة التى تعتبر الوقود الذى يفجر طاقات الإنسان فى هذا السبيل، تحتاج إلى شحن و إثارة من جديد.

فلا عجب إذن، أن يستأذن بعض المسلمين فى قتل آبائهم المنحرفين، الذين يحاربون دين اللّه تعالى، و إنما العجب من أن لا يفعلوا ذلك؛ لأنهم حينئذ يكونون قد خالفوا مقتضى فطرتهم، و ما يحكم به عقلهم السليم. هذا الحكم الذى أيده و أكده الإسلام، دين الفطرة؛ حين قال فى القرآن الكريم:

قُلْ: إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ، وَ إِخْوانُكُمْ، وَ أَزْواجُكُمْ، وَ عَشِيرَتُكُمْ، وَ أَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها، وَ تِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها، وَ مَساكِنُ تَرْضَوْنَها، أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ، وَ جِهادٍ فِي سَبِيلِهِ؛ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ، وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ «۱».

۲- و أما سر أن النبى (ص) لم يأذن لهم بقتل آبائهم، فقد قدمنا بعض ما يفيد فى ذلك حين الكلام عن وحشى، قاتل حمزة، حيث أخبروه: أن محمدا لا يقتل أصحابه.

و نزيد هنا: أن نفس قتل الولد لوالده ليس أمرا طبيعيا، و لا ينسجم مع مشاعر و نفسية الإنسان العادى، الذى لم يترب تربية إلهية، و لم ينصهر فى حب اللّه تعالى. نعم، إذا أخلص ذلك الإنسان للّه، و انقطعت كل علائقه المادية الأرضية؛ فإنه حينئذ يرى ذلك أمرا ضروريا، و ينساق إليه بعقله، و بفطرته، و بعاطفته أيضا. و قليل ما هم.

و لربما يثور الإنسان العادى عاطفيا، إذا رأى من قريبه و حبيبه موقفا سيئا، يتنافى مع الفطرة و الدين و العقل، و لكن سرعان ما تشده العوامل

(۱) التوبة: ۲۴ راجع كتاب: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام ج ۲ بحث:

الحب فى التشريع الإسلامى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۱۲

الأرضية إليها، و يعود ليزن الأمور بالموازين الأرضية المادية من جديد.

و لذلك رأينا: المسلمين ينهزمون جميعا فى أحد، و فى مواطن أخرى باستثناء أمير المؤمنين «عليه السلام»، و يتركون نبيهم، الذى هو فى الحقيقة رمز وجودهم.

و هذا يدل على أن الروابط الأرضية قد شدتهم إليها، و لم يتمكنوا من التخلص منها، و لا التغلب عليها. اللهم إلا من كان فى مستوى رفيع من التربية الإلهية؛ و وصل إلى حد: أن أصبح اللّه و رسوله، و جهاد فى سبيله، أحب إليه من كل شىء، و ليس هو إلا- أمير المؤمنين «عليه السلام»، كما قلنا.

و لكى لا يعرّض النبى (ص) و الإسلام الذى هو واقعى بالدرجة الأولى هذا الإنسان إلى تجربة قاسية و مريرة، ربما تكون أكبر منه، و قد يخفق فى الخروج منها بسلامة و معافاة، فقد أعفاه من هذه الأمور، لطفا به و رفقا. و اللّه هو اللطيف الخبير.

۶- بين عبد اللّه بن جحش، و ابن أبى وقاص:

و قد دعا عبد اللّه بن جحش ربه: أن يقتل، و يجدع أنفه، و تقطع أذنه حتى إذا لقى اللّه، و سأله: فيم جدع أنفك و أذنك؟ فيقول:

فيك، و فى رسولك؛ فأمّن له سعد بن أبى وقاص. و هكذا جرى له.

و دعا سعد بن أبى وقاص ربه: أن يقتل أحد المشركين، و يأخذ سلبه؛ فأمّن عبد اللّه على دعاء سعد.

فشتان ما بين سعد و عبد اللّه، فإن عبد اللّه قد جاء يطلب الموت، و جاء سعد يطلب ما يرى أنه يفيد فى استمرار تمتعه بمباهج الحياة، و زبارجها و بهارجها.

و نعود فنذكّر هنا بما قاله المعتزلى- و هو يتحدث عن على «عليه السلام»-: هذا يجاحش على السلب، و يأسف على فواته، و ذاك لا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۱۳

يلتفت إلى سلب عمرو بن عبدود، و هو أنفس سلب، و يكره أن يبزّ السبىّ ثيابه، فكأن حبيبا عناه بقوله:

إن الأسود أسود الغاب همتهايوم الكريهة فى المسلوب لا السلب «۱» و نزيد هنا: أن الذى يجاحش على السلب، و يدعو اللّه أن يقتل مشركا من أجل سلبه، و يأتى إلى الحرب بهذه النفسية، لا يتورع- حين يفوته ذلك، و يواجه خطر الموت- من أن يفر من الحرب، و يترك الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» لسيوف المشركين تنوشه من كل جانب و مكان؟!.

كما أن من تكون الدنيا عنده أهون من عفطة عنز، و لا تساوى الخلافة عنده شسع نعله، و يكون من الرسول و الرسول منه، و لا سيف إلا سيفه. كيف، و لماذا يفرّ يا ترى؟! فلا عجب إذن إذا رأينا هذا يثبت، و يتلقى السيوف بنحره و جسده، و ذاك يفر طلبا للسلامة، و لأجل الإحتفاظ بالحياة.

مواقف و بطولات سعد الموهومة:

و يذكرون لسعد بن أبى وقاص فى حرب أحد فضائل و كرامات، و مواقف و بطولات، نعتقد أن يد السياسة قد ساهمت فى صنعها، و نذكر على سبيل المثال:

إنهم يقولون: إنه بعد أن عاد المسلمون إلى رسول اللّه (ص) دافع سعد عن رسول اللّه (ص)، و رمى بين يديه بالسهام، و أن النبى (ص) كان يناوله النبل، و يقول «۲»: إرم فداك أبى و أمى؛ فرمى دون رسول اللّه حتى

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۳۷ ملخصا.

(۲) راجع: المغازى للواقدى ج ۱ ص ۲۴۱، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۹، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۱۴

اندثت سية قوسه.

و فى المشكاة عن على (ع): ما سمعت النبى (ص) جمع أبويه لأحد إلا لسعد «۱».

بل يروى البعض: أنه قال له ذلك ألف مرة، لأنه رمى ألف سهم «۲».

كما أن ابن عرقة رمى بسهم، فأصاب ذيل أم أيمن، فانكشف، فضحك. فأمر النبى (ص) سعدا بأن يرمى، و دعا له بأن يسدد اللّه رميته، و يجيب اللّه دعوته؛ فرمى ابن عرقة فى ثغرة نحره؛ فانقلب لظهره، و بدت عورته، فضحك (ص) «۳».

و لكننا نشك فيما ذكر آنفا، و ذلك بملاحظة النقاط التالية:

۱- يقولون: سئل سعد عن سرّ استجابة دعائه دون الصحابة، فقال: ما رفعت إلى فمى لقمة إلا و أنا أعلم من أين جاءت، و من أين خرجت «۴».

أى لأنه قد جاء فى الحديث: أن سرّ عدم استجابة الدعاء، هو أن من كان مأكله و ملبسه حراما فأنّى يستجاب له «۵».

فأى ذلك نصدق؟! هل نصدق أن استجابة دعائه كانت لدعائه

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۹.

(۲) مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۱۳؛ و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۴۱، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴، و الكامل لإبن الأثير ج ۲ ص ۱۶۰، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۳، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۹، و غير ذلك كثير.

(۳) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۹.

(۴) المصدر السابق.

(۵) المصدر السابق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۱۵

(ص) له؟! أم نصدق أنها من أجل أنه لم يكن يأكل حراما؟!.

و حاول الحلبى أن يجيب: بأن دعاء النبى (ص) يرجع: إلى أنه دعا له أن يستجاب له بسبب عدم أكله للحرام، و تمييزه للحرام عن غيره «۱»!!.

و هو تأويل بارد، كما ترى، و لا نرى حاجة للتعليق عليه.

۲- لا ندرى إذا كان الوقت يتسع لرمى ألف سهم، و لقول النبى (ص) له ذلك، و هو يناوله السهام فى ذلك الوقت الحرج جدا؟!.

و لا ندرى أيضا من أين حصل سعد على تلك السهام الألف التى رمى بها؟!، و هل كانت تتسع كنانته، و كنانة النبى (ص)- لو كانت- لهذه الكمية؟!.

و لا نعرف أيضا إن كانت تلك السهام تصيب المشركين؛ فيستجاب دعاء الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» له أم لا؟!.

و إذا كانت تصيبهم، فكم قتل سعد؟ و كم جرح؟! و لماذا لم ينهزم المشركون لهذه النكبة التى حلت بهم؟!.

۳- إذا كان سعد مستجاب الدعوة، فلماذا لم يدع اللّه ليفرج عن عثمان حين الحصار؟ أو ليهدى معاوية إلى الحق و التسليم لعلى (ع)؛ ليحقن دماء عشرات الألوف من المسلمين، و يجنب الأمة تلك الكوارث العظيمة التى تعرضت لها؟!.

و عند ما عرض عليه أمير المؤمنين «عليه السلام»: أن يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، طلب منه أن يعطيه سيفا يميز بين الكافر و المؤمن «۲»؛ فلم لم يدع اللّه أن يعطيه سيفا كهذا؛ فيستجيب اللّه له، ما دام أنه كان

---

(۱) المصدر السابق.

(۲) قاموس الرجال ج ۴ ص ۳۱۵ عن وقعة صفين لنصر بن مزاحم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۱۶

مستجاب الدعوة؟!.

۴- عن ابن الزبير: أن الرسول الأعظم (ص) قال للزبير- يوم الخندق، حينما أتاه بخبر بنى قريظة-: فداك أبى و أمى «۱»، فأى الروايتين نصدق؟! أم نصدقهما معا؟! أم ننظر إليهما معا بعين الشك و الريب، لما نعلمه من تعمد الوضع و الإختلاق لصالح هؤلاء؟! أعتقد أن هذا الأخير هو الأمر المنطقى، و الطبيعى، و المعقول.

و احتمال أنه (ص) و إن كان قد قال ذلك للزبير يوم الخندق، لكن عليا «عليه السلام» لم يسمعه، فنقل ما سمعه فقط بالنسبة لسعد، أو أنه (ص) قد أراد تفدية خاصة.

لا يجدى؛ إذ قد جاء فى رواية أخرى قوله: فما جمع (ص) أبويه لأحد إلا لسعد «۲». و هذا يدل على أنه يخبر عن علم، و إلا لكان

عليه أن يقول: إنه لم يسمع ذلك إلا بالنسبة لسعد، كما أنه لو كان أراد تفدية خاصة لكان عليه البيان.

۵- كيف يكون سعد قد قتل حبان بن العرقة فى حرب أحد، كما يقول الواقدى، مع أن الواقدى نفسه و غيره يقولون: إن حبان بن العرقة قد رمى سعد بن معاذ فى أكحله فى غزوة الخندق، فقال (ص): عرق اللّه وجهك فى النار «۳»؟!.

فإن حرب الخندق كانت بعد أحد بالإتفاق.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۹.

(۲) نفس المصدر.

(۳) مغازى الواقدى ج ۲ ص ۲۶۹ و ۵۲۵، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۳، و الإصابة ج ۲ ص ۳۷ و ۳۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۱۷

اشارة هامة:

و أما لماذا حشد هذه الفضائل لسعد، فذلك أمر واضح، فإن سعدا قد كان من الفئة المناوئة لأمير المؤمنين «عليه السلام»، و أهل بيته، حتى لقد كتب «عليه السلام» لوالى المدينة: أن لا يعطى سعدا من الفىء شيئا «۱».

و حينما دخل عليه سعد يطالبه بعطائه ردّه مع صاحبيه، بعد كلام طويل، و لم يعطه شيئا «۲».

و حينما دعاه عمار إلى بيعة سيد الوصيين، أظهر سعد الكلام القبيح «۳».

و أيضا فقد صارمه عمار المعروف بجلالة مقامه و علو شأنه «۴».

كما أنه قد أخذ من بيت المال مالا و لم يؤده، و عزله عمر عن العراق، و قاسمه ماله «۵».

و كان ممن قعد عن على «عليه السلام» و أبى أن يبايعه، فأعرض عنه «عليه السلام»، و قال: (و لو علم اللّه فيهم خيرا لأسمعهم، و لو أسمعهم لتولّوا و هم معرضون) «۶».

و سعد هو أحد الستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم، فوهب

---

(۱) إختيار معرفة الرجال ص ۳۹، و قاموس الرجال ج ۴ ص ۴۱۲/ ۴۱۳ عنه.

(۲) صفين ص ۵۵۱/ ۵۵۲، و قاموس الرجال ج ۴ ص ۳۱۳ عنه.

(۳) الإمامة و السياسة ج ۱ ص ۵۳.

(۴) عيون الأخبار لإبن قتيبة ج ۳ ص ۱۱۱، و قاموس الرجال ج ۴ ص ۳۱۳/ ۳۱۴ عنه.

(۵) راجع: قاموس الرجال ج ۴ ص ۴۱۴ عن الأغانى، و عن أنساب السمعانى.

(۶) راجع: قاموس الرجال ج ۴ ص ۳۱۵/ ۳۱۶. و راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۱۸

حقه لإبن عمه عبد الرحمان بن عوف «۱».

و شكا أهل الكوفة سعدا إلى عمر بأنه لا يحسن يصلى «۲».

إذن، فانحراف سعد عن على «عليه السلام»، و ممالأته لأعدائه هو الذى جعل لسعد هذه الشخصية، و رزقه هذه الفضائل و الكرامات.

و هذا هو بعينه السر أيضا بما رزقه الكرماء طلحة بن عبيد اللّه من كرامات ستأتى الإشارة إليها إن شاء اللّه.

و لعل أبا طلحة أيضا قد ارتزق فضائله و كراماته عن نفس هذا الطريق، طريق العداء لعلى (ع)، و الإنحراف عنه، كما هو معلوم بالمراجعة «۳».

كرامات طلحة:

و يذكرون لطلحة بن عبيد اللّه أيضا فى أحد كرامات كثيرة، نذكر منها:

۱- أن رسول اللّه (ص) قد سمّاه فى أحد ب «طلحة الخير»؛ لأنه أنفق سبعمائة ألف درهم «۴».

و لا ندرى كيف و علام أنفق طلحة سبعمائة ألف درهم، التى كانت تكفى لتجهيز جيش بكامله، يكون أضعاف أضعاف جيش المسلمين فى

---

(۱) راجع على سبيل المثال: شرح النهج للمعتزلى ج ۱ ص ۱۸۸.

(۲) الأوائل ج ۱ ص ۳۱۰، و المصنف لعبد الرزاق ج ۲ ص ۳۶۰، و فى هامشه عن البخارى عن أبى عوانة و العقد الفريد ج ۶ ص ۲۴۹، و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۵۶۹، و الثقات ج ۲ ص ۲۲۰.

(۳) راجع: قاموس الرجال للعلامة التسترى، و غيره من كتب التراجم.

(۴) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۲، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۳۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۱۹

أحد. أوليس قد جهزت قريش جيشا مؤلفا من ثلاثة أو خمسة آلاف مقاتل معهم ثلاثة آلاف بعير، و مئة فرس، و سبعمائة دارع بخمسة و عشرين ألف دينار «۱»؟!. أى بما يساوى ثلث المبلغ الذى يدّعى أن طلحة قد أنفقه؟

و على أبعد الأقوال: إنها أنفقت خمس مئة ألف درهم.

و من الواضح أن سبعمائة ألف درهم فى تلك الأيام تعدل ميزانية دولة بكاملها.

و كيف نصدق ذلك، و نحن نرى ابن سعد يروى فى الطبقات عن أنس: أن أبا بكر استعمله على الصدقة، فقدم و قد مات أبو بكر، فقال عمر (رض): يا أنس، أجئتنا بالظهر؟

قلت: نعم.

قال: جئتنا بالظهر، و المال لك. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۶ ۲۱۹ كرامات طلحة: ..... ص : ۲۱۸

قلت: هو أكثر من ذلك. قال: و إن كان هو لك.

و كان المال أربعة آلاف فكنت أكثر أهل المدينة مالا «۲».

فإذا كان أنس أغنى أهل المدينة بالأربعة آلاف، و ذلك فى زمان عمر، الذى اتسع فيه الأمر على الناس، و حصلوا على الأموال الكثيرة.

فهل يمكن أن نصدق أن مهاجريا قدم المدينة بلا مال، يصير من الثراء بحيث يبذل سبعمائة ألف درهم بعد فترة و جيزة جدا من قدومه؟!

و لا سيما فى وقت كان يعانى فيه المسلمون صعوبات جمة، حتى إن النبى (ص) كان يربط الحجر على بطنه من الجوع (راجع حديث الغار، حين البحث فى ثروة أبى بكر).

---

(۱) تقدم ذلك فى فصل: قبل نشوب الحرب، فراجع.

(۲) حياة الصحابة ج ۲ ص ۲۳۵، و كنز العمال ج ۵ ص ۴۰۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۲۰

و لماذا لم تنزل فى طلحة آية تشيد بهذه الفضيلة له، كما نزلت فى على (ع) حينما تصدّق بالخاتم فى الصلاة «۱» و حينما تصدّق بأربعة دراهم. إلى آخر ما تقدمت الإشارة إليه «۲».

و بذلك يعلم أيضا: مدى صحة الأرقام الخيالية التى تذكر عن تجهيز عثمان لجيش العسرة، و غير ذلك مما لا مجال لتتبعه. و سنتعرض لذلك كله فى مواضعه إن شاء اللّه تعالى.

۲- و أما روايات شلل إصبع طلحة، و ما أصابه فى أحد. فهى متناقضة؛ فلا ندرى هل شلت إصبعه؟ أو إصبعاه؟ أو يده؟ أو قطعت إصبعه؟! ثم هنالك الخلاف فى عدد الجراح التى أصابته.

و نحن لا ننكر أن يكون طلحة قد أصيب ببعض الجراح. لكن ذلك لا يلزم منه عدم فراره. بل يستظهر المظفر: أن شلل يده قد كان حين الفرار، أو بسبب آخر.

و قد يستظهر ذلك من تعبير الشعبى ب «زعم» فى قوله: «و زعم: أن طلحة وقى رسول اللّه بيده؛ فضرب، فشلّت» «۳» فيظهر أن الشعبى يشك فى ما زعم.

و أما ما زعمه البعض من أنه (ص) قد مسح على جسد طلحة، و دعا له بالشفاء، و القوة «۴»، فلا ندرى ما نقول فيه، و نحن نرى أن يده لم تشف، و لم يستجب اللّه ذلك الدعاء. و لكن الذى شفى بدعاء النبى (ص) حقا هو أمير المؤمنين (ع) كما تقدم.

---

(۱) و (۲) تقدمت المصادر لذلك فى أواخر الجزء الثالث من هذا الكتاب فى فصل:

هجرة الرسول الأعظم (ص) حين الحديث عن ثروة أبى بكر.

(۳) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۱.

(۴) دلائل الصدق ج ۳ ص ۲۵۹ بتصرف.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۲۱

۳- و يقولون: إنه (ص) قد وقع فى إحدى الحفر التى حفرها أبو عامر الفاسق مكيدة؛ فرفعه طلحة، و أخذ بيده على «عليه السلام». و زاد فى الإكتفاء: فقال (ص): من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة «۱».

و لا ندرى لماذا اختص طلحة الفار من الزحف بهذا الوسام، دون على (ع)، الذى لم يثبت أحد سواه، مع أنهما شريكان فى مساعدته (ص) على النهوض؟!

ثم إن كل من يعثر و يقع، فإن من معه يبادرون إلى مساعدته، و معاونته على النهوض؛ و لا يعتبرون ذلك عملا عظيما يستحق و ساما كهذا.

۴- و يقولون: و لما أصاب النبى (ص) ما أصابه، جعل طلحة يحمله، و يرجع القهقرى. و كلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه،، حتى أسنده إلى الشعب. أخرجه الفضائلى «۲».

و نحن لا نصدق أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» قد تقهقر و فرّ، كما تقهقر غيره، و أخلى ساحة القتال. و قد تقدم تكذيب الإمام الصادق لذلك.

كما أننا لا نرى أن ما جرى للنبى (ص) قد أفقده القدرة على المشى؛ و لذا فنحن لا نفهم وجه الحاجة لأن يحمله طلحة ثم يضعه ليدافع عنه.

كما أننا لا نعرف أين ذهب عنه (ص) أصحابه الثلاثون الذين فاؤا إليه، ثم لحقهم من لحقهم. و أين كان عنه سلمان، و أبو دجانة، و سهل بن حنيف، و عمار، و أخوه و وصيه على بن أبى طالب؛ و لم لا يدافعون عنه،

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۰.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۲۲

و يحمونه من ملاحقة المشركين، حتى يضطر طلحة لأن يرجع القهقرى، و هو حامل رسول اللّه (ص). ثم يدافع عنه كلما أدركه أحد من المشركين؟!.

كما أنه لم يثبت تاريخيا عودة من كانوا فى أعلى الجبل إلى ساحة الحرب- و طلحة منهم- بل الثابت خلافه، كما سنرى إن شاء اللّه.

اشارة هامة:

و يقولون: إنه لما كانت وقعة أحد اشتد الأمر على طائفة من الناس، تخوفوا أن يدال عليهم الكفار، فقال رجل لصاحبه: أما أنا فإنى ذاهب إلى ذلك اليهودى، فآوى إليه، و أتهوّد معه، لعله ينفعنى إذا وقع أمر، أو حدث حادث. و قال الآخر: أما أنا فإنى ذاهب إلى فلان النصرانى فى الشام، و اتنصر معه، فأنزل اللّه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ «۱».

و قد روى ابن طاووس فى الطرائف، و العلامة فى نهج الحق هذه الرواية عن السدى، الذى روى عنه ابن جرير، و ابن أبى حاتم و غيرهما.

و قد صرح السدى بأن الرجلين هما عثمان، و طلحة. و أنهما استأذنا النبى (ص)، و ألحا عليه فى ذلك. كما أن رواية أخرى عن عكرمة تقول:

«كان طلحة و الزبير يكاتبان النصارى و أهل الشام» «۲»، فقد صرحت الرواية باسم طلحة فى تفسير نفس هذه الآية. و الرجل الآخر قد اختلف فيه؛ فقال عكرمة هو الزبير، و قال السدى هو عثمان.

---

(۱) تفسير ابن كثير ج ۲ ص ۶۸، و تفسير الخازن ج ۱ ص ۵۰۳، و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۹۱ عن ابن جرير، و ابن أبى حاتم عن السدى، و دلائل الصدق ج ۳ ص ۲۰۴، و طرائف ابن طاووس ص ۴۹۴، و قاموس الرجال ج ۵ ص ۱۶۹ عنه.

(۲) راجع: الدر المنثور ج ۲ ص ۲۹۱ عن ابن جرير، و ابن المنذر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۲۳

ثم إن لطلحة هذا هنات و هنات، و مواقف عجيبة و غريبة، و يكفى أن نذكر: أن عمر بن الخطاب قد أخبر حين حضرته الوفاة بأن رسول اللّه (ص) مات و هو عليه ساخط، لأنه قال: إنه سيتزوج نساء النبى من بعده، فنزلت فيه: وَ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً «۱».

و من أراد المزيد، فليراجع قاموس الرجال و غيره؛ ليقف على بعض مواقف طلحة و أفاعيله.

و حسبنا ما ذكرناه هنا، و قد يأتى المزيد مما يتعلق بهذا الموضوع إن شاء اللّه.

تجميع القوى، و اعادتها الى مراكزها:

اشارة

قد ذكرنا فيما تقدم: أنه بعد أن صار الرسول يدعو المسلمين إليه، صاروا يرجعون إليه زرافات و وحدانا، و جاهدوا فى اللّه حق جهاده، و حرص النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» على أن يرجع بهم إلى مراكزهم الأولى؛ لأن ذلك سوف يجعل الجبل من خلفهم؛ فبخلصون الحرب إلى جهة واحدة «۲». تماما كما هى الخطة الأولى.

و كانت الجراح قد أرهقت عليا- كما تقدم- حتى بلغت نيفا و ستين

---

(۱) الغدير ج ۱۰ ص ۱۲۷، و تفسير القرطبى ج ۱۴ ص ۲۲۸، و عن فيض القدير ج ۴ ص ۲۹۰، و تفسير ابن كثير ج ۳ ص ۵۰۶، و تفسير البغوى ج ۵ ص ۲۲۵، و تفسير الخازن ج ۵ ص ۲۲۵، و تفسير الآلوسى ج ۲۲ ص ۷۴، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱ ص ۶۰ و ج ۳ ص ۱۷۰.

و ليراجع الدر المنثور ج ۵ ص ۲۱۴ عن ابن أبى حاتم عن السدى و عن عبد الرزاق و عبد بن حميد و ابن المنذر و ابن سعد.

(۲) تفسير القمى ج ۱ ص ۱۱۶، و البحار ج ۲ ص ۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۲۴

جراحة- كما عن أنس بن مالك- بين طعنة، و رمية، و ضربة. و فى رواية:

نيفا و أربعين أو نيفا و سبعين. و فى رواية: تسعين «۱». و يحتمل أن يكون:

كلمة تسعين و سبعين: إحداهما تصحيف للأخرى لتقارب الرسم فيما بينهما، مع عدم وجود النقط للكتابة فى السابق.

و يبدو أنه فى هذه اللحظات الحرجة، و بعد أن رجع إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» بعض من انهزم من أصحابه و بقاء أصحاب الصخرة فى موقعهم، خائفين أن تصل إليهم قريش، نعم، فى هذه اللحظات يبدو أن اللّه قد أنزل على القادمين الراجعين إلى النبى، التائبين، أمنة نعاسا؛ لكى يطمئنوا إلى نصر اللّه و لطفه. أما أصحاب الصخرة، أو كثير منهم، فقد أهمتهم أنفسهم، يظنون باللّه غير الحق ظن الجاهلية.

و هؤلاء كانوا- فى الأكثر- من المنافقين.

و الخلاصة: أن النعاس فى الحرب يكون من الإيمان و الإعتقاد باللّه، و فى الصلاة يكون من الشيطان.

و هكذا كان؛ فقد بلغ الرسول و تلك الثلة من المسلمين المجاهدين، سفح جبل أحد، و استقروا فيه، و لم يجاوزوه. فأرعب ذلك المشركين، لما رأوه من عودة المسلمين إلى مراكزهم الأولى، و تجميع صفوفهم، و ارتفاع معنوياتهم من جديد. و إن كان لا تزال ثلة منهم فوق الجبل، و هم أصحاب الصخرة، و منهم أبو بكر، و عمر، و طلحة، و غيرهم؛ فخاف المشركون أن يدال المسلمون منهم من جديد، و يفعلوا بهم، كما فعلوا فى ابتداء الحرب، ففضلوا إنهاء الحرب، و الإنسحاب بسلام، و هكذا كان. و حينئذ أعلن أبو سفيان إنتهاء الحرب.

و أشرف على الجبل، و نادى بأعلى صوته: أعل هبل.

---

(۱) مجمع البيان ج ۲ ص ۵۰۹، و البحار ج ۲۰ ص ۲۳ عنه و ص ۵۴ و ۷۰ و ۷۸، و تفسير القمى ج ۱ ص ۱۱۶، و عن الخصال ج ۱ ص ۳۶۸، و عن الخرائج.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۲۵

و حيث إن المسألة لم تعد مسألة شخصية، و إنما يريد أبو سفيان أن يعتبر هذا النصر الظاهرى و إن كان ينطوى على الرعب القاتل،

مؤيدا لدينه و لإلهه هبل، فقد أجابه النبى «۱»- و قيل عمر-: (و قد صرحت بعض الروايات بأن النبى قد علّم عمر ما يقول) «۲».

و فى رواية: أن النبى (ص) علّم عليا «عليه السلام»، فأجابه «۳»:

اللّه أعلى و أجل.

فقال أبو سفيان: أنعمت فعال، إن الحرب سجال، يوم بيوم بدر.

فقال: لا سواء قتلانا فى الجنة، و قتلاكم فى النار.

و فى نص لأبى هلال العسكرى: نادى أبو سفيان: أعل هبل.

فقال عمر: اللّه أعلى و أجل.

فقال: إنها قد أنعمت يا بن الخطاب.

فقال: إنها «۴».

فجواب عمر هذا، و تصديقه لأبى سفيان لا ندرى ما يعنى به؟

و كيف نفسره؟!.

ثم سأل أبو سفيان: إن كان النبى (ص) حيا، فأمرهم النبى (ص):

أن لا يجيبوه.

---

(۱) الثقات لإبن حبان ج ۱ ص ۲۳۱، و مجمع البيان ج ۲ ص ۵۰۹، و البحار ج ۲۰ ص ۲۳ عنه.

(۲) راجع: تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۴۱۳ عن البخارى.

(۳) تفسير القمى ج ۱ ص ۱۱۷، و البحار ج ۵۶ عنه و ص ۹۷ عن إعلام الورى و فيه:

أن أبا سفيان سأل عليا عن حياة النبى.

(۴) الأوائل ج ۱ ص ۱۸۴/ ۱۸۵، و راجع: تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۴۱۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۲۶

ثم سأل- كما قيل- عن أبى بكر، و عن عمر، فكذلك «۱».

فيقال: إن أبا سفيان قال حينئذ: أما إن هؤلاء قد قتلوا، و قد كفيتموهم، و لو كانوا أحياء لأجابوا.

فعند ذلك- كما يقولون- لم يملك عمر نفسه، و أخبرهم: أنهم أحياء، فطلب أبو سفيان من عمر أن يأتيه، فقال (ص) لعمر: إئته، فانظر ما شأنه. فجاءه، فسأله: إن كان النبى (ص) قد قتل. فقال عمر: اللهم لا، و إنه ليسمع كلامك الآن. قال: أنت أصدق عندى من ابن قميئة، و أبر «۲».

ثم واعدهم أبو سفيان بدرا فى العام القادم، و انصرف.

و لكن إذا كان عمر بن الخطاب قد أجاب أبا سفيان على قوله: أعل هبل. و كان ذلك قبل هذا الكلام، فإن أبا سفيان الذى خاطب عمر، و سمع صوته، و رأى مكانه، لا يمكن أن يدّعى أن عمر قد مات بعد ذلك بدقائق، إلا إذا فرض أنه سمع صوته، و لم يعرفه و لم يره، بسبب وجود موانع من رؤيته له.

و لكنه فرض لا يصح، لأن أبا سفيان قد صرح فى كلامه بأنه إنما يخاطب ابن الخطاب بالذات.

و مهما يكن من أمر، فقد جاء على إلى النبى (ص) بعد أن انتهت الحرب، فغسل وجهه، و ضمدت جراحه فاطمة «عليها السلام».

---

(۱) و إن كنا نشك فى ذكرهما هنا: فقد تعودنا؛ أن نجد هذا التعاقب فى كثير من الروايات، و لعله بهدف الإيحاء بأن الزعامة بعد

النبى (ص) كانت لأبى بكر، ثم لعمر، ثم لعثمان، و لكن عثمان لم يذكر هنا لغيابه و فراره.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۰، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۴، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۴۴/ ۲۴۵، و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۲۰۵، و الكامل ج ۲ ص ۱۶۰، و الثقات ج ۱ ص ۲۳۲، و راجع: تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۴۱۴/ ۴۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۲۷

و مثّل نساء المشركين فى قتلى المسلمين فجدعن الأنوف و الآذان، إلا أنهن لم يمثلن بحنظلة ابن أبى عامر، لأن أباه طلب منهن تركه، فتركنه له.

و تشاوروا فى نهب المدينة؛ فأشار صفوان بن أمية بالعدم؛ لأنهم لا يدرون ما يغشاهم «۱».

و أرسل النبى (ص) عليا أمير المؤمنين «عليه السلام» فى آثارهم؛ لينظر؛ فإن كانوا قد ركبوا الإبل، و جنبوا الخيل؛ فهم يريدون مكة، و إن كان العكس، فهم يريدون المدينة، فلا بد من مناجزتهم فيها؛ فذهب «عليه السلام»، و عاد، فأخبره بأنهم جنبوا الخيل، و امتطوا الإبل «۲».

و لكن البعض يقول: إن سعد بن أبى وقاص هو المرسل فى هذه المهمة، و أنه لما رجع رفع صوته بأنهم قد جنبوا الخيل، و امتطوا الإبل.

فجعل النبى (ص) يشير إليه: خفّض صوتك، فإن الحرب خدعة. فلا تر الناس مثل هذا الفرح بانصرافهم؛ فإنما ردّهم اللّه تعالى.

و يقول الواقدى: إنه (ص) أوصى سعدا بأنه إن رأى القوم يريدون المدينة فأخبرنى فيما بينى و بينك، و لا تفتّ فى أعضاد المسلمين «۳».

و نسب مثل ذلك إلى على (ع)، و أنه رفع صوته بالخبر، مع أنه (ص) كان قد أوصاه بخلاف ذلك «۴».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۵.

(۲) راجع: الثقات لإبن حبان ج ۱ ص ۲۳۲، و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۲۰۵/ ۲۰۶، و الكامل لإبن الأثير ج ۲ ص ۱۶۱، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۴/ ۲۴۵، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۰.

(۳) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۹۸/ ۲۹۹، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۳۲.

(۴) تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۲۰۶/ ۲۰۷، و الكامل لإبن الأثير ج ۲ ص ۱۶۰/ ۱۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۲۸

و نحن نجلّ عليا عن أن يكون قد ارتكب مثل هذه المخالفة، فقد تعودنا منه الوعى الكامل، و الطاعة المطلقة للرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»، و قد تقدم: أنه (ص) قال لعلى (ع) فى خيبر: إذهب و لا تلتفت حتى يفتح اللّه عليك. فمشى هنيئة ثم قام و لم يلتفت للعزمة، ثم قال: على ما أقاتل إلخ. و لعله لأجل هذه الإنضباطية المطلقة منه (ع) فى تنفيذ أوامر الرسول (ص) نجده (ص) ينهى ذلك الذى أرسله فى رسالة إلى على، الذى سار فى مهمة عسكرية- ينهاه- عن أن ينادى عليا من خلفه «۱».

فهذه القضية بسعد أشبه منها بعلى، و إن كان يمكن أن يكون قد أرسلهما معا.

فمقصود المحرفين هو أن يقولوا: إن المخالفة تصدر من على (ع) كما تصدر من غيره، و أنه لا كبير فرق فيما بينهم. و لكن اللّه يأبى إلا أن يظهر الحق، و يتم نوره.

و بعد انتهاء المعركة خرج على «عليه السلام» حتى ملأ درقته ماء من المهراس، فجاء به رسول اللّه (ص) ليشرب؛ فوجد له ريحا، فعافه و لم يشرب. و غسل الدم عن وجهه. و يقال: إن فاطمة «عليها السلام» كانت تغسل جراحاته و ضمدتها، و هو (ص) يقول: إشتد غضب اللّه على من أدمى وجه نبيه «۲».

(۱) البحار ج ۷۳ ص ۲۲۳ و ۳۲۵ ط مؤسسة الوفاء عن قرب الإسناد ص ۷۶، و المصنف لعبد الرزاق ج ۵ ص ۲۱۷، و حياة الصحابة ج ۱ ص ۹۷، و مجمع الزوائد ج ۵ ص ۳۰۵، و عن كنز العمال ج ۲ ص ۲۹۷.

(۲) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۱ و ۴۳۷ عن المواهب اللدنية، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۳۷ و ۲۳۶، و الكامل لإبن الأثير ج ۲ ص ۱۵۷/ ۱۵۸، و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۲۰۰/ ۲۰۱، و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۹۰، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۱۷، و فى السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۳۶/ ۲۳۷: أن سعدا هو

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۲۹

و بعد انتهاء الحرب أرسل عليا «عليه السلام» إلى المدينة ليبشر أهلها: بأن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» حى سالم «۱».

و هنا أمور لا بأس بالإلماح إليها للتتميم، و التوضيح، و التصحيح، و هى:

ألف: فاطمة أم أبيها:

إننا حينما نقرأ هذه الفقرات حول تضميد فاطمة «عليها السلام» جراحات رسول اللّه (ص) نتذكر أنها- كما رواه الإمام الصادق (ع)- كانت تلقب: بأم أبيها «۲». و ما ذلك إلا لأنها كانت بمنزلة الأم فى حنانها، و عطفها، و رعايتها له (ص)، و سهرها على راحته و سعادته، و كانت تفرح لفرحه، و تحزن لحزنه.

و من الواضح: أن الأم إنما تتحمل المتاعب، و تصبر على الصعاب فى سبيل ولدها، و هى تتمنى حياته. أما الولد، فإنه إذا رعى شؤون والديه، و تحمل بعض المتاعب فى سبيلهما، فإنما يفعل ذلك و هو يتوقع، أو يتمنى و ينتظر موتهما.

أما فاطمة «عليها السلام»، فكانت فى ذلك بمنزلة الأم، لأنها كانت

- الذى أتاه بالماء، فشرب منه و دعا له. و لكن الصحيح هو أنه على «عليه السلام» لتضافر الروايات عليه.

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۰.

(۲) راجع: الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۴ ص ۳۸۰، و راجع: المناقب لإبن شهر آشوب ج ۳ ص ۳۵۷، و البحار ج ۴۳ ص ۱۹، و كفاية الطالب ص ۳۶۹، و البداية و النهاية ج ۶ ص ۳۳۲، و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۱۱۹، و الإصابة ج ۴ ص ۳۷۷، و أسد الغابة ج ۵ ص ۵۲۰، و مقاتل الطالبيين ص ۴۶، و تهذيب التهذيب ج ۱۲ ص ۴۴۰ لكنه صحف كلمة «أبيها» ب «إبنها» فراجع.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۳۰

تريد حياته (ص)، و تريد أن تبقى معه و لا تفارقه، حتى إنها حينما أخبرها، و هو على فراش الموت: أنها أول أهل بيته لحوقا به ضحكت و استبشرت، فراجع كتب الحديث و التاريخ «۱».

ب: النبى (ص) و المسلمون فى الجبل!

و يقولون: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» لما صعد الجبل علت عالية من قريش الجبل؛ فقاتلهم عمر، و رهط من المهاجرين، حتى أهبطوهم من الجبل، و نهض (ص) إلى صخرة فى الجبل ليعلوها؛ فلم يستطع؛ فجلس تحته طلحة، و نهض به حتى استوى عليها، و كان بطلحة عرج، فتكلف الإستقامة؛ لئلا يشق على النبى (ص)؛ فذهب عرجه «۲».

و نقول:

أولا: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» و من معه لم يبلغوا الصخرة، و لا الغار، و لا المهراس، و لا الدرجة المبنية من الشعب، و

ذلك لما يلى:

---

(۱) راجع: حلية الأولياء ج ۲ ص ۳۹، و صفة الصفوة ج ۲ ص ۱۲، و خصائص أمير المؤمنين (ع) للنسائى ص ۱۱۹، و فى هامشه عن مصادر كثيرة، و راجع: ينابيع المودة ص ۱۷۳، و الصواعق المحرقة ص ۱۸۸، و كنز العمال ج ۱۳ ص ۹۲ و ۹۳، و الإصابة ج ۴ ص ۳۷۸، و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۱۲۰ و راجع: البداية و النهاية ج ۶ ص ۳۳۲، و صحيح البخارى ج ۳ ص ۶۰، و عن مسلم فى فضائل الصحابة و عن أبى دواد أيضا، و مناقب آل أبى طالب ج ۳ ص ۳۶۱ و ۳۶۲، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۰ ص ۲۶۶، و إحقاق الحق ج ۱۰ ص ۴۳۹ حتى ص ۴۵۲ عن مصادر كثيرة.

(۲) الكامل لإبن الأثير ج ۲ ص ۱۵۸، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۷، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۳۶/ ۲۳۷ و ۲۳۸، و الترمذى و صححه، و الرياض النضرة، و أحمد، و أبو حاتم، و راجع: الثقات لإبن حبان ج ۱ ص ۲۲۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۳۱

۱- لقد صرح الواقدى بأن المسلمين- و لا بد أن يكون المراد المقاتلين منهم- لم يعدوا الجبل. و كانوا فى سفحه، و لم يجاوزوه إلى غيره، و كان فيه النبى (ص) «۱».

۲- و فى رواية لأحمد: «و جال المسلمون جولة نحو الجبل، و لم يبلغوا حيث يقول الناس: الغار، إنما كان تحت المهراس» «۲».

۳- إن رسول اللّه (ص) لم يبلغ الدرجة المبنية من الشعب «۳».

۴- قال ابن إسحاق: «فلما انتهى النبى (ص) إلى فم الشعب، خرج على بن أبى طالب (رض) حتى ملأ درقته من المهراس» «۴». و جاء بالماء، فغسل وجهه كما سيأتى.

۵- إن النبى (ص) لم يبرح ذلك اليوم شبرا واحدا، حتى تحاجزت الفئتان «۵».

فإن النبى (ص) لم يكن ليفر من وجه عدوه، و يصعد إلى الجبل و يعتصم به، و يترك عدوّه يصول و يجول. كيف؟ و قد أنزل اللّه فى الفارّين قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، و ينعى عليهم عملهم ذاك، و يؤنبهم عليه.

كما أننا لا نصدق أن يرتكب الرسول هذا الأمر فى الوقت الذى كان يدعو فيه الفارين فى أخراهم إلى العودة إلى مراكزهم. و لا يمكن أن تحدثه نفسه بالفرار من الزحف فى أى من الظروف و الأحوال.

---

(۱) مغازى الواقدى ج ۲ ص ۲۷۸.

(۲) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۳۱۵ و ج ۳ ص ۹۳۰.

(۳) سيرة ابن هشام ج ۳ ص ۹۲.

(۴) سيرة ابن هشام ج ۳ ص ۹۰، و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۴۳.

(۵) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۴۰، و شرح النهج للمعتزلى، و البحار ج ۲۰ ص ۹۶ عن إعلام الورى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۳۲

۶- قد تقدم أن الصباح بن سيابة قد سأل الإمام الصادق (ع) عما يذكرونه من هذا، فهو يقول له (ع): «فالغار فى أحد الذى يزعمون أن رسول اللّه (ص) صار إليه؟

قال: و اللّه ما برح مكانه» «۱».

و ثانيا: قولهم إن عمر و رهطا من المهاجرين قد قاتلوا المشركين حتى أهبطوهم من الجبل.

لا ندرى أنصدقه؟!. أم نصدق قول الواقدى: «وصل رسول اللّه (ص) إلى الشعب مع أصحابه، فلم يكن هناك قتال» «۲»؟.

أم نصدق قولهم: إن سعدا وحده قد ردّهم بسهم، قتل به أربعة منهم «۳»؟ عجيب!! أربعة!!.

و ثالثا: إنهم يقولون: إنه لما رأى أصحاب الصخرة النبى (ص)، وضع أحدهم سهما فى قوسه، و أراد أن يرميه (ص).

فقال: أنا رسول اللّه، ففرحوا، و فرح بهم؛ لأنه رأى من يمتنع به، و اجتمعوا حوله «۴».

و فى رواية: لما نادى كعب بن مالك، يبشر الناس بحياة الرسول نهضوا إليه (أى أصحاب الصخرة) فيهم: أبو بكر، و عمر، و على، و طلحة، و الزبير، و سعد، و الحارث بن الصمة «۵».

---

(۱) إعلام الورى ص ۸۳، و البحار ج ۲۰ ص ۹۶.

(۲) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۸۱.

(۳) السيرة الحلبية ص ۲۳۸.

(۴) تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۲۰۱/ ۲۰۲، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۷.

(۵) الثقات لإبن حبان ج ۱ ص ۲۲۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۳۳

و نسجل هنا ما يلى:

۱- إن ذكر على هنا غلط عفوى أو عمدى بلا ريب؛ لأنه (ع) لم يفرّ مع هؤلاء إلى الجبل، و لا أصعد فيه حتى بلغ الصخرة؛ بل كان مع النبى (ص)، يدافع عنه، و يكافح و ينافح. بإجماع المؤرخين.

۲- لا ندرى ما معنى قولهم: إنه (ص) فرح بهم؛ لأنه رأى من يمتنع به!!. فهل منعوه قبل الآن؟! و لو كانوا قد منعوه، فما هو المبرر لكونهم على الصخرة فوق الجبل؟!.

و هل يمتنع بهم، و بعضهم قال لهم- و هم على الصخرة-: يا قوم، إن محمدا قد قتل، فارجعوا إلى قومكم، قبل أن يأتوا إليكم؛ فيقتلوكم «۱». و بعضهم قال غير ذلك حسبما تقدم!!.

۳- إنه يظهر: أن طلحة لم يكن مع النبى، و لا عاد إليه، لا هو و لا سعد، و لا أبو بكر، و لا عمر، و لا الزبير، و لا الحارث بن الصمة بعد فرارهم فى الجولة الأولى. و إنما عاد إليه أولئك الثلاثون فقط على الظاهر، أو معهم غيرهم ممن هو غير معروف و لا مشهور.

۴- إنه يظهر مما تقدم، و من قول ذلك القائل: ارجعوا إلى قومكم إلخ. و من قولهم: إن عمر مع رهط من المهاجرين!! قد قاتلوا الذين علوا الجبل، و غير ذلك- يظهر من ذلك-: أن أكثر الذين كانوا على الصخرة فوق الجبل كانوا من المهاجرين، و فيهم بعض الأنصار، و لم يرد ذكر لأنصارى باسمه إلا للحارث بن الصمة، كما تقدم.

۵- و لا نريد أن نسمح لأنفسنا بالإسترسال فى هذا المجال، حتى لا تتقاذفنا الظنون حول صحة و سلامة نية ذلك الذى أراد أن يرمى النبى (ص) بسهمه، بزعم أنه لم يكن عارفا له. و قد سماه الواقدى: ب «أبى

---

(۱) البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۳، و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۲۰۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۳۴

بردة بن نيار». فلعله كان عن غفلة حقيقية منه. و لعله كان من المنافقين- فى بادىء الأمر- فأراد انتهاز هذه الفرصة للتخلص من النبى (ص)، بحجة أنه لم يعرفه؛ إذ لا ندرى إن كان فيهم بعد من يملك الجرأة على رمى سهم على رجل يحتمل أنه من المشركين بعد أن جرى ما جرى!!

و قد بذل المنافقون محاولات مشابهة، فقد نفّروا برسول اللّه (ص) ناقته ليلة العقبة؛ بهدف قتله.

و لأجل هذا فنحن لا نستطيع أن نوافق عمر بن الخطاب على إخباره أبا سفيان و المشركين بحياة النبى (ص)، مع أنه (ص) قد نهاه عن ذلك.

و ذلك فى موقع حساس و خطير كهذا!!.

ج: روايات لم تثبت:

إنهم يقولون: إنه (ص) قد رمى بالنبل، حتى اندقت سية قوسه «۱».

و أنكر ذلك البعض على اعتبار أنه (ص) لو كان رمى لكان (ص) أصاب، و لنقل ذلك إلينا؛ لأنه مما تتوفر الدواعى على نقله «۲».

و يقولون أيضا: إنه (ص) قد قتل أبى بن خلف بحربة طعنه بها.

و نحن نستبعد ذلك أيضا؛ لأنه (ص) لم يكن يباشر القتل بيده؛ لعلمه بأن أهل بيت المقتول لا تصفو نفوسهم للقاتل عادة، و لا يتبعونه بإخلاص.

و مع أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» لم يكن يباشر ذلك، فإننا نجد هندا و غيرها يذكرون: أنه قاتل الأحبة، فكيف لو كان باشر قتلهم بيده؟!.

و لكن عليا «عليه السلام» قد تحمل هذه المسؤولية، لأن عدم اتباعهم و محبتهم له، لا يبرر خروجهم من الإسلام، فلو أرادوا أن يحقدوا

---

(۱) الكامل لإبن الأثير ج ۲ ص ۱۵۷.

(۲) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۳۵

على الإسلام بسبب ما فعله على «عليه السلام» لوجدوا أنفسهم أمام تأنيب الضمير، و محاسبة الوجدان، و لكن كرههم للنبى يوجب خروجهم عن دائرة الإسلام بالكلية، و اللّه هو العالم بواقع الحال.

د: عمر فى قفص الإتهام:

إن لنا هنا أسئلة لا بد أن نوجهها إلى عمر بن الخطاب، و نطلب منه، الإجابة عليها بصراحة. و هى التالية:

۱- لماذا أخبر أبا سفيان و المشركين بوجود النبى (ص) فى ظرف حرج و حساس كهذا، مع أنه (ص) قد نهاه عن ذلك؟

۲- قد جاء عن ابن واقد: أن ضرار بن الخطاب الفهرى، قد ضرب عمر بن الخطاب بالقناة يوم أحد، حينما جال المسلمون تلك الجولة، و قال له: يا ابن الخطاب، إنها نعمة مشكورة، و اللّه ما كنت لأقتلك «۱».

لماذا ما كان ليقتله؟ أليس هو الذى أذل قريشا كما يدعون، و عزّ به الإسلام كما يزعمون.؟ و إن كنا قد أثبتنا عدم صحة ذلك. أوليس ضرار هذا كان يتطلب الأكابر من الأوس و الخزرج؛ ليشفى بقتلهم غليل صدره «۲»؟! ألم يكن أكثر قتلى المشركين فى بدر قد قتلوا بيد المهاجرين؟! فلم لا يشفى غليله من أكابر المهاجرين، و لا سيما ممن هم مثل عمر بن الخطاب؟!.

۳- و خالد بن الوليد يحدث و هو بالشام فيقول: لقد رأيتنى، و رأيت

---

(۱) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۸۲، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۷۴ و ج ۱۵ ص ۲۰ عن الواقدى و البلاذرى و ابن إسحاق، و راجع: طبقات الشعراء لإبن سلام ص ۶۳، و فيه أن هذه يد له عند عمر، كان عمر يكافؤه عليها، حين استخلف. و راجع البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۰۷ عن ابن هشام.

(۲) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۳۶

عمر بن الخطاب رحمه اللّه حين جالوا، و انهزموا يوم أحد، و ما معه أحد، و إنى لفى كتيبة خشناء؛ فما عرفه منهم أحد غيرى؛ فنكبت عنه، و خشيت إن أغريت به من معى أن يصمدوا له، فنظرت إليه موجها إلى الشعب «۱».

لماذا هذه المراعاة من خالد لعمر، و محافظته عليه، ثم هو يوجهه إلى الشعب؟! و ما هو السر الذى جعل خالدا يهتم فى أن لا يلتفت إلى عمر أحد، و هو الذى كان شديدا على المسلمين حسبما تقدم؟!

و دعوى ابن أبى الحديد: أن سر ذلك هو النسب الذى بينهما، يرده أن رابطة الدين هى الأقوى، أوليس ابن أبى بكر قد برز لقتال أبيه كما يدعون؟

۴- لماذا يهنىء أبو سفيان عمر بالنصر الذى أحرزوه على المسلمين، و يقول له: «انعمت عينا، قتلى بقتلى بدر» «۲»؟!

و ما معنى قول أبى سفيان له: إنها قد أنعمت يا ابن الخطاب، فأجابه عمر بقوله: إنها. فما هو الذى أيده فيه؛ و وافقه عليه يا ترى؟

۵- لماذا كان عمر أبرّ لأبى سفيان من ابن قميئة كما تقدم؟ أو ليس ابن قميئة يقاتل أعداء أبى سفيان و يفنيهم، و يقتحم الغمرات، و يواجه السيوف، و النبال، و الرماح فى الدفاع عن المشركين بزعامته، و يدافع عن مصالحهم، و يعمل من أجل قهر عدوهم؟!.

و عمر أليس عدوا لأبى سفيان، و نصيرا لعدوه؟ و مقويا له عليه؟!.

و قد حاول البعض توجيه ذلك، بأن من الممكن أن يكون أبرّ بلحاظ صدقه؛ و إخباره بالواقع.

و نقول: إن هذا غير معقول، فإن عبارة أبى سفيان قد صرحت

---

(۱) راجع: مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۹۷، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۲۳.

(۲) المصنف للحافظ عبد الرزاق ج ۵ ص ۳۶۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۳۷

بصدق عمر، كما صرحت ببره، فلو كان المراد بالبر الصدق لم يصح منه التصريح بهما معا. أو فقل: لم يحسن منه ذلك على الأقل.

۶- لماذا لم يعترض هو، و لا أبو بكر، و لا طلحة، و لا غيرهم من كبار المهاجرين، الذين فروا و كانوا على الصخرة، على من قال: إنه يريد أن يوسّط ابن أبى لدى أبى سفيان؛ و طلب منهم الرجوع إلى دينهم الأول؟! أو نحو ذلك من كلام، يدل على رغبتهم فى الإرتداد عن الإسلام، و ممالأة المشركين، و الإتفاق معهم؟.

أسئلة لا تزال و لسوف تبقى تنتظر الجواب المقنع و المفيد.

العباس فى أحد:

فى قضية أحد رواية تفيد: أن العباس كان ممسكا بعنان فرس النبى (ص) يقوده. ثم إن النبى (ص) لما صعد الجبل، أو أراد أن يصعده نزل عن الفرس، و صعد. و كان يلتفت إلى الجوانب؛ فسألوه عن سبب ذلك؛ فأقبل على على، فقال: هل عندك خبر من عمك؟ فأخبره على بما وقع، فبكى (ص) هو و الأصحاب «۱».

و لكن هذا لا يمكن أن يصح؛ لأن العباس لم يحضر حرب أحد.

و تعلل على قريش بما جرى عليه فى بدر.

فمن أين جاء و أمسك بعنان فرس النبى (ص)؟!

و لو كان ذلك صحيحا، كيف قبلت قريش منه أن يعود ليسكن مكة عدة سنوات بعد ذلك؟!.

فنظن لو كان لهذه القضية أصل، أن المقصود هو العباس بن عبادة بن نضلة الأنصارى، فإنه قد استشهد يوم أحد رحمه اللّه.

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۶/ ۴۳۷ عن الينابيع.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۳۸

و بكاء الصحابة إنما كان على حمزة عم النبى رحمه اللّه أو على العباس بن نضلة. و لعله هو الذى كان جهورى الصوت؛ فنادى كما يقولون: يا أصحاب سورة البقرة، أين تفرون؟ إلى النار تهربون «۱». و يكون الراوى قد حرّف فى الرواية اعتمادا على ما هو مرتكز فى ذهنه، أو لحاجة فى نفسه قضاها!!.

هذا بالاضافة إلى وجود الشك فى وجود فرس لدى المسلمين من الأساس، حسبما تقدم.

من مشاهد الحرب:

۱- لما كان يوم أحد قال مخيريق الحبر اليهودى: يا معشر يهود، و اللّه لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق. قالوا: إن اليوم يوم السبت.

قال: لا سبت.

فأخذ سيفه و عدته. و قال: إن أصبت فما لى لمحمد، يصنع فيه ما شاء، ثم غدا إلى رسول اللّه، فقاتل معه حتى قتل، فيقال: إنه (ص) قال:

مخيريق خير يهود.

۲- و أصر عمرو بن الجموح على الخروج إلى الحرب مع عرجه.

و دعا اللّه: أن يرزقه الشهادة، و لا يرده خائبا إلى أهله. فاستشهد رحمه اللّه.

۳- و أصيبت عين قتاده بن النعمان، حتى وقعت على وجنته، فردها رسول اللّه (ص) بيده، فكانت أحسن عينيه، و أحدّهما. و يقال: إنه هو الذى طلب ذلك من النبى (ص)؛ لأنه رجل يحب النساء، و يخاف أن تعافه إمرأته إذا رأته كذلك. و قد افتخر بذلك ابن لقتادة، عند عمر بن عبد العزيز، فقال عمر: بمثل هذا فليتوسل إلينا المتوسلون، ثم قال:

---

(۱) البحار ج ۲۰ ص ۱۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۳۹ تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء، فعادا بعد أبوالا و يقال: إن كلثوم بن الحصين رمى فى نحره بسهم؛ فبصق عليه (ص) فبرىء. و فى رواية أخرى: إن عين أبى ذر أصيبت يوم أحد؛ فبصق فيها النبى (ص)؛ فكانت أصح عينيه «۱».

۴- و قتل الحارث بن سويد المجدّر بن زياد غيلة فى أحد؛ لثار جاهلى له عليه، و كلاهما كان فى جيش المسلمين؛ فنزل الوحى على الرسول، و أخبره حبيب بن يساف؛ لأنه كان قد رآه قتله، بخبره؛ فقتله (ص) به بعد رجوعه إلى المدينة، و لم يستمع لطلبه بالعفو، و وعده بالتكفير و الدية، كذا يقولون.

۵- و قتل سعد بن الربيع. و كان آخر ما قاله فى وصية مطولة منه للمسلمين: إنه لا عذر لكم عند رسول اللّه: ان يخلص إلى نبيكم، و فيكم عين تطرف، ثم مات.

و دخل عمر على أبى بكر- و عنده بنت لسعد هذا- و قد طرح لها ثوبا لتجلس عليه، فسأل عمر عنها.

فقال أبو بكر: هذه إبنة من هو خير منى و منك.

قال: و من هو يا خليفة رسول اللّه؟

قال: رجل تبوأ مقعده من الجنة، و بقيت أنا و أنت، هذه إبنة سعد بن الربيع إلخ «۲».

۶- و يقولون أيضا: انقطع سيف عبد اللّه بن جحش، فناوله (ص) عرجونا فعاد سيفا، و لم يزل أهله يتوارثونه، و يسمى (العرجون)، حتى بيع لبغا التركى بمائتى دينار.

---

(۱) حياة الصحابة ج ۳ ص ۶۱۷، و مجمع الزوائد ج ۸ ص ۲۹۸ عن أبى يعلى.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۶، و سيرة ابن هشام ج ۳ ص ۱۰۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۴۰

و يذكر مثل هذا لعكاشة بن محصن فى واقعة بدر.

و لكن قد ذكر البعض: أن رسول اللّه (ص) ولى تركة عبد اللّه بن جحش، و أخذ منها سيفه العرجون، فاشترى لأمه مالا بخيبر «۱».

و لكن ثمة قصة شبيهة بقصة العرجون بين النبى (ص) و على (ع) «۲». فليتأمل فيما هو الحق من ذلك. فإننا نكاد نطمئن إلى صحة هذه الأخيرة، و ذلك لما تعوّدناه من أعداء على «عليه السلام»، من إغارات على فضائله و كراماته.

۷- و يقولون: إن هندا قد اعتلت صخرة مشرفة، فصرخت:

نحن جزيناكم بيوم بدرو الحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان لى عن عتبة من صبرو لا أخى، و عمه و بكر

شفيت نفسى، و قضيت نذرىشفيت وحشّ غليل صدرى

فشكر وحشّ على عمرىحتى ترمّ أعظمى فى قبرى فأجابتها هند بنت أبان بن عباد بن المطلب بن عبد مناف:

خزيت فى بدر، و غير بدريا بنت وقاع عظيم الكفر

صبحك اللّه غداة الفجربالهاشميين الطوال الزهر

بكل قطاع حسام يفرىحمزة ليثى، و على صقرى

إذ رام شيب و أبوك غدرىفخضبا منه ضواحى النحر

و نذرك الشر فشرّ نذر «۳»

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۴، و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۹۱، و شرح المعتزلى ج ۱۵ ص ۱۸.

(۲) البحار ج ۲ ص ۷۸:

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۹، و السيرة النبوية لإبن هشام ج ۳ ص ۹۷، و السيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش السيرة الحلبية) ج ۲ ص ۵۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۴۱

۸- كما أن الجليس بن زيان، سيد الأحابيش، قد مر بأبى سفيان، و هو يضرب بشدق حمزة بزج الرمح، و يقول: ذق عقق.

فقال الجليس: يا بنى كنانة، هذا سيد قريش، يصنع بابن عمه ما ترون لحما!!

فقال: ويحك، أكتمها على؛ فإنها كانت زلة «۱».

۹- و قد تقدم تمثيل قريش بالشهداء من المسلمين أقبح تمثيل.

۱۰- و يقال: إن قزمان الذى كان (ص) إذا ذكره يقول: إنه لمن أهل النار «۲». قد حارب فى أحد، و قتل سبعة أو ثمانية من المشركين، فجرح. فبشره البعض، فقال: بماذا أبشر؟ فو اللّه ما قاتلت إلا عن الأحساب. و يقال: إنه لما اشتدت جراحته قتل نفسه «۳»، و يقال: لم يفعل ذلك. و يقال: إن النبى (ص) حنيئذ قال ما معناه: إن اللّه ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر «۴».

---

(۱) الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۶۰، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۴، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۳۹ عن ابن إسحاق، و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۹۶، و البحار ج ۲۰ ص ۹۷ عن إعلام الورى.

(۲) تاريخ الأمم و الملوك ط دار المعارف ج ۲ ص ۵۳۱، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۸، و السيرة النبوية لإبن هشام ج ۳ ص ۹۳، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۲۲۴ و ۲۶۳، و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۶۲، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۳۹.

(۳) تاريخ الأمم و الملوك ط دار المعارف ج ۲ ص ۵۳۱، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۸، و السيرة النبوية لإبن هشام ج ۳ ص ۹۴، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۲۲۴ و ۲۶۴، و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۶۲، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۳۹.

(۴) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۲۲۴، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۴۲

ملاحظات:

و نحن نسجل على ما تقدم باختصار شديد الإشارات التالية:

ألف: إن أموال مخيريق، و هى سبعة حوائط، قد أصبحت للنبى (ص) بعد أن استشهد مخيريق، بمقتضى وصيته نفسه. و لم يكن لليهود أن يأخذوا منها شيئا؛ حيث إنه ليس للكافر أن يرث المسلم. و حيث لم يكن لمخيريق وارث؛ فإن النبى (ص) يكون وارثه. و لسوف يأتى بعض الكلام عن مصير أمواله (ص) عند الكلام عن فدك إن شاء اللّه تعالى.

ب: إن موقف مخيريق هذا فى أحد يذكّرنى بموقف الحر الرياحى فى كربلاء. فكل منهما قد اتخذ القرار الحاسم فى أحرج اللحظات، و أكثرها حساسية. فإن مخيريق قد استطاع أن يتخلى عن كل ما يحيط به من روابط، تشده الى الأرض، و تهيمن عليه، و تمنعه من اتخاذ القرار طيلة تلك المدة الطويلة، و كذلك فعل الحر أيضا. و إن تحكيم العقل، و التخلى عن كل تلك الروابط، و إبعاد سائر تلك المؤثرات، يحتاج إلى جهد نفسىّ كبير. و بهذا تعرف الرجال، و ما تحمله من فضائل نفسية، و ملكات إنسانية. لأن حالات كهذه تكون الأعصاب فيها عادة فى أقصى حالات التوتر، و المشاعر و العواطف فى منتهى تأججها. و كل الروابط و المؤثرات الأرضية تكون واضعة كل ثقلها فى تصوراته، و نظراته المستقبلية. و لهذا كان «مخيريق» خير يهود.

و لعل الذى سهّل على مخيريق اتخاذه قراره الحاسم ذاك، هو قناعاته المترسخة فى عمق وجدانه، و التى تستمد عمقها هذا من الإخبارات الصريحة و القاطعة التى يجدها عنده فى التوراة و الإنجيل، حتى إن اليهود كانوا يعرفون النبى (ص) كما يعرفون أبناءهم.

ج: إن إصرار عمرو بن الجموح على الخروج إلى الحرب، و إذن النبى (ص) له، إنما يعنى أن عدم الخروج للجهاد، رخصة للأعرج لا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۴۳

عزيمة. فإذا بلغ المسلم من النضج الروحى بحيث يعتبر عدم الشهادة له خيبة، و الشهادة فوزا و نجاحا، ثم هو يندفع إليها بهذا الإصرار، و يعتبرها غاية له، و تتويجا لحياته، فلماذا يحرم منها.

و يجب أن لا ننسى وصية سعد بن الربيع رضوان الله عليه (و هو شيخ الأنصار. و قد جعل بيوته للنبى (ص) و لزوجاته، و قد عرّس على (ع) بفاطمة الزهراء فى أحد بيوته) التى تعبّر عن مدى و عيه و سمو روحه، و هو لا يرى موته نهاية له، إذا كان دين محمد «صلى اللّه

عليه و آله» محفوظا؛ فإنه يعتبر نفسه قد فاز بشهادته من جهة، كما أنه يعتبر نصر محمد (ص)، و دين محمد بعد موته نصرا له حتى و هو فى قبره أيضا، لأنه يرى نفسه فانيا فى هدفه، و جزءا منه؛ فإذا انتصر الهدف، فهو أيضا يكون المنتصر.

د: و إن ما فعله أبو سفيان بجثة حمزة رضوان اللّه عليه، ثم طلبه من الجليس: أن يستر عليه هذه الزلة ليس بعجيب، فإن تصرفات و مواقف أبى سفيان لم تكن محكومة لفضائل نفسية، و لا لقناعات عقلية وجدانية، و لا لقوة إلهية غيبية، و لكنها كانت تخضع للمفاهيم الجاهلية و القبلية، و المصالح الشخصية بالدرجة الأولى، و لذلك هو يعتبرها زلة إذ كان الجاهليون يقبحونها و يرفضونها، و لكنه لا يرى مانعا منها بحسب ما لديه من خصائص نفسية، و مصلحة شخصية.

كما أن عمل أبى سفيان هذا يكذّب ما اعتذر به عن المثلة التى لحقت شهداء المسلمين، حيث ادّعى أنه لم يرض، و لم يغضب، و لم يعلم بالتمثيل بالشهداء على أيدى المشركين!!

و يكذبه أيضا: أن أبا عامر الفاسق طلب أن لا يمثل بولده حنظلة، و يترك لأجله فكان له ذلك. و هذا يدل على أن التمثيل بالشهداء قد كان معلوما لدى الملأ من قريش، و كانوا راضين به. و لعل أبا سفيان قد كذب هذه الكذبة ليتفادى التمثيل بأصحابه، أو أنها كذبت عن لسانه من محبيه،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۴۴

و من يهمهم أمره.

ه: هذا و ثمة نقاط أخرى فيما تقدم تحتاج إلى إلقاء الأضواء عليها، كقضية قزمان، فإننا نشك فى أن يكون النبى (ص) قد أخبر قبل موته أنه من أهل النار، و لعله- لو صحت الرواية- لمّا علم أنه قتل نفسه، قال: «هو من أهل النار» كما ورد فى ذيل رواية الواقدى و المعتزلى «۱» فذيل الرواية مقبول، دون صدرها.

و كقضية العرجون، فإنها إن لم تكن مع على «عليه السلام»، فإننا نظن أنها قد جعلت فى مقابل ذى الفقار لعلى «عليه السلام». و حسبنا ما ذكرنا هنا، فإن الكلام حول كل ما تقدم يطول.

الصبر فى الجهاد:

لقد رأينا فى واقعة أحد أن اللّه تعالى قد أنزل آيات فى سورة آل عمران ترتبط بالصبر فى هذا المقام. و نحن نختار منها الآيات التالية:

قال تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ: أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ «۲».

و قال: وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ، فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَ ما ضَعُفُوا، وَ مَا اسْتَكانُوا. وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ «۳».

ثم هناك آيات أخرى فى سورة آل عمران تؤنب المؤمنين على عدم

---

(۱) راجع: المغازى ج ۱ ص ۲۶۳/ ۲۶۴، و شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۱۴ ص ۱۶۱.

(۲) آل عمران: ۱۴۲.

(۳) آل عمران: ۱۴۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۴۵

صبرهم فى أحد، و فيها إشارات لحقائق مهمة فى حرب أحد لا مجال لبحثها الآن، غير أننا نكتفى هنا بإشارة موجزة جدا للصبر فى الجهاد، فنقول:

الصبر فى عرف الإستعمار، و فى عرف الحكام الظالمين، و الجبابرة المتكبرين، هو تحمل الذل، و الإستسلام لكل المخططات الهدامة التى تهدم حياة الإنسان، و مستقبله، و قيمه، و أخلاقه، و دينه، تهدمها لتبنى على أشلائها عروش الظلم و الخيانة، و ملك الجبارين و المستكبرين.

و لقد تسرب هذا المعنى للصبر إلى عقائد بعض المسلمين، عن طريق العلماء المزيفين، الذين جعلوا أنفسهم أداة للإستعمار و لأذنابه، و آلة فى يد أولئك الحكام الظالمين، فحوروا دين اللّه على وفق أهداف أسيادهم، و حسبما يخدم مصالحهم، و يؤيد و يسدد سلطانهم.

و لكننا إذا رجعنا- خلوا عن هذه السوابق الذهنية- إلى المنبع الأصفى للإسلام و القرآن العظيم، و إلى مواقف و تعاليم النبى الكريم، و أهل بيته الأطيبين الأطهرين، فإننا نجد: أن للصبر مفهوما يختلف تماما عن هذا المفهوم، بل هو يناقضه و يباينه.

إن الصبر فى مفهوم هؤلاء هو تحمل كل المشاق فى سبيل الوصول إلى الأهداف النهائية النبيلة لهذا الإنسان، و ينسب لعيسى «عليه السلام»:

قوله: إنكم لا تدركون ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون «۱».

و عن على «عليه السلام»: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد «۲».

و قد قال أمير المؤمنين (ع): لا يعدم الصبور الظفر و إن طال

---

(۱) البحار ج ۷۹ ص ۱۳۷ ط بيروت.

(۲) نهج البلاغة ج ۳ ص ۱۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۴۶

الزمان «۱». و نسب إليه أيضا قوله: الصبر سيف لا ينبو، و مطية لا تكبو، و ضياء لا يخبو «۲».

و قال (ع): لنا حق فإن أعطيناه، و إلا ركبنا أعجاز الإبل و إن طال السرى «۳».

فالصبر فى الإسلام هو الصبر على تحمل الأذى فى محاربة الظلم، و القضاء عليه (الذى هو أحد هذه الأهداف). و لذلك نجدهم فى مقام الثبات فى الحرب المدمرة، يقولون: رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً، وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا، وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ «۴». و يقولون فى مواجهة فرعون:

رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً، وَ تَوَفَّنا مُسْلِمِينَ «۵».

و هذا هو الصبر الذى أراده الحسين «عليه السلام» حينما كانت السيوف و الرماح تأكل أصحابه، و أهل بيته، و هو يقول لهم: صبرا على الموت يا بنى عمومتى «۶».

نعم، إن الصبر هو تحمل الآلام و المتاعب فى سبيل الوصول إلى الهدف الأسمى كما قلنا، تماما كما فعل نوح و غيره من الأنبياء، و لا سيما نبينا الأعظم (ص).

و الهدف الأسمى هو العبودية المطلقة للّه تعالى، و رفض كل عبودية لسواه. و هو أمر صعب؛ لأنه لا ينسجم مع هوى النفس، التى تنفر من

---

(۱) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ۳ ص ۱۹۱.

(۲) نهج البلاغة ج ۳ ص ۱۵۵.

(۳) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ۳.

(۴) سورة البقرة: ۲۵۰.

(۵) سورة الأعرف: ۱۲۶.

(۶) مقتل الحسين للمقرم ص ۳۱۸ و ۳۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۴۷

العبودية، و تميل إلى التحلل من كل القيود. و لذلك كان الصبر عن المعصية، و الصبر على الطاعة، من عزم الأمور، يحتاج إلى جهد، و إلى تعب و مشقة، و قدرة على التحمل.

بل إن كل حق لا بقاء له بدون الصبر، و قد كان صبر الأنبياء و الأوصياء من أهم أسباب بقاء الحق.

كما أن الصبر يدرّب الإنسان على التقوى، و يرفع من مستوى قدرته على قيادة نفسه، لأن الصبر لا يتحقق إلا بأن يقود هو نفسه، لا أن تقوده نفسه؛ و إذا استطاع أن يقود نفسه، و إذا كانت هى أقوى و أعتى من يواجه؛ فإن قدرته على أن يقوم بمهمة قيادة الآخرين، و هدايتهم إلى الصراط المستقيم، و إلى هدى رب العالمين، تكون أعظم و أشد، و أكثر فعالية؛ و لذا قال الصادق «عليه السلام»: الصبر صبران: صبر على البلاء حسن جميل، و أفضل منه الصبر على المحارم «۱».

و قال أمير المؤمنين (ع): من ساس نفسه بالصبر على جهل الناس صلح أن يكون سائسا «۲».

و من الأمور الجديرة بالتسجيل بالنسبة للصبر فى الحرب، قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا، وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ، وَ لا تَنازَعُوا؛ فَتَفْشَلُوا، وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ، وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ «۳».

فإننا نجد أنه فى حين هو يأمرهم بالثبات فى الحرب، يأمرهم بأن يذكروا اللّه كثيرا، و ذلك من أجل أن يبقوا محتفظين بالهدف الأسمى الذى

---

(۱) البحار ط بيروت ج ۶۸ ص ۹۵.

(۲) شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۲۰ ص ۳۱۸.

(۳) الأنفال: ۴۵/ ۴۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۴۸

يفترض فيهم السعى إليه، و أن يجعلوه نصب أعينهم، و لا يصرفهم الدفاع عن نفوسهم عن ذكر اللّه تعالى. و طبيعى: أن كثرة ذكر اللّه منهم سوف تذكّرهم بأن اللّه بيده كل شىء، و أنه هو الذى ينصرهم على عدوهم، و هو مصدر عزتهم و سعادتهم، فذكرهم للّه سوف يقويهم على الثبات، و يدعوهم إلى طاعته، و طاعة رسوله، و أن لا- يتنازعوا، و أن يصبروا؛ فذكر اللّه هو مفتاح النصر فى جميع المجالات، ثم الوصول إلى الهدف الأقصى، و هو إقامة دين الحق، و نصر اللّه: إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۴۹

الفصل الرابع: بعد ما هبت الرياح

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۵۱

ما جرى على حمزة و الشهداء:

اشارة

قد تقدم بعض الكلام فى كيفية استشهاد حمزة بن عبد المطلب رضوان اللّه تعالى عليه؛ و أن أبا سفيان كان يضرب شدق حمزة بزج الرمح، ثم طلب من رفيقه أن يستر عليه هذه الزلة. و علقنا عليها بما سمح لنا به المجال.

بقى أن نشير هنا إلى أمور و ممارسات أخرى ظهرت بالنسبة إلى الشهداء و هى التالية:

۱- إن هند زوجة أبى سفيان، قد أتت مصرع حمزة؛ فمثلت به، و جدعت أنفه، و قطعت أذنيه و مذاكيره، ثم جعلت ذلك كالسوار فى يديها، و قلائد فى عنقها، و استمرت كذلك حتى قدمت مكة.

و كذلك فعل النساء بسائر الشهداء الأبرار.

و زادت هى عليهم: أنها بقرت بطن حمزة، و استخرجت كبده فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها «۱». و يقال: إنها كانت قد نذرت ذلك «۲».

---

(۱) راجع ما تقدم فى المغازى للواقدى ج ۱ ص ۲۸۶، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۳ و ۲۴۴، تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۹، و السيرة النبوية لإبن هشام ج ۳ ص ۹۷، و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۰۴، و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۹۷.

(۲) السيرة النبوية لإبن هشام ج ۳ ص ۹۷، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۵۲

فيقال: إن النبى (ص) لما بلغه إخراجها كبد حمزة قال: هل أكلت منه شيئا؟

قالوا: لا.

قال: إن اللّه قد حرّم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيئا أبدا «۱»، أو: ما كان اللّه ليدخل شيئا من حمزة إلى النار «۲».

و ليتأمل بعد فيما يقال حول إسلامها، و إيمانها، ثم الحكم لها بالجنة، كغيرها ممن هم على شاكلتها!!.

۲- و أقبلت صفية لتنظر أخاها، فالتقت بعلى «عليه السلام»؛ فقال:

إرجعى يا عمة؛ فإن فى الناس تكشفا، فسألته عن الرسول (ص)، فقال:

صالح. قالت: أدللنى عليه حتى أراه؛ فأشار إليه إشارة خفية من المشركين،- لعلهم كانوا لا يزالون قريبين من هناك، و يخشى كرّتهم فيما لو علموا: أن عليا بعيد عن النبى (ص)- فأقبلت إليه، فأمر (ص) الزبير بإرجاعها، حتى لا ترى ما بأخيها.

فقالت للزبير: و لم؟ و قد بلغنى: أنه قد مثّل بأخى، و ذلك فى اللّه قليل؛ فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن و لأصبرن إن شاء اللّه.

فسمح لها النبى (ص) برؤيته، فنظرت إليه، فصلت عليه، و استرجعت، و استغفرت له. كذا فى الإكتفاء «۳».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۴، و تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۴۱۳ عن أحمد.

(۲) مسند الإمام أحمد ج ۱ ص ۴۶۳، و تفسير القمى ج ۱ ص ۱۱۷، و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۱۰ عن أحمد، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۴۱، و البحار ج ۲۰ ص ۵۵ عن القمى ..

(۳) راجع ما تقدم فى: مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۸۹، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۱ و ۴۴۲، و حياة الصحابة ج ۱ ص ۵۷۰/ ۵۷۱، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۹۸ و ۱۹۹، و ليراجع تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۲۰۸ و ۲۰۷، و الكامل لإبن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۵۳

و يقال: إن الأنصار هم الذين حالوا بينها و بين رسول اللّه (ص) «۱».

۳- و فى الصفوة: أنها جاءت بثوبين لتكفين حمزة، فإذا إلى جنبه أنصارى قتيل، قد مثّل به، فوجدوا غضاضة و حياء أن يكفنوا هذا، و يتركوا ذاك، فأقرعوا بين الثوبين؛ فأصاب الأنصارى أكبر الثوبين، فكفن حمزة بالآخر، فلف على قدمى حمزة ليف و اذخر «۲».

۴- و كان لحمزة يوم قتل تسع و خمسون سنة، و صلى النبى (ص) عليه، و كبر سبع تكبيرات. ثم صاروا يأتون بالقتلى، و يضعونهم إلى جانبه، فيصلى عليه و عليهم حتى صلى عليه إثنتين و سبعين صلاة. كذا فى الطيبى «۳».

و لكننا نشك فيما ذكر عن مقدار عمره بملاحظة ما تقدم فى حديث إرادة عبد المطلب ذبح ولده عبد اللّه، حين ولد له أولاده العشرة.

كما أننا نجد عليا «عليه السلام» يذكر: أنه (ص) قد خص حمزة بسبعين تكبيرة «۴». فلعله كبر عليه سبعين، ثم صلى عليه سبعين صلاة أخرى.

- الأثير ج ۲ ص ۱۶۱/ ۱۶۲، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۷ و ۲۴۸، و السيرة النبوية لإبن هشام ج ۳ ص ۱۰۱ و ۱۰۳، و حياة الصحابة ج ۲ ص ۶۵۰ و ۶۵۱، و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۱۹/ ۱۲۰ عن البزار و الطبرانى، و كنز العمال ج ۱۵ ص ۳۰۲.

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۱۷، و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۹۰، و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۱۹ و ۱۲۰.

(۲) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۱ و ۴۴۲.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۴۲.

(۴) نهج البلاغة بشرح عبده ج ۳ ص ۳۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۵۴

۵- قال ابن إسحاق: و مر رسول اللّه (ص)- حين رجع إلى المدينة- بدور من الأنصار؛ فسمع بكاء النوائح على قتلاهم، فذرفت عينا رسول اللّه (ص) ثم قال: لكن حمزة لا بواكى له.

فأمر سعد بن معاذ، و يقال: و أسيد بن حضير نساء بنى عبد الأشهل: أن يذهبن و يبكين حمزة أولا، ثم يبكين قتلاهن.

فلما سمع (ص) بكاءهن، و هن على باب مسجده أمرهن بالرجوع، و نهى (ص) حينئذ عن النوح، فبكرت إليه نساء الأنصار، و قلن: بلغنا يا رسول اللّه، أنك نهيت عن النوح، و إنما هو شيء نندب به موتانا، و نجد بعض الراحة؛ فأذن لنا فيه.

فقال: إن فعلتن فلا- تلطمن، و لا تخمشن، و لا تحلقن شعرا، و لا تشققن جيبا «۱» قالت أم سعد بن معاذ: فما بكت منا إمرأة قط إلا بدأت بحمزة إلى يومنا هذا.

۶- و لما أراد معاوية أن يجرى عينه التى بأحد، كتب إلى عامله بالمدينة بذلك، فكتبوا إليه: إنّا لا نستطيع أن نخرجها إلا على قبور الشهداء.

فكتب: أنبشوهم.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۵۴، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۴ عن المنتقى، و ليراجع كامل ابن الأثير ج ۲ ص ۱۶۷، و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۲۱۰، و ليراجع: العقد الفريد، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۴۸، و مسند أحمد ج ۲ ص ۴۰ و ۸۴ و ۹۲، و الإستيعاب ترجمة حمزة. و مسند أبى يعلى ج ۶ ص ۲۷۲ و ۲۹۳/ ۲۹۴، و فى هامشه عن المصادر التالية: مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۲۰، و عن الطبقات الكبرى ج ۳ قسم ۱ ص ۱۰، و عن سنن ابن ماجة ج ۳ ص ۹۵ فى السيرة و فى الجنائز الحديث رقم ۱۵۹۱، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۹۵، و عن سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۹۵ و ۹۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۵۵

قال جابر: فلقد رأيتهم يحملون على أعناق الرجال، كأنهم قوم نيام. و أصابت المسحاة طرف رجل حمزة؛ فانبعثت دما.

قال أبو سعيد: لا ينكر بعد هذا منكر أبدا «۱».

۷- و مرّ أبو سفيان بعد إسلامه بأحد، فقيل له: أى يوم لك ها هنا.

فقال: و الآن لو وجدت رجالا «۲».

۸- مر أبو سفيان فى أيام عثمان بقبر حمزة، و ضربه برجله، و قال:

يا أبا عمارة، إن الأمر الذى اجتلدنا عليه بالسيف أمس فى يد غلماننا اليوم يتلاعبون به «۳».

و كل ذلك يوضح حقيقة ما يقال عن ايمان أبى سفيان، و ولده معاوية، و زوجته هند!!!.

۹- و أما عن شرب حمزة للخمر حين خروجه إلى أحد، فقد أثبتنا أنه كذب، فراجع ما تقدم حين الكلام حول تحريم الخمر حين الكلام عن زواج على (ع).

---

(۱) راجع تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۳ عن الصفوة و المنتقى، و المصنف ج ۳ ص ۵۴۷ و ج ۵ ص ۲۷۷، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۵۰، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۶۴، و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۶۷/ ۲۶۸، و طبقات ابن سعد ج ۳ ص ۵ قسم ۱ و قسم ۲ ص ۷۸، و ليراجع حياة الصحابة ج ۳ ص ۶۵۹- ۶۶۱، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۴۳، و دلائل أبى نعيم ص ۴۹۹، و كنز العمال ج ۱۰ ص ۲۷۰ و ج ۸ ص ۲۷۰، و عن ابن سعد و راجع: فتح البارى ج ۳ ص ۱۴۲، و وفاء الوفاء ج ۳ المجلد الثانى ص ۹۳۸ عن أحمد بسند صحيح، و الدارمى كما فى الأوجز ج ۴ ص ۱۰۸، و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۲۹۱.

(۲) ربيع الأبرار ج ۱ ص ۵۵۹.

(۳) قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۸۹ و ج ۵ ص ۱۱۶، و الغدير ج ۱۰ ص ۸۳ كلاهما عن شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۵۱ ط قديم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۵۶

أما نحن فنشير إلى الأمور التالية:

ألف: موقف الرسول من المثلة بحمزة:

اشارة

إنهم يقولون: إنه بعد أن وضعت الحرب أوزارها فى واقعة أحد، سأل «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» عن عمه حمزة بن عبد المطلب، فالتمسوه، فوجدوه على تلك الحالة المؤلمة، حيث كانت هند أم معاوية، و زوجة أبى سفيان قد مثلت به؛ فجدعت أنفه، و قطعت أذنيه، و بقرت بطنه، و استخرجت كبده، فلاكتها، و لم تستطع أن تسيغها، إلى غير ذلك من ممارسات وحشية تجاه تلك الجثة الطاهرة. تقدمت الإشارة إليها.

فجاء «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»، فوقف عليه، فيقال: إنه «صلى اللّه عليه و آله» لما رآه فى تلك الحالة قال: «لو لا أن تحزن صفية، و تكون سنة من بعدى، لتركته حتى يكون فى بطون السباع، و حواصل الطير «۱».

أوقال: لسرّنى أن أدعك حتى تحشر من أفواه شتى «۲»، و لئن أظهرنى اللّه على قريش يوما من الدهر فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم» «۳».

و المسلمون أيضا قالوا: «و اللّه، لئن أظفرنا اللّه بهم يوما من الدهر، لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب» «۴».

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۸، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۱، و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۸۹، و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۱۹، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۹۶.

(۲) دلائل النبوة للبيهقى ط دار الكتب العلمية ج ۳ ص ۲۸۸.

(۳) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۶، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۱.

(۴) راجع: الدر المنثور ج ۴ ص ۱۳۵، و دلائل النبوة للبيهقى ط دار الكتب العلمية، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۶، و السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ۲ ص ۵۳، و السيرة النبوية لإبن هشام ج ۳ ص ۱۰۱، و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۶۱، و سيرة ابن إسحاق ص ۳۳۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۵۷

و يقال: إنه (ص) بكى و شهق، و قال: رحمة اللّه عليك، لقد كنت فعولا للخير، وصولا للرحم، أم و اللّه لأمثلن بسبعين منهم مكانك. فنزل جبريل بقوله تعالى: وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ، وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ. فعفا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» و صبر.

و فى رواية، قال: أصبر، و نهى عن المثلة. و فى أخرى: كفر عن يمينه «۱».

و نقول:

إن بكاءه (ص) على حمزة لا مانع منه، و أما ما سوى ذلك مما ذكر آنفا؛ فنحن نشك فى صحته.

و نعتقد أنه كقضية ممارسة عمل المثلة الشنيع المنسوب له (ص) زورا و بهتانا، قد وضع بهدف إظهار رسول اللّه (ص) كأحد الناس، الذين يتعاملون مع القضايا من موقع الإنفعال و العصبية للقبيلة و الرحم، و لتبرّر بذلك جميع المخالفات التى ارتكبها و يرتكبها الحكام الظالمون.

(۱) راجع: الدر المنثور ج ۴ ص ۱۳۵ عن مصادر كثيرة و راجع: التفسير الكبير ج ۲۰ ص ۱۴۱، و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۰ ص ۲۰۱، و جامع البيان ج ۱۴ ص ۱۳۱، و غرائب القرآن (بهامش جامع البيان) ج ۱۴ ص ۱۳۲، و التبيان ج ۶ ص ۴۴۰، و مجمع البيان ج ۶ ص ۳۹۳، و لباب التأويل للخازن، و مدارك التنزيل بهامشه ج ۳ ص ۱۴۳، و دلائل النبوة للبيهقى ط دار الكتب العلمية ج ۳ ص ۳۸۸، و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۱۹، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۹۷، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۶، و السيرة النبوية لدحلان بهامش الحلبية ج ۲ ص ۵۳، و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۹۷، و السيرة النبوية لإبن هشام ج ۳ ص ۱۰۲، و تاريخ الأمم و الملوك ط دار المعارف ج ۲ ص ۵۲۹، و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۶۱، و سيرة ابن إسحاق ص ۳۳۵، و مسند أحمد ج ۵ ص ۱۳۵، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۱، و الروايات بهذه المعانى تجدها فى مختلف كتب الحديث و التاريخ التى تتعرض لغزوة أحد، و لا يكاد يخلو منها كتاب كلا أو بعضا، فراجع.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۵۸

كما أن ذلك يسقط قول و فعل الرسول (ص) عن الاعتبار و الحجية، فلا يبقى لما ورد عنه (ص) من ذم لمن يحبهم بعض الناس تأثير يذكر.

أما ما نستند إليه فى حكمنا على هذه الأقاويل بالوضع و الإختلاق، فهو الأمور التالية:

۱- إن ذلك لا ينسجم مع روحية و أخلاق و إنسانية النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»، و لا ينسجم حتى مع روح التدبير للأمور العامة، من قبل أى إنسان حكيم، مدبر للأمور، و لا مع سياسة الأمم بالمعنى الصحيح و السليم للسياسة.

و ذلك لأنه لا مبرر لإبقاء جثة شهيد فى الصحراء، تصهرها أشعة الشمس، عرضة للوحوش و السباع و الطير، و لا فائدة فى إجراء كهذا.

إذ من الواضح: أن ذلك لا يعتبر انتقاما من قريش، و لا أداء لحق ذلك الشهيد العظيم، إن لم يكن إساءة و إهانة له، بملاحظة أن إكرام الميت دفنه.

ثم، أوليست إنسانيته (ص) و أخلاقه الرفيعة هى التى أملت عليه حتى أن يغيّب جثث قتلى المشركين فى قليب بدر؛ فكيف بالنسبة لهذا الشهيد العظيم، أسد اللّه و أسد رسوله؟!!

و يحاول البعض أن يدعى: أنه (ص) لم يكن يقصد مدلول هذا الكلام، و إنما هو يريد فقط أن يظهر مظلوميته و وحشية الطرف الآخر، أبى سفيان و أصحابه.

و لكنها محاولة فاشلة، فإننا نجلّ النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» عن أمر كهذا، و لا يجوز نسبته إليه؛ لأن معناه إمكانية التشكيك فى كثير من أقواله، و مواقفه، و أفعاله «صلى اللّه عليه و آله».

أضف إلى ذلك: أن ما جرى لحمزة «عليه السلام» قد جرى مثله

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۵۹

لغيره من الشهداء، و إن كان ما جرى لحمزة «عليه السلام» أفظع و أبشع.

فلماذا اختص غضبه (ص) بما جرى لعمه و حسب؟!.

ثم إن المفروض بهذا النبى العظيم، هو أن يظهر الجلد و الصبر لا الجزع و الحزن، إلا بالنحو المعقول و المقبول، و إلا فما وجه اللوم لغيره ممن فقد الأهل و الأحبة، إن تجاوز حدّه، و ظهر منه ما لا ينبغى فى مناسبات كهذه؟!

۲- قولهم على لسانه (ص): إنه إن ظفر بقريش فسيمثل بثلاثين.

مرفوض أيضا؛ إذ هذه جثث قتلى المشركين أمامه، و هى إثنان أو ثمانية و عشرون جثة، بل و أكثر من ذلك، كما يظهر من بعض النصوص، فلماذا لا يمثل بها، و يشفى غليل صدره منها؟!

و لم لم يبادر المسلمون- بدورهم- إلى التمثيل بتلك الجثث التى تركها أصحابها و فروا خوفا من أن يدال المسلمون منهم، كما فروا من قبل فى بدر؟!

۳- أما نزول الآية الكريمة ردّا عليه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» و هى قوله تعالى: وَ إِنْ عاقَبْتُمْ؛ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ «۱».

فلا يصح أيضا، لأن الآية مكية؛ لأن سورة النحل قد نزلت فى مكة، و أحد قد كانت فى السنة الثالثة من الهجرة «۲».

و القول: بأن سورة النحل كلها قد نزلت فى مكة إلا هذه الآيات إنما يستند إلى هذه الروايات بالذات، فلا حجة فيه.

إن قلت: قد تحدثت السورة عن المهاجرين، و هذا يناسب أن تكون

---

(۱) سورة النحل الآية: ۱۲۶.

(۲) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۶ عن ابن كثير، و القول بأن الآية مدنية لا عبرة به لأنه يستند إلى هذه الرواية.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۶۰

السورة قد نزلت بعد الهجرة.

فالجواب: أنه لم يثبت ان المقصود هو الهجرة الى المدينة فان الهجرة الى الحبشة كانت قد حصلت و المسلمون فى مكة، فلعلها هى المقصودة.

و القول: بأن ذلك مما تكرر نزوله «۱».

أولا: يحتاج إلى إثبات.

و ثانيا: يلزمه أن يكون النبى (ص) قد خالف الحكم الإلهى الثابت، فاحتاج اللّه إلى تذكيره بأن موقفه هذا مخالف لنص تلك الآية التى لديه!!.

و ثالثا: قد روى عن ابن عباس فى قوله: فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به قال: هذا حين أمر اللّه نبيه أن يقاتل من قاتله؛ ثم ذكر أنها نسخت ببراءة «۲».

و عن ابن زيد، قال: كانوا قد أمروا بالصفح عن المشركين، فأسلم رجال ذوو ممنعة، فقالوا: يا رسول اللّه لو أذن اللّه لا نتصرنا من هؤلاء الكلاب؛ فنزلت هذه الآية، ثم نسخ ذلك؛ بالجهاد «۳».

۴- إن قولهم: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» قد نهى فى هذه المناسبة عن المثلة.

محل نظر؛ و ذلك لما ورد عن سعيد، عن قتادة، عن أنس- فذكر حديث العرنيين- و فى آخره، قال: قال قتادة: و بلغنا أن النبى (ص) كان

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۶.

(۲) الدر المنثور ج ۴ ص ۱۳۵ عن ابن جرير، و ابن مردويه.

(۳) الدر المنثور ج ۴ ص ۱۳۵ عن ابن جرير، و ابن أبى حاتم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۶۱

بعد ذلك يحث على الصدقة، و ينهى عن المثلة «۱».

و يقول العسقلانى، عن ابن عقبة فى المغازى: «و ذكروا: أن النبى (ص) نهى بعد ذلك عن المثلة بالآية التى فى سورة المائدة، و إلى هذا مال البخارى، و حكاه إمام الحرمين فى النهاية عن الشافعى» «۲».

فكلام قتادة السابق صريح فى أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» قد نهى عن المثلة بعد قضية العرنيين، و كانت بعد قصة أحد؛ لأنها كانت فى حدود السنة السادسة «۳».

أضف إلى ذلك: ما ذكره سعيد بن جبير، الذى أضاف فى قصة العرنيين قوله: «فما مثل رسول اللّه (ص) قبل و لا بعد، و نهى عن المثلة» «۴».

فمعنى ذلك هو أن رسول اللّه لم يمارس هذا الفعل الشنيع أصلا، كما أنه قد نهى من كان بصدد ممارسته.

و نحن بدورنا لنا كلام فى قصة العرنيين هذه، حيث إننا نرفض أن يكون «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» قد مثّل بهم، و لا سيما بملاحظة ما قدمناه آنفا، عن سعيد بن جبير.

و قد أنكر أبو زهرة ذلك أيضا «۵».

---

(۱) راجع: صحيح البخارى ط سنة ۱۳۰۹ ه. ج ۳ ص ۳۱، و نصب الراية للزيلعى ج ۳ ص ۱۱۸ عن البخارى و مسلم و سنن البيهقى ج ۹ ص ۶۹، و نيل الأوطار ج ۷ ص ۱۵۱.

(۲) فتح البارى ج ۱ ص ۲۹۴.

(۳) راجع: المصنف ج ۹ ص ۲۵۹، و البخارى، و مسلم، و غير ذلك.

(۴) الإعتبار فى الناسخ و المنسوخ ص ۲۰۸- ۲۱۱، و فتح البارى ج ۷ ص ۳۶۹.

(۵) أبو حنيفة لمحمد أبى زهرة ص ۲۵۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۶۲

و كان على بن حسين ينكر حديث أنس فى أصحاب اللقاح: أخبرنا ابن أبى يحيى، عن جعفر، عن أبيه، عن على بن حسين قال: لا و اللّه، ما سمل رسول اللّه عينا و لا زاد أهل اللقاح على قطع أيديهم و أرجلهم «۱».

و لكن ما يهمنا هنا: هو أن ما ذكروه فى قصة العرنيين يتنافى بشكل ظاهر مع كونه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» قد نهى عن المثلة فى أحد.

و لو أغمضنا النظر عن ذلك؛ فإن ما نقلناه عن العسقلانى آنفا يدل على أن نهيه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» عن المثلة، إنما كان فى أواخر أيام حياته؛ لأن سورة المائدة قد كانت من أواخر ما نزل عليه «صلى اللّه عليه و آله».

نعم، يمكن أن يكون (ص) قد قطع أيدى و أرجل العرنيين من خلاف، لأنهم مفسدون فى الأرض. و ذلك هو الحكم الثابت لمن يكون كذلك. ثم زاد الرواة و أصحاب الأغراض على ذلك ما شاؤا.

۵- إنهم يقولون: إن أبا قتادة جعل يريد التمثيل بقريش لما رأى من المثلة؛ فمنعه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» «۲».

و هذا هو المناسب لأخلاقه و سجاياه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم».

أما أبو قتادة فإنه ان صح ما نقل عنه يكون قد تصرف هنا بوحى من انفعاله و تأثره، الناجم عن ثورته النفسية بسبب ذلك المشهد المؤلم.

كما أننا نشك فى ما جاء فى ذيل هذه الرواية، الذى يذكر: أنه (ص) قد قرّض قريشا فى هذه المناسبة، حتى قال: إنه عسى إن طالت

---

(۱) الأم ج ۴ ص ۱۶۲.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۱، و راجع: مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۹۰/ ۲۹۱، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۱۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۶۳

بأبى قتادة المدة أن يحقر أعماله مع أعمالهم «۱». فإننا نعتقد أن هذه التقريظات من تزيّد الرواة تزلفا للحكام الأمويين- كما عودونا فى مناسبات كثيرة- فى مقابل على «عليه السلام»، و أهل بيته، لفسح المجال أمام تنقصهم و الطعن بهم. و يكفى أن نتذكر هنا موقف قريش من على «عليه السلام» و أهل البيت؛ حيث نجده (ع) يصفها بأسوأ ما يمكن، بسبب موقفها السيء هذا.

يقول أمير المؤمنين «عليه السلام»: «فدع عنك قريشا، و تركاضهم فى الضلال، و تجوالهم فى الشقاق، و جماحهم فى التيه، فإنهم قد أجمعوا على حربى كإجماعهم على حرب رسول اللّه (ص) قبلى؛ فجزت قريشا عنى الجوازى؛ فقد قطعوا رحمى، و سلبونى سلطان ابن عمى» «۲».

هذا و لا بد أن لا ننسى هنا: أنه (ص) قد قال لعلى (ع): حربك حربى، و سلمك سلمى «۳».

و قال على «عليه السلام»: «اللهم إنى أستعديك على قريش [و من أعانهم]؛ فإنهم قد قطعوا رحمى، و أكفأوا إنائى، و أجمعوا على منازعتى

---

(۱) راجع المصادر المتقدمة.

(۲) راجع: نهج البلاغة، شرح عبده، باب الرسائل رقم ۳۶، و باب الخطب رقم ۲۱۲ و ۳۲، و ليراجع ص ۱۶۷ و غير ذلك.

(۳) راجع: مناقب الإمام على (ع) لإبن المغازلى ص ۵۰، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۸ ص ۲۴، و ينابيع المودة ص ۸۵ و ۷۱، و كنز الفوائد ج ۲ ص ۱۷۹ ط دار الأضواء، و البحار ج ۳۷ ص ۷۲ و ج ۴۰ ص ۴۳ و ۱۷۷ و ۱۹۰ ط مؤسسة الوفاء، و روضة الواعظين ج ۱ ص ۱۱۳، و تلخيص الشافى ج ۲ ص ۱۳۵، و راجع ميزان الإعتدال ج ۲ ص ۷۵، و راجع لسان الميزان ج ۲ ص ۴۸۳ ففيهما حديث

معناه ذلك أيضا، و أمالى الطوسى ج ۱ ص ۳۷۴ و ج ۲ ص ۱۰۰، و أمالى الصدوق ص ۳۴۳، و راجع إحقاق الحق (الملحقات) للمرعشى النجفى ج ۶ ص ۴۴۰ و ج ۴ ص ۲۵۸ و ج ۷ ص ۲۹۶ و ج ۱۳ ص ۷۰ عن مصادر كثيرة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۶۴

حقا كنت أولى به من غيرى» «۱».

و قال «عليه السلام»: «ما لى و لقريش، و اللّه لقد قاتلتهم كافرين، و لأقاتلنهم مفتونين، و إنى لصاحبهم بالأمس، كما أنا صاحبهم اليوم» «۲».

و لأبى الهيثم بن التيهان كلام جيد، حول موقف قريش من على، من أراده فليراجعه «۳».

و فيه يحلل أبو الهيثم سر عداء قريش لأمير المؤمنين «عليه السلام»، و أنه إنما كان بسبب بغيها و حسدها له، و عدم قدرتها على اللحاق به. و قد ذكرنا شطرا كبيرا من النصوص الدالة على ذلك مع مصادرها، فى مقال لنا بعنوان الغدير و المعارضون.

هذا كله .. عدا عما كان فى صدور قريش من حقد على بنى هاشم عموما، و على الأنصار أيضا. و قد مرّ فى جزء سابق من هذا الكتاب فى فصل سرايا و غزوات قبل بدر إلماحة عن موقف قريش من الأنصار فليراجع ذلك هناك.

و أخيرا نقول: ان هذه كانت حالة قريش بعد طول المدة، فكيف يحقر أبو قتادة أعماله مع أعمالها؟! و كيف يكون لها ذلك المقام المحمود عند اللّه تعالى؟!.

ما هو الصحيح فى القضية:

و لعل الصحيح هنا هو قضية أبى قتادة المتقدمة، و إن كان قد تزيّد الرواة فيها تزلفا للحكام، كما أشرنا.

يضاف إلى ذلك: ما رواه غير واحد عن أبى بن كعب (رض)، قال:

---

(۱) و (۲) راجع: الهامش ما قبل الأخير.

(۳) الأوائل لأبى هلال العسكرى ج ۱ ص ۳۱۶ و ۳۱۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۶۵

لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة و ستون رجلا، و من المهاجرين ستة، منهم حمزة. فمثّلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا، لنربينّ عليهم.

فلما كان يوم فتح مكة أنزل اللّه: وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ فقال رسول اللّه (ص): نصبر، و لا نعاقب، كفوا عن القوم إلا أربعة.

و حسب نص ابن كثير: عن عبد اللّه بن أحمد: فلما كان يوم الفتح، قال رجل: لا تعرف قريش بعد اليوم؛ فنادى مناد: إن رسول اللّه (ص) قد أمن الأسود و الأبيض إلا فلانا و فلانا، ناسا سماهم، فأنزل اللّه إلخ «۱».

و عن الشعبى، و ابن جريج ما يقرب من هذا أيضا باختصار «۲».

و فى رواية: أن المسلمين لما رأوا المثلة بقتلاهم قالوا: لئن أنالنا اللّه منهم لنفعلن، و لنفعلن، فأنزل اللّه: و إن عاقبتم الآية، فقال رسول اللّه (ص): بل نصبر «۳».

لكن ما تذكره هذه الروايات من أن الآية قد نزلت فى هذه المناسبة محل نظر، و ذلك لما قدمناه من كونها مكية، و يمكن أن يكون الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» عاد فذكّرهم بالآية، مبالغة منه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» فى زجرهم عن ذلك، فتوهّم الراوى: أن الآية قد نزلت فى هذه المناسبة.

(۱) الـدر المنثور ج ۴ ص ۱۳۵ عن: الترمـذى، و حسّـنه، و عبـد اللّه بن أحمـد فى زوائـد المسـند، و النسائى و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و ابن حبان، و ابن مردويه، و الحاكم و صححه، و البيهقى فى الدلائل، و تفسير ابن كثير ج ۲ ص ۵۹۲.

(۲) تفسير ابن كثير ج ۲ ص ۵۹۲.

(۳) الدر المنثور ج ۴ ص ۱۳۵ عن ابن جرير، و مصنف ابن أبى شيبة، و راجع: البحار ج ۲۰ ص ۲۱ عن مجمع البيان.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۶۶

ب: هند، و كبد حمزة:

قـد تقـدم أنه (ص) لما بلغه محاولـة هند أكل كبد حمزة فلم تسـتطع أن تسـيغها، قال: ما كان اللّه ليدخل شـيئا من حمزة النار، أو نحو ذلك.

قاال الحلبى: «أى و لو أكلت منه، أى استقر فى جوفها لم تمسها النار» «۱».

و هو تفسير غريب و عجيب حقا!! فإن ظاهر كلامه (ص): أن هندا من أهل النار، و قد أبى اللّه أن يدخل شيئا من حمزة النار.

و لو صح تفسير الحلبى مع حكمهم بأن هندا قد أسلمت و ستدخل الجنة، لكان اللازم أن تسيغ ما أكلته من كبده، و يستقر فى جوفها، لأن هندا ستدخل الجنة!! فلتكن تلك القطعة معها، لتدخل الجنة كذلك!!.

نعم و هـذا مـا يرمى إليه الحلبى، فـإن له كلاما طويلا فى المقام يـدخل فيه هنـدا الجنـة. و قـد دفعه هواه إلى تفسـير كلام النبى (ص) بصورة جعلته يصبح بلا معنى و لا مدلول.

ج: المنع من البكاء على الميت:

اشارة

لقد بكى النبى (ص) على حمزة، و قال: أما حمزة فلا بواكى له.

و بعـد ذلك بكى على جعفر، و قال: على مثل جعفر فلتبك البواكى. و بكى على ولـده إبراهيم، و قال: تدمع العين، و يحزن القلب، و لا نقول إلا ما يرضـى الرب. و بكى كـذلك على عثمان بن مظعون، و سـعد بن معاذ، و زيد بن حارثة، و بكى الصـحابة، و بكى جابر على أبيه، و بشير بن عفراء على أبيه أيضا، إلى غير ذلك مما هو كثير فى الحديث و التأريخ «۲».

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۴.

(۲) راجع: النص و الإجتهاد ص ۲۳۰- ۲۳۴، و الغدير ج ۶ ص ۱۵۹- ۱۶۷،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۶۷

فكل ذلك فضلا عن أنه يدل على عدم المنع من البكاء، فإنه يدل على مطلوبية البكاء، و على رغبته (ص) فى صدوره منهم.

و لكننـا نجـد فى المقابـل: أن عمر بن الخطـاب يمنع من البكاء على الميت و يضـرب عليه؛ و يفعل ما شاءت له قريحته فى سبيل المنع عنه، و يروى حديثا عن النبى (ص) مفاده: إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه «۱».

مع أننا نجد أنه هو نفسه قد أمر بالبكاء على خالد بن الوليد «۲».

و قد بكت عائشة على إبراهيم «۳» و بكى أبو هريرة على عثمان،

- و دلائل الصدق ج ۳ قسم ۱ ص ۱۳۴/ ۱۳۶ عن عشرات المصادر الموثوقة، و الإستيعاب (بهامش الإصابة) ترجمة جعفر ج ۱ ص ۲۱۱، و منحة المعبود ج ۱ ص ۱۵۹، و كشف الأستار ج ۱ ص ۳۸۱ و ۳۸۳ و ۳۸۲، و الإصابة ج ۲ ص ۴۶۴، و المجروحون ج ۲ ص ۹۲، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۸۹ و راجع ص ۲۵۱، و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۹۴ و ۸۹۵ و راجع ص ۹۳۲ و ۹۳۳، و حياة الصحابة ج ۱ ص ۵۷۱، و طبقات ابن سعد ج ۳ ص ۳۹۶ و ج ۲ ص ۳۱۳.

(۱) راجع المصادر المتقدمة و الغدير و غيره عن عشرات المصادر الموثوقة، و كذا منحة المعبود ج ۱ ص ۱۵۸، و فى ذكر أخبار أصبهان ج ۱ ص ۶۱ عن أبى موسى، و الطبقات لابن سعد ج ۳ ص ۲۰۹ و ۳۴۶ و ۳۶۲.

و راجع: تأويل مختلف الحديث ص ۲۴۵.

(۲) التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۳۷۵، و الإصابة ج ۱ ص ۴۱۵، و صفة الصفوة ج ۱ ص ۶۵۵، و أسد الغابة ج ۲ ص ۹۶، و حياة الصحابة ج ۱ ص ۴۶۵ عن الإصابة، و المصنف ج ۳ ص ۵۵۹، و فى هامشه عن البخارى و ابن سعد و ابن أبى شيبة، و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۲۴۷، و فتح البارى ج ۷ ص ۷۹، و الفائق ج ۴ ص ۱۹، و ربيع الأبرار ج ۳ ص ۳۳۰، و راجع: تاريخ الخلفاء ص ۸۸، و راجع: لسان العرب ج ۸ ص ۳۶۳.

(۳) منحة المعبود ج ۱ ص ۱۵۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۶۸

و الحجاج على ولده «۱» و بكى صهيب على عمر «۲» و هم يحتجون بما يفعله هؤلاء.

و بكى عمر نفسه على النعمان بن مقرن، و على غيره «۳» و قد نهاه النبى (ص) عن التعرض للذين يبكون موتاهم «۴».

كما أن عائشة قد أنكرت عليه و على ولده عبد اللّه هذا الحديث الذى تمسك به، و نسبته إلى النسيان، و قالت:

«يرحم اللّه عمر، و اللّه، ما حدث رسول اللّه: إن اللّه ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه، لكن رسول اللّه (ص) قال: إن اللّه ليزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه. قالت: حسبكم القرآن: و لا تزر وازرة وزر أخرى» «۵».

---

(۱) راجع: طبقات ابن سعد ج ۳ ط صادر ص ۸۱، و فى الثانى ربيع الأبرار ج ۲ ص ۵۸۶.

(۲) طبقات ابن سعد ج ۳ ص ۳۶۲، و منحة المعبود ج ۱ ص ۱۵۹.

(۳) الغدير ج ۱ ص ۱۶۴ و ۵۴ و ۱۵۵، عن الإستيعاب ترجمة النعمان بن مقرن و الرياض النضرة المجلد الثانى جزء ۲ ص ۳۲۸ و ۳۲۹ حول بكاء عمر على إبن ذلك الأعرابى حتى بل لحيته.

(۴) راجع الغدير عن المصادر التالية: مسند أحمد ج ۱ ص ۲۳۷ و ۲۳۵ و ج ۲ ص ۳۳۳ و ۴۰۸، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۹۰ و ۳۸۱، و صححه هو و الذهبى فى تلخيصه، و مجمع الزوائد ج ۳ ص ۱۷، و الإستيعاب ترجمة عثمان بن مظعون، و مسند الطيالسى ص ۳۵۱، و سنن البيهقى ج ۴ ص ۷۰، و عمدة القارى ج ۴ ص ۸۷ عن النسائى، و ابن ماجة، و سنن ابن ماجة ج ۱ ص ۴۸۱، و كنز العمال ج ۱ ص ۱۱۷، و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۱۵۷، و طبقات ابن سعد ج ۳ ص ۳۹۹ و ۴۲۹، و منحة المعبود ج ۱ ص ۱۵۹.

(۵) راجع صحيح البخارى ج ۱ ص ۱۴۶ ط سنة ۱۰۳۹، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۳۸۱، و اختلاف الحديث للشافعى هامش الأم ج ۷ ص ۲۶۶، و جامع بيان العلم ج ۲ ص ۱۰۵، و منحة المعبود ج ۱ ص ۱۵۸، و طبقات ابن سعد ج ۳ ص ۳۴۶، و مختصر المزنى هامش الأم ج ۱ ص ۱۸۷، و الغدير ج ۶ ص ۱۶۳ عمن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۶۹

و فى نص آخر، إنها قالت: «إنما مرّ رسول اللّه (ص) على يهوديـة يبكى عليها أهلها، فقال: إنهم يبكون عليها و إنها لتعـذب فى قبرها» «۱».

و أنكر ذلك أيضا: ابن عباس، و أئمة أهل البيت «عليهم السلام»، و من أراد المزيد، فعليه بمراجعة المصادر «۲».

السياسة و ما أدراك ما السياسة:

و نشـير هنا إلى ما قاله الإمام شرف الدين رحمه اللّه تعالى قال: «و هنا نلفت أولى الألباب إلى البحث عن السبب فى تنحى الزهراء عن البلـد فى نياحتها على أبيها (ص)، و خروجها بولـديها فى لمة من نسائها إلى البقيع يندبن رسول اللّه، فى ظل أراكة كانت هناك، فلما قطعت بنى لها على بيتا فى البقيع كانت تأوى إليه للنياحـة، يـدعى: بيت الأحزان. و كان هـذا البيت يزار فى كل خلف من هـذه الأمـة» «۳».

و أقول: إن من القريب جـدا: أن يكون حـديث: «إن الميت ليعـذب ببكاء الحى» قـد حرّف عن حديث «البكاء على اليهودية المتقدم»؛ لدوافع سياسية لا تخفى؛ فإن السلطة كانت تهتم بمنع فاطمة «عليها السلام» من البكاء على أبيها.

فيظهر: أن هذا المنع قد استمر إلى حين استقر الأمر لصالح الهيئة

- تقدم، و عن صـحيح مسـلم ج ۱ ص ۳۴۲ و ۳۴۴ و ۳۴۳، و مسـند أحمد ج ۱ ص ۴۱، و سـنن النسائى ج ۴ ص ۱۷ و ۱۸، و سنن البيهقى ج ۴ ص ۷۳ و ۷۲، و سنن أبى داود ج ۲ ص ۵۹، و موطأ مالك ج ۱ ص ۹۶.

(۱) صحيح البخارى ج ۱ ص ۱۴۷.

(۲) راجع الغدير، و دلائل الصدق، و النص و الإجتهاد، و غير ذلك.

(۳) النص و الإجتهاد ص ۲۳۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۷۰

الحاكمـة، و لذلك لم يعتن عمر بغضب عائشة، و منعها إياه من دخول بيتها حين وفاة أبى بكر، فضـرب أم فروة أخت أبى بكر بدرته، و قـد فعل هـذا رغم أن البكاء و النوح كان على صديقه أبى بكر، و كان هجومه على بيت عائشة، و كان ضـربه لأخت أبى بكر. و هو الذى كان يهتم بعائشة و يحترمها و هى المعززة المكرمة عنده، و يقدر أبا بكر و من يلوذ به، و يحترم بيته بما لا مزيد عليه.

نعم لقـد فعـل كلّ هـذا لأن الناس لم ينسوا بعـد منع السـلطة لفاطمـة (ع) من النوح و البكاء على أبيها. و ناهيك بهـذا الإجراء جفاء و قسوة: أن يمنع الإنسان من البكاء على أبيه، فكيف إذا كان هذا الأب هو النبى الأكرم «صـلى اللّه عليه و آله و سلّم» أعظم، و أكمل، و أفضل إنسان على وجه الأرض.

ثم لمـا ارتفع المـانع، و مضت مـدة طويلـة، و سـنين عديـدة على وفـاة سـيدة النساء (ع)، و نسـى الناس أو كادوا، أو بالأحرى ما عادوا يهتمون بهـذا الأمر، إرتفع هذا المنع على يد عمر نفسه، و بكى على النعمان بن مقرن الذى توفى سـنة ۲۱ ه و على شيخ آخر، و سمح بالبكاء على خالد بن الوليد، الذى توفى سنة ۲۱ أو ۲۲ حسبما تقدم.

و هـذا غير مـا تقـدم قبـل صـفحات عن مصـادر كثيرة: من النهى عن خمش الوجوه، و شق الثيـاب، و اللطم، و النوح بالباطل. فإنه غير البكاء و هياج العواطف الإنسانية الطبيعية. و ذلك لأن الأول ينافى التواضع للّه عز و جل و التسليم لقضائه؛ أما الثانى فهو من مقتضيات الجبلة الإنسانية، و دليل اعتدال سجية الإنسان. و شتان ما بينهما.

التوراة، و المنع من البكاء على الميت:

و يبدو لنا أن المنع من البكاء على الميت مأخوذ من أهل الكتاب؛

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۷۱

فإن عمر كان يحاول هذا المنع فى زمن النبى (ص) بالذات؛ و لم يرتدع بردع النبى له إلا ظاهرا. فلما توفى (ص) و لم يبق ما يحذر منه، صار الموقف السياسى يتطلب الرجوع إلى ما عند أهل الكتاب، فكان منع الزهراء عن ذلك، كما قدمنا.

و قد جاء هذا موافقا للهوى و الدافع الدينى و السياسى على حد سواء.

و مما يدل على أن ذلك مأخوذ من أهل الكتاب: أنه قد جاء فى التوراة:

«يا ابن، ها أنذا آخذ عنك شهوة عينيك بضربة؛ فلا تنح و لا تبك، و لا تنزل دموعك، تنهّد ساكتا، لا تعمل مناحة على أموات» «۱».

د: حزن النبى (ص) على حمزة:

۱- إن من الثابت حسبما تقدم، أن النبى (ص) قد حزن على حمزة، و بكى عليه، و أحب أن يكون ثمة بواكى له، كما لغيره. و واضح: أن حزن الرسول هذا، و رغبته تلك ليسا إلا من أجل تعريف أصحابه، و الأمة أيضا بما كان لحمزة من خدمات جلّى لهذا الدين، و من قدم ثابتة له فيه، و بأثره الكبير فى إعلاء كلمة اللّه تعالى. و يدلنا على ذلك أنه (ص) قد وصفه- كما يروى- بأنه كان فعولا للخيرات، وصولا للرحم إلخ «۲».

و لأن حزنه (ص) عليه كان فى الحقيقة حزنا على ما أصاب الإسلام

---

(۱) حزقيال. الإصحاح ۲۴ الفقرة ۱۶- ۱۸.

(۲) راجع: المواهب اللدنية ج ۱ ص ۹۷، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۶، و السيرة النبوية لدحلان، بهامش الحلبية ج ۲ ص ۵۳، و الإصابة ج ۱ ص ۳۵۴، و أسد الغابة ج ۲ ص ۴۸، و الدر المنثور ج ۴ ص ۱۳۵، و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۲۸۸ ط دار الكتب العلمية، و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۱۹، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۹۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۷۲

بفقده، و هو المجاهد الفذ، الذى لم يكن يدخر وسعا فى الدفاع عن هذا الدين، و إعلاء كلمة اللّه.

و ما ذلك إلا لأن النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» لم يكن ليهتم بالبكاء على حمزة، و لا ليبكى هو (ص) عليه لمجرد دوافع عاطفية شخصية، أو لعلاقة رحمية و نسبية، و إنما هو (ص) يحب فى اللّه و فى اللّه فقط، تماما كما كان يبغض فى اللّه، و فى اللّه فقط. فهو (ص) يحزن على حمزة بمقدار ما كان حمزة مرتبطا باللّه تعالى، و خسارته خسارة للإسلام. و إلا فكما كان حمزة عمه، فقد كان أبو لهب عمه أيضا، و عداوة أبى لهب للرسول لا تدانيها عداوة، فقد كان أبو لهب من أشد الناس عداوة للنبى (ص)، و أعظمهم إيذاء له. و موقفه (ص) من أبى لهب معروف و مشهور.

و لكننا نجد فى المقابل موقفه (ص) من «سلمان» الذى كان (ص) يحب أن يقال له: «سلمان المحمدى» بدلا من: «الفارسى» «۱». و قد قال (ص) فى حقه: «سلمان منا أهل البيت» «۲». قال أبو فراس الحمدانى:

---

(۱) راجع: البحار ج ۲۲ ص ۳۲۷ و ۳۴۹، و سفينة البحار ج ۱ ص ۶۴۶، و قاموس الرجال ج ۴ ص ۴۱۵.

(۲) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۵۹۸، و تهذيب تاريخ دمشق ج ۶ ص ۲۰۰ و ۲۰۴، و ذكر أخبار أصفهان ج ۱ ص ۵۴، و الإختصاص ص ۳۴۱، و بصائر الدرجات ص ۱۷، و البحار ج ۲۲ ص ۳۲۶ و ۳۳۰ و ۳۳۱ و ۳۴۸ و ۳۴۹ و ۳۷۴، و سفينة البحار ج ۱ ص ۶۴۶ و

۶۴۷، و الطبقات لإبن سعد ج ۱ ص ۵۹، و أسد الغابة ج ۲ ص ۳۳۱، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۱۳، و السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ۲ ص ۱۰۲، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۸۲، و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۵۱، و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۶۸ ط دار المعارف، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۴۴۶، و السيرة النبوية لإبن هشام ج ۳ ص ۲۳۵، و قاموس الرجال ج ۴ ص ۴۱۵ و ۴۲۴، و نفس الرحمان ص ۳۴/ ۳۵ و ۲۹ و ۴۳ عن مجمع البيان، و الدرجات الرفيعة ص ۲۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۷۳ كانت مودة سلمان لهم رحماو لم يكن بين نوح و ابنه رحم ۲- كما أن نفس كونه (ص) شريكا فى المصيبة، من شأنه أن يخفف المصاب على الآخرين، الذين فقدوا أحباءهم فى أحد، و لا سيما إذا كان مصابه (ص) بمن هو مثل حمزة أسد اللّه و أسد رسوله. حمزة الذى لم يكن ليخفى على أحد موقعه فى المسلمين و نكايته فى المشركين، و لم يكن ما فعلته هند و أبو سفيان بجثته الشريفة، و أيضا موقف أبى سفيان من قبره الشريف فى خلافة عثمان؛ ثم ما فعله معاوية فى قبره و قبور الشهداء، بعد عشرات السنين من ذلك التاريخ- لم يكن كل ذلك- إلا دليلا قاطعا على ذلك الأثر البعيد، الذى تركه حمزة فى إذلال المشركين، و إعلاء كلمة الحق و الدين. حتى إن أبا سفيان و ولده معاوية لم يستطيعا أن ينسيا له ذلك الأثر، و بقى- حتى قبره- الذى كان يتحداهم بأنفة و شموخ، كالشجا المعترض فى حلقى الأب و الإبن على حد سواء.

لقد استطاع حمزة أن يحقق أهدافه حتى و هو يستشهد، لأن شهادته جزء من هدفه كما قلنا. أما أعداء الإسلام فقد باؤا بالفشل الذريع، و الخيبة القاتلة، و انتهى بهم الأمر إلى أن يكونوا طلقاء هذه الأمة، و زعماء منافقيها، المشهور نفاقهم، و المعروف كفرهم.

ه: موقف أبى سفيان من قبر حمزة:

و إن موقف أبى سفيان من قبر حمزة، ليعتبر دليلا- واضحا على كفره، و أنه لا- يزال يعتبر حربه مع النبى (ص) حربا على الملك و السلطان، و المكاسب الدنيوية.

و قد دخل أبو سفيان على عثمان، فقال له: قد صارت إليك بعد تيم وعدى، فأدرها كالكرة، و اجعل أوتادها بنى أمية، فإنما هو الملك، و لا أدرى ما جنة و لا نار «۱».

---

(۱) الإستيعاب هامش الإصابة ج ۴ ص ۸۷، و الكنى و الألقاب ج ۱ ص ۸۶، الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۶

۲۷۴ ه: موقف أبى سفيان من قبر حمزة: ..... ص : ۲۷۳

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۷۴

و كان أبو سفيان كهفا للمنافقين، و كان يوم اليرموك يفرح إذا انتصر الكفار على المسلمين، و يحزن حين يرى كرّة المسلمين عليهم «۱».

و كفريات أبى سفيان معروفة و مشهورة، و لا مجال لإستقصائها، فمن أرادها فليراجع مظانها «۲».

و: مواساة الأنصار للنبى (ص):

و إن مواساة الأنصار للنبى (ص) حتى فى البكاء على حمزة، لهى فى الحقيقة من أروع المواساة للنبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» فهم يواسونه بأموالهم و أنفسهم، و حتى فى عواطفهم الصادقة، و مشاعرهم النبيلة.

و قد استمروا على صدقهم، و وفائهم، و إخلاصهم له و لرسالته، و لوصيه على «عليه السلام»، و أهل بيته «عليهم السلام» إلى آخر

لحظة، و لذلك نكبهم الأمويون، و الحكام بعد النبى (ص)، و أذلوهم، و حرموهم، كما تقدمت الإشارة إليه.

ز: صبر صفية:

و إن صبر صفية، و اعتبارها: أن ما جرى لحمزة قليل فى ذات اللّه تعالى، إنما هو نتيجة للوعى الرسالى الرائد للإسلام، الذى لا يمكن اعتباره محدودا و مقوقعا ضمن طقوس و حركات، أو جذبات صوفية

- و قاموس الرجال ج ۱۰ ترجمة أبى سفيان و ج ۵ ص ۱۱۶/ ۱۱۷، و الغدير ج ۸ ص ۲۷۸ عن الإستيعاب، و تاريخ الأمم و الملوك ط دار المعارف ج ۱۰ ص ۵۸، و مروج الذهب ج ۲ ص ۳۴۳.

(۱) النزاع و التخاصم للمقريزى ص ۱۸.

(۲) راجع: الغدير، و لا سيما ج ۸ ص ۲۷۸/ ۲۷۹ و ج ۱۰ ص ۷۹- ۸۴ لمعرفة رأى على فى معاوية، و فى أبيه، و قاموس الرجال ترجمة أبى سفيان، و الإستيعاب و غير ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۷۵

و نحوها. فالإسلام حياة. و لا يطلب فيه الموت و الشهادة إلا من أجل هذه الحياة.

و الإسلام هو السلام حتى فى حال الحرب، و هو الحياة فيما يراه الناس الموت، و الراحة فى ما يراه الناس التعب، و السعادة فى ما يراه الناس الشقاء و الآلام. إنه سلام شامل و كامل؛ فإذا بلغ الإنسان هذا السلام الشامل، فهو المسلم الحق. و هكذا كانت صفية رضوان اللّه تعالى عليها، حتى أصبح ما جرى لأخيها قليلا فى ذات اللّه، و صار سلاما لها و عليها.

التعصيب:

و لما قتل حمزة رضوان اللّه عليه، بعث النبى (ص) عليا (ع) فأتاه ببنت حمزة؛ فسوغها (ص) الميراث كله «۱».

و هذا يدل على أنه لا ميراث للعصبة على تقدير زيادة الفريضة عن السهام إلا مع عدم القريب، فيرد باقى المال على البنت، و البنات، و الأخت و الأخوات، و على الأم، و على كلالة الأم، مع عدم وارث فى درجتهم، و على هذا إجماع أهل البيت (ع)، و اخبارهم به متواترة.

و يدل على ذلك أيضا قوله تعالى: وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ فعن الإمام الباقر (ع) فى هذه الآية: «إن بعضهم أولى بالميراث من بعض؛ لأن أقربهم إليه رحما أولى به. ثم قال أبو جعفر (ع): أيهم أولى بالميت، و أقربهم إليه؟ أمه، أو أخوه؟ أليس الأم أقرب إلى الميت من إخوته و أخواته؟!» «۲».

و للتوسع فى هذا البحث مجال آخر.

---

(۱) التهذيب ج ۶ ص ۳۱۱، و الوسائل ج ۱۷ ص ۴۳۲.

(۲) الوسائل ج ۱۷ ص ۴۳۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۷۶

الاختصام فى ابنة حمزة:

و يقولون: إن عليا و جعفرا ابنى أبى طالب، و زيد بن حارثة، إختصموا فى ابنة حمزة، فقال (ص) لكل واحد منهما ما أرضاه «۱».

و نحن نشك فى الحديث من أصله، لأن جعفرا كان فى واقعة أحد فى الحبشة، و قد جاء إلى المدينة فى سنة ست من الهجرة.

و دعوى أن الإختصام قد حصل بعد رجوعه تطرح أمامنا سؤالا عن السبب فى سكوت زيد بن حارثة عن المطالبة ببنت حمزة كل هذه المدة.

الصلاة على الشهداء و تغسيلهم، و دفنهم:

لقد روى بعضهم: أن النبى (ص) لم يصلّ على شهداء «أحد».

و به أخذ الأئمة الشافعية.

و لكن ذلك غير صحيح؛ فقد صرحت الروايات الكثيرة: بأنه (ص) قد صلّى عليهم. و روى ذلك عن بعض أئمة الحديث، و به أخذ الأئمة الحنفية «۲».

و الصحيح: أنه (ص) قد صلّى عليهم، و لم يغسلهم، و هو الثابت عن أئمة أهل البيت «عليه السلام»، الذين هم سفينة نوح، و باب حطة.

و لذا فلا يعبؤ بما رواه غيرهم؛ و لذا فنحن لا نطيل الكلام فى ذلك. و لا سيما بعد أن قال «مغلطاى»: «.. و صلى على حمزة و الشهداء من غير غسل. و هذا إجماع، إلا ما شذ به بعض التابعين. إلى أن قال: قال السهيلى: و لم يرو عنه (ص): أنه صلى على شهيد فى شىء من مغازيه

---

(۱) التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۱۴۹ و غير ذلك.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۲، و ليراجع أيضا: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۸/ ۲۴۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۷۷

إلا فى هذه. و فيه «نظر»؛ لما ذكره النسائى، من أنه صلّى على أعرابى فى غزوة أخرى» «۱».

و عن عدد التكبير عليهم، و على غيرهم، فقد تقدم فى أول هذا الفصل: أن النبى (ص) قد كبر على حمزة سبعا أوسبعين- كما هو الأصح-.

و أما ما يقال من أن عدد التكبيرات على الميت أربع، فقد أثبتنا بما لا يقبل الشك أنه لا يصح، و أن التكبير على الميت «خمس» لا أربع «۲».

و بالنسبة للغسل، فقد قال الديار بكرى و غيره: «أجمع العلماء على أن شهداء أحد لم يغسلوا» «۳».

و تقدم أن حنظلة خرج و هو جنب، فأخبر (ص) أن الملائكة تغسله.

و يقال أيضا: إن حمزة قد قتل جنبا؛ فرأى النبى (ص) الملائكة تغسله «۴».

و لكن هذا ينافى ما جاء فى بعض النصوص من أنه قتل يوم أحد صائما. و اللّه هو العالم.

و مهما يكن من أمر؛ فإن الشهداء لم يغسلوا، و إخباره (ص) بتغسيل الملائكة لمن مات جنبا، بالإضافة إلى أنه إخبار عن واقع؛ فإنه أيضا ليس لأجل موته بل هو لأجل جنابته؛ لرفع الحزازة التى ربما تحدث فى نفس

---

(۱) سيرة مغلطاى ص ۵۰/ ۵۱.

(۲) راجع كتابنا: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۲، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۸، و تقدم ذلك عن مغلطاى أيضا.

(۴) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۸، و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۰۹، و شرح النهج ج ۱۵ ص ۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۷۸

أهله، الذين يعرفون بأنه لم يغتسل من جنابته.

و أما بالنسبة للتكفين؛ فإن الشهيد يدفن فى ثيابه، و لكن النبى (ص) قد كفن حمزة و حنّطه؛ لأنه كان قد جرّد، كما روى «۱».

و أما عن دفنهم؛ فيقال: إنه قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة، فدفنوهم بها، ثم نهى (ص) عن ذلك. و قال (ص): «ادفنوهم حيث صرعوا» «۲».

و يقال: إنه (ص) قال: ادفنوا الإثنين و الثلاثة فى قبر واحد، و قدموا أكثرهم قرآنا «۳».

لماذا تقديم الأقرأ؟

و تقديم أكثرهم قرآنا حتى فى هذا المقام، له دلالة هامة هنا، فإن أكثرهم قرآنا يفترض به أن يكون هو الأكثر و عيا و بصيرة فى أمره، و من ثم يكون إخلاصه للقضية التى يقاتل من أجلها أشد، و ارتباطه بها أعمق.

و كلما كان العمل أكثر إخلاصا للّه، كلما كانت قيمته أعلى، و ثمنه أغلى؛ لأنه يستمد قيمته هذه من مدى إتحاده بذلك الهدف، و فنائه فيه.

بل نجد أنه (ص) يتجاوز ذلك، إلى أنه (ص) أراد أن يبعث بعثا و هم ذوو عدد، فاستقرأهم؛ ليعرف ما معهم من القرآن؛ فوجد:: أن

---

(۱) راجع: الدر المنثور للعاملى ج ۱ ص ۱۳۵ عن من لا يحضره الفقيه.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۲ عن الإكتفاء، و ابن إسحاق، و أحمد، و الترمذى، و أبى داود، و النسائى، و الدارمى، و الكامل لإبن الأثير ج ۲ ص ۱۶۲/ ۱۶۳، و فى شرح النهج ج ۴ ص ۲۶۲ رواية ناقشها المعتزلى بما لا مجال له.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۲ عن أحمد، و الترمذى، و أبى داود، و النسائى، و شرح النهج ج ۱۵ ص ۳۸، و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۱۰، و الثقات ج ۱ ص ۳۳، و مجمع الزوائد ج ۶، و المصنف ج ۳ ص ۵۴۱ و ج ۵ ص ۲۷۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۷۹

أحدثهم سنا أكثرهم قرآنا، فأمّره عليهم «۱».

فهو (ص) يعطى بذلك نظرة الإسلام الصحيحة للعلم و المعرفة الذى يترك أثره الإيجابى حتى بالنسبة لما بعد الموت، و حتى بالنسبة لهؤلاء المتساوين من حيث بذل أغلى ما لديهم فى سبيله، و إن لم يكونوا متساوين فى درجات معرفتهم، و ثقافتهم، و وعيهم.

و لقد رأينا أنه (ص) يقول- كما يروى لنا أبو سلمة-: إذا كان ثلاثة فى سفر فليؤمهم أقرؤهم،، و إن كان أصغرهم؛ فإذا أمهم فهو أميرهم «۲».

و فى هذا دلالة واضحة على أن الملاك فى التقديم هو المعرفة الخالصة، التى تؤهل الإنسان لأن يكون أكثر خشية للّه: إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ. و ليس هو الجمال، أو الجاه، أو المال، أو النسب، أو غير ذلك؛ فإن ذلك قد رفضه الإسلام و القرآن رفضا قاطعا و نهائيا.

أنا شهيد على هؤلاء:

و كان طلحة بن عبيد اللّه، و ابن عباس، و جابر بن عبد اللّه، يقولون:

صلى رسول اللّه (ص) على قتلى أحد، و قال: «أنا شهيد على هؤلاء.

فقال أبو بكر: ألسنا إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا، و جاهدنا كما جاهدوا؟

قال: بلى، و لكن هؤلاء لم يأكلوا من أجورهم شيئا، و لا أدرى ما تحدثون بعدى.

---

(۱) حياة الصحابة ج ۲ ص ۵۴، و الترغيب و الترهيب ج ۲ ص ۳۵۲، و راجع:

المصنف ج ۵ ص ۱۶۵ ففيه ما يشير إلى ذلك.

(۲) المصنف للحافظ عبد الرزاق ج ۵ ص ۱۶۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۸۰

فبكى أبو بكر، و قال: إنا لكائنون بعدك؟» «۱».

و هذا يدل على أن الرسول (ص) لم يكن مطمئنا لما ينتهى إليه أمر أصحابه بعده. و لم يكن يعتقد أن مجرد صحبتهم له تدخلهم الجنان، و تجعلهم معصومين، أو أنها تكون أمانا لهم من كل حساب و عقاب، عملوا ما عملوا، و فعلوا ما فعلوا؛ فإن ذلك خلاف ما قرره القرآن الذى يقول: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ «۲» و قد بحثنا موضوع عدالة الصحابة فى موضع آخر «۳».

و ما ذكرناه هناك ما هو إلا رشحة من نهر، و قطرة من بحر. و إلا، فإن الأدلة على ما نقول من أن كل صحابى محاسب على ما عمل، و أن فيهم المؤمن، و المنافق، و العادل، و الفاسق كثيرة جدا، لا مجال لحصرها.

عدد شهداء أحد:

و أما عن عدد الشهداء فى أحد، فقد كانوا سبعين، من المهاجرين أربعة، و الباقون من الأنصار «۴».

و قيل: أربعة و ستون من الأنصار، و ستة من المهاجرين، و جرح سبعون. و هذا ما وعدهم به النبى (ص) فى بدر حسبما تقدم.

و أما ما يقال: من أن عدتهم خمس و ستون، فيهم أربعة من المهاجرين، أو أنهم ستة و تسعون. أو أنهم ثمانون: أربعة و سبعون من

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۳۸، و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۱۰، و المصنف ج ۳ ص ۵۴۱، و ليراجع ص ۵۷۵ و ج ۵ ص ۲۷۳.

(۲) الزلزلة: ۷ و ۸

(۳) راجع الجزء الثانى من كتابنا: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام.

(۴) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۰۰، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۵۵، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۸۱

الأنصار، و ستة من المهاجرين «۱».

فليس بمسموع بعد أن أخبرهم النبى (ص)- كما هو المشهور- بأنه سيقتل من المسلمين بعدّة أسرى بدر إن قبلوا بالفداء.

و عدة أسرى بدر كانت سبعين كما يقولون «۲».

أما ما عن أنس، من أنه قتل من الأنصار فى أحد سبعون، و فى بئر معونة سبعون، و يوم اليمامة على عهد أبى بكر سبعون، رواه البخارى «۳».

فلا يمكن المساعدة عليه؛ لأن قتلى أحد كانوا سبعين من الأنصار و المهاجرين معا، لا من الأنصار وحدهم. و لأنه سيأتى فى سرية بئر معونة الإختلاف الشديد فى عدد أفرادها، و هى تتراوح ما بين العشرة إلى السبعين رجلا «۴».

أكثر القتلى من الأنصار:

و يلاحظ هنا: أن أكثر القتلى كانوا من الأنصار، و قد جاء ذلك بصورة لا تتناسب مع عدد المشاركين منهم فى الحرب إذا قورن بمن قتل من المهاجرين، إذا أضيف إلى عدد المشاركين منهم أيضا. و قد أشرنا فيما تقدم إلى أن قريشا ظلت تحقد على الأنصار، و على أهل البيت (ع) عشرات السنين و الأعوام. و كان يهمها: أن تجزرهم جزرا، و لا يبقى منهم

---

(۱) راجع هذه الأقوال فى سيرة مغلطاى ص ۴۹/ ۵۰، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۶، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۵۵، و غير ذلك كثير و ليراجع شرح النهج ج ۱۵ ص ۵۱/ ۵۲.

(۲) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۱۴۴.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۱۴۶ عن المشكاة.

(۴) راجع: الجزء الخامس من هذا الكتاب ص ۲۵۷ و ۲۵۸.

نافخ نار.

و لربما نفهم: أن الأنصار كانوا أكثر إندفاعا إلى الحرب، و أشد تصديا لمخاطرها، لأنهم يدافعون عن وطنهم، و عن عقيدتهم معا. و قد كان الإسلام فيهم أعرق و أعمق من كثير من المهاجرين، فلا يقاس بهم مسلموا الفتح، فإنهم إنما أسلموا خوفا أو طمعا؛ و لذا فقد كثر فيهم المنافقون و المناوؤون لأهل البيت «عليهم السلام». و لعل كثيرا من المهاجرين كانوا مطمئنين إلى قبول قومهم لهم، كما يظهر مما تقدم.

كما أن بعض المشاركين فى الحرب من هؤلاء و أولئك، لم يكن لديه دوافع عقيدية أيضا، كما هو الحال بالنسبة لمن يقاتلون من أجل السلب، و الغنائم، و غير ذلك.

زيارة القبور:

و يذكرون: أن المسلمين كانوا يتبركون بقبر حمزة، و يستشفون بتربته، و قد صنعوا السبحة منها «۱».

و يذكر الواقدى هنا: أن النبى (ص) كان يزور قبور شهداء أحد فى كل حول، فإذا لقوه رفع صوته يقول: السلام عليكم بما صبرتم؛ فنعم عقبى الدار. و كان أبو بكر يفعل مثل ذلك، و كذلك عمر، ثم عثمان، ثم معاوية.

(و نقول:

كيف يذكر معاوية هنا، و هو الذى نبش قبور الشهداء من أجل العين التى أجراها؟!).

و كانت فاطمة تأتيهم بين اليومين و الثلاثة؛ فتبكى عندهم، و تدعو.

---

(۱) راجع: وفاء الوفاء ج ۱ ص ۶۹ و ۱۱۶.

و كان (ص) يأمر بزيارتهم، و التسليم عليهم. و كذا كان يزورهم سعد بن أبى وقاص، و أبو سعيد الخدرى كان يزور قبر حمزة، و أم سلمة أيضا كانت تزورهم كل شهر؛ و قد أنّبت غلامها، لأنه لم يسلم عليهم.

و كذا أبو هريرة، و ابن عمر، و فاطمة الخزاعية «۱».

و عن السجاد (ع): أن فاطمة (ع) كانت تزور قبر عمها حمزة فى الأيام تصلى و تبكى عنده «۲».

و قد أمر النبى (ص) أيضا بزيارة القبور. و شواهد هذا البحث كثيرة جدا لا تكاد تحصر، و قد ألّفت الكتب، و نظّمت البحوث فى هذا الموضوع «۳». فليراجعها من أراد التوسع؛ فلا يصغى لمنع بعض الفرق من زيارة القبور، فإن ذلك لا يستند إلى أى دليل معقول أو مقبول.

عدد قتلى المشركين:

و يقال: إنه قد قتل من المشركين فى معركة أحد ثمانية عشر رجلا «۴». و قيل: إثنان، أو ثلاثة و عشرون «۵». و قيل: ثمانية و عشرون «۶».

---

(۱) راجع: مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۱۳/ ۳۱۴، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۴۰.

(۲) المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۲۸.

(۳) راجع: شفاء السقام للسبكى، و الغدير ج ۵ من ص ۱۶۶ حتى ص ۲۰۸، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۲۸، و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۳ فما بعدها و ۹۳۱- ۹۳۳، و تأويل مختلف الحديث ص ۱۹۷، و غير ذلك.

(۴) مجمع البيان ج ۲ ص ۵۰۰، و البحار ج ۲۰ ص ۲۲ عنه.

(۵) سيرة مغلطاى ص ۵۰، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۷، و السيرة الحلبية، و غير ذلك.

(۶) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۸۴

و قيل: أكثر من ذلك. لأن حمزة قد قتل وحده منهم واحدا و ثلاثين رجلا كما يقولون «۱».

أكثر القتلى من على (ع):

۱- و يروى البعض: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد قتل فى أحد إثنى عشر رجلا «۲».

۲- و نعتقد أنه (ع) قد قتل أكثر من ذلك، لأنه قد قتل أصحاب اللواء بلا شك كما تقدم بيانه، و هم تسعة أو أحد عشر، كما أن المعتزلى يذكر: أن كتائب المشركين صارت تحمل على النبى (ص). و قد قتل من كتيبة بنى كنانة أبناء سفيان بن عويف الأربعة. و تمام العشرة منها، ممن لا يعرف بأسمائهم. و قال: إن ذلك قد رواه جماعة من المحدثين، و يوجد فى بعض نسخ ابن إسحاق، و أنه خبر صحيح فراجع كلامه «۳».

۳- قال القوشجى: «و كان أكثر المقتولين منه» «۴» أى من أمير المؤمنين «عليه السلام».

۴- و قال الشيخ المفيد رحمه اللّه تعالى: «و قد ذكر أهل السير قتلى أحد من المشركين، و كان جمهورهم قتلى أمير المؤمنين (ع)». ثم ذكر أسماء إثنى عشر من الأبطال المعروفين ممن قتلهم «عليه السلام» «۵».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۶ و ۲۵۵، و الإصابة ج ۱ ص ۳۵۴.

(۲) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۵۴.

(۳) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۵۰/ ۲۵۱ و فى ج ۱۵ ص ۵۴: أن فى بعض كتب المدائنى أن عليا قتل بنى سفيان بن عوف، و روى له شعرا فى ذلك، فراجع.

(۴) شرح التجريد للقوشجى ص ۴۸۶.

(۵) الإرشاد ص ۵۴، و البحار ج ۲۰ ص ۸۸/ ۸۹ عنه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۸۵

۵- و لسوف يأتى: أن قريشا قد عجلت بالمسير عن حمراء الأسد، حينما علمت أن عليا قادم عليها.

۶- و يقول الحجاج بن علاط فى وصف قتله «عليه السلام» لكبش الكتيبة، طلحة ابن أبى طلحة، و حملاته (ع) فى أحد:

للّه أى مذبب عن حزبهأعنى ابن فاطمة المعم المخولا

جادت يداك له بعاجل طعنةتركت طليحة للجبين مجدلا

و شددت شدة باسل فكسفتهم‌بالسفح إذ يهوون أسفل أسفلا

و عللت سيفك بالدماء و لم تكن‌لتردّه حّران حتى ينهلا «۱» و مما يدل على مدى ما فعله أمير المؤمنين (ع) بقريش فى أحد: أن النص التأريخى يؤكد على أن قريشا كانت- بعد ذلك- و إلى عشرات السنين تحقد على على (ع)، و على أهل بيته لذلك. و قد ذكر النبى (ص) هذه الأحقاد لعلى «عليه السلام» «۲» ثم ظهرت آثارها فى المجازر التى ارتكبها الأمويون فى كربلاء و غيرها. و قد صرحت الزهراء (ع) بأن ما جرى عليهم بعد وفاة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، قد كان بسبب الأحقاد البدرية و الترات الأحدية «۳».

أويس القرنى فى أحد:

و يقولون: إن أويس القرنى قد حضر أحدا، و جرى عليه كل ما

---

(۱) الإرشاد للمفيد ص ۵۴، و البحار ج ۲۰ ص ۹۰ عنه، و هامش ص ۵۰ عن الإمتاع.

(۲) راجع: البحار ج ۲۶ ص ۵۴ و ۵۵، و راجع الطبعة الحجرية من البحار ج ۸ ص ۱۵۱.

(۳) راجع: المناقب لإبن شهر آشوب ج ۲ ص ۲۰۳ و فى ط آخرى ج ۱ ص ۳۸۱، و البحار ج ۴۳ ص ۱۵۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۸۶

جرى على النبى (ص) من كسر رباعيته، و شج وجهه، و وطىء ظهره!! و يدل على أنه قد وطىء ظهر النبى (ص) من قبل المشركين قول عمر:

فلقد وطىء ظهرك، و أدمى وجهك «۱».

و المراد بالوطء: الدوس بالأقدام.

و نحن لا نصدق ذلك أصلا، لأنهم يقولون: إن أويسا لم ير النبى (ص) أصلا، لأنه- كما يقولون- كان مشغولا بخدمة أمه «۲».

و روى عن النبى (ص) قوله: خير التابعين رجل يقال له: أويس بن عامر «۳».

و فى مسند أحمد: نادى فى صفين رجل شامى: أفيكم أويس القرنى؟

قالوا: نعم. قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول: من خير التابعين أويس القرنى «۴».

فوصفه بالتابعى يشير إلى أنه لم يكن من الصحابة.

بل لقد كان الإمام مالك ينكر وجود أويس القرنى من الأساس «۵».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۵۵/ ۲۵۶، و الطبقات الكبرى للشعرانى ج ۱ ص ۲۷.

(۲) الطبقات الكبرى للشعرانى ج ۱ ص ۲۷، و الإصابة ج ۱ ص ۱۱۵، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۵۶، و راجع القصة فى الزهد و الرقائق قسم ما رواه نعيم بن حماد ص ۶۰.

(۳) الإصابة ج ۱ ص ۱۱۵ عن مسلم، و لسان الميزان ج ۱ ص ۴۷۲ و ۴۷۴ و ۴۷۵، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۵۶ بعدة ألفاظ، و مختصر تاريخ دمشق ج ۳ ص ۱۶۲ و ۱۶۳، و راجع: تيسير الوصول ج ۲ ص ۱۶۷.

(۴) الإصابه ج ۱ ص ۱۱۶، و لسان الميزان ج ۱ ص ۴۷۵ و راجع ص ۴۷۴، و تهذيب تاريخ دمشق ج ۳ ص ۱۷۵، و راجع ص ۱۶۲.

(۵) الإصابة ج ۱ ص ۱۱۵، و راجع تهذيب تاريخ دمشق ج ۳ ص ۱۶۲، و راجع

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۸۷

و لكنه كلام لا يصح: فقد تواتر أنه شخصية حقيقية، و قد ذكر العلماء و المصنفون أخباره و فضائله فى كتبهم و منقولاتهم.

و لعل سبب إنكار وجوده و دعوى: أنه توفى فى خلافة عمر «۱» هو حضوره مع على (ع) فى صفين، و استشهاده معه «۲».

و لعل أكذوبة: أن المشركين قد وطأوا ظهر النبى (ص) قد جاءت بهدف الحط من كرامته (ص)، أو إظهار خطورة الموقف، ليخف النقد الموجه للفارين عنه (ص).

مع أن ذلك آكد فى ذمهم، و أشد فى قبح ما صدر منهم.

صفية، و اليهودى:

و يذكر البعض فى غزوة أحد «۳» قضية قتل صفية لليهودى، و عدم جرأة حسان على قتله،، و لا على سلبه.

و لكن الظاهر هو أن ذلك كان فى غزوة الخندق، و لذا فنحن نرجىء الحديث عنه إلى هناك.

بعض الحكم فى معركة أحد:

قال السمهودى: «قال العلماء: و كان فى قصة أحد من الحكم و الفوائد أشياء عظيمة:

منها: تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية، و شؤم ارتكاب

- ص ۱۶۵ و ۱۶۶ و ۱۷۲، و لسان الميزان ج ۱ ص ۴۷۵.

(۱) راجع تهذيب تاريخ دمشق ج ۳ ص ۱۶۲ عن ابن سعد، و راجع ص ۱۷۳ و ۱۷۴.

(۲) راجع تهذيب تاريخ دمشق ج ۳ ص ۱۷۱، و لسان الميزان ج ۱ ص ۴۷۴ و ۴۷۵.

(۳) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۲۸۸، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۱۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۸۸

النهى، لما وقع من الرماة.

و منها: أن عادة الرسل أن تبتلى، و تكون لها العاقبة.

و منها: إظهار أهل النفاق، حتى عرف المسلمون: أن لهم عدوا بين أظهرهم.

و منها: تأخير النصر هضما للنفس، و كسرا لشماختها «۱»».

ثم ذكر كلاما يشتم منه رائحة الجبر، و هو ما لا نوافقه عليه، و لذلك أهملناه.

من مشاهد العودة إلى المدينة:

۱- و عاد النبى (ص) و المسلمون إلى المدينة، و استقبلته أم سعد بن معاذ تعدو، فجاءت حتى نظرت فى وجهه، و قالت: بأبى أنت و أمى يا رسول اللّه، هانت علىّ كل مصيبة إن سلمت.

فعزّاها رسول اللّه (ص) بولدها عمرو.

و فى رواية: إنه لما بشرها النبى (ص) بما للقتلى فى الجنة، قالت: رضينا يا رسول اللّه، و من يبكى عليهم بعد هذا؟! «۲».

۲- مرّ رسول اللّه (ص) بامرأة من الأنصار، و قد أصيب زوجها، و أخوها، و أبوها مع الرسول (ص) فى أحد؛ فلما نعوهم إليها قالت: ما فعل رسول اللّه؟

قالوا: خيرا يا أم فلان، هو بحمد اللّه كما تحبين.

قالت: أرونيه حتى أنظر إليه.

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۵، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۵.

(۲) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۵۴، و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۱۵/ ۳۱۶، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۸۹

فأشير لها إليه، فلما رأته، قالت: كل مصيبة بعدك جلل. يعنى هينة.

و فى رواية: أنها استقبلوها بجنائز: إبنها، و أخيها،، و أبيها، و زوجها، أو دلّت على مصارعهم؛ فلم تكترث. و سألت عن الرسول (ص) فدلّت عليه؛ فذهبت حتى أخذت بناحية ثوبه. ثم جعلت تقول:

بأبى أنت و أمى يا رسول اللّه، لا أبالى إذا سلمت من عطب «۱».

و نقول: إن هؤلاء السوة قد بلغن من المعرفة و الوعى حدّا صرن معه يعتبرن وجود النبى (ص) كل شىء بالنسبة إليهن. و كل مصيبة بعد النبى (ص) هينة، و لا يبالين إن سلم من عطب.

فالرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» هو مصدر الطمأنينة، و عنوان الحياة، و الوجود لهن. و بدونه لا طعم للحياة، و لا معنى للبقاء.

و قد بلغ من يقينهن بما يخبر به الرسول (ص): أنهن صرن كأنهن يرينه رأى العين، حتى لتقول أم سعد بن معاذ حينما أخبرها بما للشهيد فى الجنة: و من يبكى عليهم بعد هذا؟!.

و لا يمكن أن نرجع ذلك كله لشخصية النبى (ص)، و قوة تأثيرها، و إنما يرجع ذلك- و لا شك- إلى فطرية تعاليم الإسلام و مبادئه، و إنسيابها مع المشاعر و العواطف، حتى لتمتزج بوجود الإنسان، و فى كل كيانه، و تسرى فيه كما يسرى الدم فى العروق.

على يناول فاطمة سيفه:

و يقولون: إنه (ص) قد ناول فاطمة سيفه، و قال: اغسلى عن هذا

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۳ و ۲۵۱/ ۲۵۲ و ۲۵۴، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۴، و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۲۱۰، و الكامل لإبن الأثير ج ۲ ص ۱۶۳، و البحار ج ۲۰ ص ۹۸، و إعلام الورى ص ۸۵، و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۱۵، و حياة الصحابة ج ۲ ص ۳۵۶ عنه، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۴۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۹۰

دمه يا بنيۀ، فو اللّه، لقد صدقنى اليوم. فجاء على فناولها سيفه، و قال مثل ذلك.

فقال (ص): لئن كنت صدقت القتال، لقد صدق معك سهل بن حنيف، و أبو دجانۀ «۱».

و لكن ذلك غير صحيح، و ذلك:

۱- لأن الذى قتل معظم المشركين، و قتل أصحاب الألويۀ، و ثبت فى أحد، و نادى جبرئيل بإسمه، و قتل أبناء سفيان بن عويف الأربعۀ إلى تمام العشرۀ، هو على «عليه السلام» و ليس أبا دجانۀ، و لا سهل بن حنيف، و لا غيرهما.

۲- ثم إن هذه الروايۀ متناقضۀ النصوص؛ فعن ابن عقبۀ لما رأى رسول اللّه (ص) سيف على (ع) مخضبا دما قال: إن تكن أحسنت القتال، فقد أحسنه عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح، و الحرث بن الصمۀ، و سهل بن حنيف «۲». فإى الروايتين هو الصحيح.

۳- لقد ردّ ابن تيمية قولهم بأنه (ص) قد أعطى فاطمۀ سيفه، بأنه (ص) لم يقاتل فى أحد بسيف «۳».

و الصحيح فى القضية هو ما ذكره المفيد رحمه اللّه: من أنه بعد أن

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۴ عن ابن إسحاق، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۵۵، و راجع: الثقات لإبن حبان ج ۱ ص ۲۳۵، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۳ عن الطبرانى، و رجاله رجال الصحيح، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۲۴، و تلخيصه للذهبى بهامشه، و صححاه على شرط البخارى، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۳۵.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۵۵.

(۳) نفس المصدر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۹۱

ناول على فاطمۀ سيفه و قال لها: خذى هذا السيف؛ فلقد صدقنى اليوم، و أنشد:

أفاطم هاك السيف غير ذميمفلست برعديد، و لا بلئيم

لعمرى لقد أعذرت فى نصر أحمدو طاعۀ رب بالعباد عليم

أميطى دماء القوم عنه فإنهسقى آل عبد الدار كأس حميم قال (ص): «خذيه يا فاطمۀ؛ فقد أدّى بعلك ما عليه، و قد قتل اللّه بسيفه صناديد قريش» «۱».

فهذه الروايۀ هى الأنسب و الأوفق بمساق الأحداث، و بأخلاق و سجايا النبى الأكرم (ص).

شماتۀ المنافقين و سرورهم بنتائج أحد:

اشارۀ

و لما عاد النبى (ص) إلى المدينۀ، و بكى المسلمون قتلاهم، سر بذلك المنافقون، و اليهود، و أظهروا الشماتۀ، و صاروا يظهرون أقبح

القول. و منه قولهم: ما محمد، إلا طالب ملك، و ما أصيب بمثل هذا نبى قط، أصيب فى بدنه، و أصيب فى أصحابه.

و عرف المسلمون عدوهم الذى فى دارهم، و تحرزوا منه. و قالوا أيضا: لو كان من قتل عندنا ما قتل. و جعلوا يخذّلون عن رسول اللّه (ص)، و أصحابه، و يأمرونهم بالتفرق عنه.

و استأذنه عمر فى قتل هؤلاء القائلين من المنافقين و اليهود؛ فقال (ص): أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا اللّه، و أنى رسول اللّه؟ قال عمر: بلى، و لكن تعوّذوا من السيف، و قد بان أمرهم، و أبدى اللّه تعالى أضغانهم.

---

(۱) الإرشاد للشيخ المفيد ص ۵۴، و البحار ج ۲۰ ص ۸۸ عنه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۹۲

فقال (ص): نهيت عن قتل من أظهر ذلك. و أما اليهود؛ فلهم ذمة فلا أقتلهم «۱».

و نحن نشير هنا إلى ما يلى:

ألف: التمحيص:

إن المحن التى أصابت المسلمين فى حرب أحد قد ميزت الخبيث من الطيب منهم، و امتاز أدعياء الإيمان و المنافقون عن المؤمنين. كما و عرفت درجات المؤمنين أنفسهم، و مدى ثبات قدم كل منهم فى الإيمان.

قال تعالى فى مناسبة غزوة أحد:

إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ؛ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ، وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ، وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا، وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ، وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ «۲».

و فى ذلك أيضا تعريف للمؤمنين أنفسهم بقدراتهم الإيمانية، و ملكاتهم النفسية تلك.

فلا بد إذن، أن يسعى المقصرون لجبر ما فيهم من نقص، و تكميل يقينهم، و زيادة وعيهم الرسالى؛ قال تعالى فى آيات نزلت بمناسبة أحد:

وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا، وَ يَمْحَقَ الْكافِرِينَ «۳» و يقول: قُلْ: لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ؛ وَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ما فِي صُدُورِكُمْ، وَ لِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ، وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ

---

(۱) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۵۴، و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۱۷/ ۳۱۸، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۴۳.

(۲) آل عمران: ۱۴۰.

(۳) آل عمران: ۱۴۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۹۳

الصُّدُورِ «۱».

و خلاصة الأمر: إن ما جرى فى أحد قد عرّف المسلمين بحقيقة تركيبة مجتمعهم، و أن فيه المؤمن و المنافق، و عرّفهم أيضا بطاقاتهم و قدراتهم، و درجاتهم الإيمانية.

و هذا أمر مهم جدا بالنسبة لخططهم المستقبلية، و مهم أيضا بالنسبة لتعاملهم على الصعيد الداخلى مع بعضهم البعض؛ لأن ذلك يجعلهم أكثر دقة، و أشد حيطة، حيث يحسبون لكل شىء حسابه، فلا يأتيهم ما لا يتوقعون، و لا يواجهون المفاجآت المحيرة. الأمر

الذى لا بد أن يؤثر فى نتائج مواقفهم، و جعلها لصالحهم بنحو أدق و أحكم.

ب: أجواء النفاق و دوافعه:

إن النفاق لا يستدعى دائما: أن يكون المنافق يرغب فى هدم هذا الدين الجديد، و يترصد الفرصة لذلك. بل ربما يكون ذلك خوفا من هذه الدعوة حينما يكون لها قوة و طول.

أو طمعا بنفع عاجل، مادى، أو معنوى.

أو عصبية و حمية لبلد، أو قبيلة.

أو طمعا فى أن تنجح الدعوة فى التغلب على المصاعب التى تواجهها. و يكون لهذا الشخص المنافق شأن فيها.

أو التزاما بتقليد اجتماعى، ذى طابع معين.

أو حفاظا على مصالح لا يمكن الحفاظ عليها مع مناهضة الدعوة.

إلى غير ذلك مما لا مجال له هنا.

إذن، فيمكن أن يكون نفاق ابن أبى، و كثير من أصحابه، إنما كان

---

(۱) آل عمران: ۱۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۹۴

من أجل الحصول على ما فى الإسلام من مغانم؛ و الإبتعاد عما يواجهونه من متاعب و مغارم. و قد يكون نفاقهم هذا يتخذ اتجاها لا ينسجم مع تسليط المشركين على المدينة، لأن ذلك و لا شك لسوف يلحق الضرر بأولئك المنافقين أنفسهم. و لسوف يلحق الضرر بالتزاماتهم القبلية و الإجتماعية، و بمصالحهم بشكل عام.

كما أن تسليط المشركين على بلدهم لا ينسجم مع التقليد الإجتماعى القائم آنذاك، و لا مع غيرتهم و حميتهم، و عصبيتهم.

نعم، ربما تتغير هذه النظرة للمنافق، و يتجاوز كل هذه الموانع، إذا رأى: أن وجوده و مصالحه فى خطر فى المستقبل. و إذا رأى أنه لا يمكنه الحفاظ على الحد الأدنى من مصالحه إلا بالتعامل مع أعداء هذه الدعوة؛ فيندفع إلى القيام بأى عمل يحفظ له الحد الأدنى مما تطمح نفسه إليه، و يسعى من أجل الحصول عليه.

دعنى أقتله يا رسول الله!!

ثم إننا نجد: أن عمر يستأذن النبى (ص) فى قتل هؤلاء المنافقين؛ فلا يأذن له النبى (ص) (و قد تقدم حين الكلام عن وحشى، و فى موضع آخر بعض ما يرتبط بذلك).

و نجد مثل ذلك من عمر فى خلال حياته مع النبى (ص) الشىء الكثير، و كأمثلة على ذلك نشير إلى:

۱- قصته مع الحكم بن كيسان «۱».

۲- قصته مع أبى سفيان «۲» حين فتح مكة.

---

(۱) حياة الصحابة ج ۱ ص ۴۱، و طبقات ابن سعد ج ۴ ص ۱۳۷.

(۲) حياة الصحابة ج ۱ ص ۱۵۴، و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۶۶ عن الطبرانى و رجاله رجال الصحيح.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۹۵

۳- و مع عبد اللّه بن أبى «۱».

۴- و مع ذى الخويصرة «۲».

۵- و مع حاطب بن أبى بلتعة «۳».

۶- و مع ذى الثدية «۴» و قيل باتحاده مع ذى الخويصرة، و قيل: لا.

۷- و مع شيبة بن عثمان «۵».

۸- و مع الأعرابى الذى من بنى سلم «۶».

۹- و نجده يطلب فى الحديبية أن يمكنه النبى (ص) من نزع ثنيتى سهيل بن عمرو، حتى يدلع لسانه. و فى كل ذلك يمنعه النبى (ص) و يردعه، و يخبره: بأنه لا يرغب فى ذلك.

و بالنسبة للحادثة الأخيرة مع سهيل بن عمر قال له: فعسى أن يقوم

---

(۱) المصنف لعبد الرزاق ج ۹ ص ۴۶۹، و حياة الصحابة ج ۱ ص ۴۸۴ عن البخارى، و مسلم، و أحمد، و البيهقى، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۷۰، و تفسير ابن كثير ج ۴ ص ۳۷۲ عن ابن أبى حاتم، و فى فتح البارى ج ۸ ص ۴۵۸: هو مرسل جيد و صحيح البخارى ط سنة ۱۳۰۹ ج ۳ ص ۱۳۲.

(۲) حياة الصحابة ج ۲ ص ۶۰۱، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۶۲ عن الصحيحين، و مناقب الخوارزمى ص ۱۸۲.

(۳) مجمع الزوائد ج ۸ ص ۳۰۳ عن أحمد، و أبى يعلى و البزار، و حياة الصحابة ج ۲ ص ۴۶۳/ ۴۶۴، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۴ عن أحمد، و البخارى، و الترمذى، و بقية الجماعة ما عدا ابن ماجة، و مناقب الخوارزمى الحنفى ص ۷۴.

(۴) المصنف لعبد الرزاق ج ۱۰ ص ۱۵۵، و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۲۲۶ عن أبى يعلى .. و قد روى هذا الحديث من وجوه كما فى مجمع الزوائد.

(۵) الرياض النضرة المجلد الأول ج ۲ ص ۳۵۳.

(۶) المعجم الصغير ج ۲ ص ۶۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۹۶

مقاما تحمده. فكان مقامه هو ما ستأتى الإشارة إليه «۱». فقد كان له موقف جيد فى مكة حين وفاة النبى (ص)، حيث منع أهل مكة من الإرتداد و سكّنهم، و عظم الإسلام.

و لا ندرى كيف خفى على عمر خطورة تصرف كهذا؟! و أن ذلك معناه: نقض الصلح، و إعطاء نظرة سلبية عن النبى (ص) و عن المسلمين، و فسح المجال للدعاية المغرضة ضدهم، و أنهم لا عهد لهم و لا ذمار. فحتى مع الرسل و المفاوضين يفعلون ذلك الأمر المهين و المشين، الأمر الذى يرفضه حتى العرف الجاهلى، فضلا عن الخلق السامى و النبيل «۲».

كما أننا لا ندرى- لو أنه فعل ذلك بسهيل بن عمرو- ماذا سوف يكون شعور إبنه عبد اللّه بن سهيل، الذى هرب من أبيه إلى النبى (ص) فى بدر، و كان يكتم أباه إسلامه؟!. ثم ماذا سوف يكون شعور إبنه الآخر أبى جندل بن سهيل، الذى جاء يرسف فى الحديد إلى رسول اللّه (ص) فى الحديبية؟!، أى فى نفس الوقت الذى يريد فيه عمر: أن يفعل ما يفعل بأبيه سهيل. و قد كان سهيل يضرب أبا جندل بغصن شوك. و لكنه مع ذلك قد ضن بهذا الأب أن يصيبه سوء، كما ذكره مصعب الزبيرى «۳».

نعم، إننا لا ندرى لماذا يصرّ عمر على النبى (ص) فى هذا الأمر، الذى كرّر النبى (ص) له رأيه فيه مرات عديدة؟!، و أوضح له: أنه لا يريد أن يتحدث الناس: أن محمدا يقتل أصحابه. بل لقد قال له فى قصة ابن

(۱) الإصابة ج ۲ ص ۹۳، و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۲ ص ۱۰۹/ ۱۱۰، و تفصيل القضية فيه.

(۲) الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۲ ص ۱۱۰، و راجع سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۱۹۴.

(۳) نسب قريش لمصعب ص ۳۱۹/ ۳۲۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۹۷

أبى: لو قتلته يوم قلت لى لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته «۱».

و إذا كان عمر يغار على مصلحة الإسلام إلى هذا الحد، حتى إنه لينسى كلام النبى له فى ذلك مرات عديدة، فلماذا فرّ فى أحد قبل ذلك بقليل، و ترك الإسلام و النبى (ص) فى معرض الأخطار الجسام، و الأهوال العظام؟! و لماذا فر فى خيبر، و حنين إلخ؟!.

و لماذا لم يطع النبى (ص) حينما أمره بأن يقتل ذا الثدية؟! «۲».

و لعل هذا هو سر قول النبى (ص) له فى قصة ابن أبى: أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله؟ مما يوحى بأنه (ص) كايشك فى صحة عزمه على هذا الأمر كثيرا، و قد أثبت الواقع صحة شكه (ص) هذا.

و لماذا كان (ص) يسند هذه المهمة إلى غير عمر. إلا فى قصة ذى الثدية، و كانت النتيجة فيها ما هو معلوم؟!.

و لماذا لا نجد غير عمر من سائر الصحابة يهتم بهذا الأمر بالخصوص؟!.

أسئلة تبقى حائرة، تنتظر الجواب المقنع و المفيد.

و أين؟!

و أنى؟!

(۱) البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۵۸.

(۲) راجع القضية فى الإصابة ج ۱ ص ۴۸۴/ ۴۸۵، و قال: إن لقصة ذى الثدية طرقا كثيرة صحيحة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۲۹۹

الفصل الخامس: غزوة حمراء الأسد، و الى السنة الرابعة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۰۱

قريش تفكر فى المدينة، ثم تعدل عنها:

لقد كان من الطبيعى: أن يفكر المشركون فى المدينة و نهبها، و سلب نسائها، بعد انتهائهم من معركة أحد.

و كان من الطبيعى أيضا أن يحسبوا: أن فى المدينة خلقا كثيرا من الأوس و الخزرج لم يحضروا الحرب، و هم مسلمون.

و حتى اليهود، و المنافقون، مثل: ابن أبىّ و أصحابه، فإن لهم فى المدينة أهلا و نساءا و عيالا و أطفالا. كما أن لهم بعيال، و أطفال، و نساء، و حتى رجال المسلمين علاقات نسبية، و مصالح مشتركة، لا يمكن التخلى عنها، أو تجاهلها بسهولة.

إذن، فقد كان من الطبيعى أن يجد المشركون مقاومة شديدة فى داخل المدينة لو هاجموها.

و أما فى خارجها .. فهم يعلمون: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و أصحابه من ورائهم. فإنهم و إن تحملوا خسائر كبيرة: سبعين

قتيلا، و سبعين جريحا، إلا أن من بقى منهم؛ و هم أكثر من خمسمائة مقاتل، إذا كانت القضية قضية شرف و عرض و مال، و مستقبل؛ فضلا عن كونها قضية دين- فلسوف- يستميتون فى الدفاع عنها .. و لم تنس قريش بعد: أنها قد هزمت فى ابتداء المعركة، و طار بها الرعب فى آخرها، من هؤلاء بالذات، مع أنها تزيدهم عددا أضعافا كثيرة. كما لا مجال لمقايسة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۰۲

ما كان عندهم من السلاح و العدة بما كانت تملكه هى من عدة و سلاح.

و لم تنس بعد أيضا: أنها لم تتغلب عليهم إلا بسبب تكتيك حربى، يعتمد على عنصر المفاجأة استطاعت أن تستفيد منه حينما خالف الرماة صريح أوامر قائدهم، مع اشتغال الباقين فى الغنائم، الأمر الذى جعلهم آمنين مطمئنين إلى أنه لا عدوّ بعد يواجههم.

هذا كله، عدا عن أن قريشا قد كلّت فى هذه الحرب، و تعبت، و أصبحت قدراتها الآن أقل بكثير مما كانت عليه فى بداية الحرب، حيث واجهت الهزيمة أيضا.

كما أنها ترغب فى الإحتفاظ بهذا الإنتصار الشكلى، و لا تريد أن تخاطر به، و تعرضه لاحتمالات الإنتكاس و الفشل الفاضح؛ لأن هذا الإنتصار الشكلى يتيح لها: أن تبذل محاولات جديدة فى تضعيف تأثير مواقف المسلمين الشجاعة السابقة على القبائل فى المنطقة، و بالذات على مشركى مكة أنفسهم.

و أخيرا، فلم لا- تفكر فى أن تتّبع الخطة التى اتبعها المسلمون فى بدر، حيث لم يتبعوا المشركين حينما هزموهم؛ فلعل ذلك كان لأهداف بعيدة، و حكم غابت عنها، أدركها الآخرون، و لم تستطع هى أن تدركها.

غزوة حمراء الأسد:

و فى اليوم الثانى من أحد خرج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» بأمر من الوحى- كما فى الرواية- إلى حمراء الأسد، موضع على ثمانية أو عشرة أميال من المدينة، حيث ندب أصحابه، قائلا: «ألا عصابة تشد لأمر اللّه، تطلب عدوها؟ فإنها أنكأ للعدو، و أبعد للسمع» «۱».

---

(۱) مجمع البيان ج ۲ ص ۵۳۹، و البحار ج ۲۰ ص ۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۰۳

فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل اللّه: وَ لا تَهِنُوا، وَ لا تَحْزَنُوا، وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ «۱».

المجروحون فقط:

فخرج (ص) فى ستين راكبا «۲». أو سبعين «۳».

و يدل على أن عدتهم سبعون: أن عائشة قالت لعروة بن الزبير: كان أبوك الزبير، و أبو بكر لما أصاب نبى اللّه ما أصاب، و انصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا فقال: من يرجع فى أثرهم؟ فانتدب منهم سبعون رجلا «۴».

و لكن الظاهر هو أن ذكر أبى بكر هنا قد جاء فى غير محله، لأن الذين خرجوا فى هذه الغزوة كانوا خصوص المجروحين، و كانوا سبعين رجلا كما تقدم.

فقد روى القمى «رحمه الله»: أن جبرئيل «عليه السلام» نزل على النبى (ص)، فقال: يا محمد، إن اللّه يأمرك أن تخرج فى أثر القوم، و لا يخرج معك إلا من به جراحة؛ فأمر (ص) مناديه أن ينادى بذلك «۵».

(۱) راجع: مجمع البيان ج ۲ ص ۵۰۹، و البحار ج ۲۰ ص ۲۲.

(۲) البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۰۵.

(۳) مجمع البيان ج ۲ ص ۵۳۹.

(۴) البداية و النهاية ج ۴ ص ۵۰ و ۵۱، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۵۷، و الدر المنثور ج ۲ ص ۱۰۲ عن سعيد بن منصور، و ابن أبى شيبة، و أحمد، و البخارى، و مسلم، و ابن ماجة، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و الحاكم، و البيهقى فى الدلائل.

(۵) تفسير القمى ج ۱ ص ۱۲۵، و البحار ج ۲۰ ص ۶۴ عنه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۰۴

و يؤيد- أن هؤلاء السبعين هم المجروحون-: قوله تعالى فى هذه المناسبة: الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ «۱» و قد قلنا: إنه إذا كان الذين خرجوا هم المجروحون فقط، فلا معنى لذكر أبى بكر و عمر و غيرهم، ممن لم يكن به جراح فى الخارجين إلى حمراء الأسد.

و على كل حال، فقد خرج رسول اللّه (ص) بالمجروحين من أصحابه، و استخلف على المدينة ابن أم مكتوم، و كان حامل لوائه على «عليه السلام»، و كانت قريش فى الروحاء، على بعد خمسة و ثلاثين او إثنين أو ثلاث و أربعين ميلا من المدينة حيث تلاوموا هناك فيما بينهم، و قالوا: لا محمدا قتلتم، و لا الكواعب أردفتم. قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم، إرجعوا فاستأصلوهم قبل أن يجدوا شوكة.

فقال صفوان بن أمية:

لا تفعلوا، فإن القوم قد حربوا، و قد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذى كان. أو قال لهم: إن محمدا و أصحابه الآن فى حنق شديد مما أصابهم، فو اللّه ما أمنت إن رجعتم أن يجتمع جميع من كان قد تخلف عن أحد من الأوس و الخزرج، و يطؤوكم و يغلبوا عليكم، و الآن لكم الغلبة إلخ.

فبلغ ذلك النبى (ص)، فأراد أن يريهم من نفسه و أصحابه قوة، و أن يرعبهم.

و لكن من أين بلغه ذلك و متى وصل إليه الخبر فى خلال ليلة واحدة؛ عن بعد أكثر من أربعين ميلا، إلا أن يكون ذلك عن طريق الوحى. و قد نصت رواية القمى المتقدمة على أن جبرئيل قد جاء بأمر من

(۱) آل عمران: ۱۷۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۰۵

اللّه سبحانه إليه يأمره بالمسير إليهم.

و قدّم (ص) ثلاثة نفر من أسلم، فلحق إثنان منهم القوم بحمراء الأسد، و هم يأتمرون بالرجوع، فبصروا بهما، فرجعوا إليهما فقتلوهما.

و مضى (ص) حتى نزل حمراء الأسد فدفن الرجلين، و أقام هناك ثلاثة أيام. و أوقد المسلمون نارا عظيمة- خمسمائة نار- فذهب صيت عسكرهم و نارهم إلى كل جانب، فكبت عدوهم بذلك.

و مرّ معبد الخزاعى- و هو مشرك- بعسكر المسلمين، و هو فى طريقه إلى مكة. و كانت خزاعة عيبة نصح لرسول اللّه، مسلمهم و كافرهم، فأظهر تألمه مما أصاب المسلمين فى أحد.

فلما بلغ أبا سفيان و أصحابه أخبرهم: أن محمدا يطلبهم فى جمع لم ير مثله، و أن هذا على بن أبى طالب، قد أقبل على مقدمته فى الناس «۱». و قد اجتمع معه من كان تخلف عنه، و قد ندموا على ما صنعوا، و أنهم يتحرقون عليهم. و أن نواصى الخيل قد تدركهم

قبل أن يرتحلوا.

فدب الرعب فى قلوب المشركين، و أسرعوا بالرحيل. و التقوا بركب من بنى عبد القيس قاصدا المدينة، فوعدهم أبو سفيان أن يعطيهم ما يرضيهم إذا هم أبلغوا رسول اللّه أن قريشا آتية لحربه.

و أرسل معبد يخبر رسول اللّه بحقيقة الأمر.

و بعد إقامة النبى (ص) ثلاثة أيام عاد إلى المدينة.

أسيران يقعان فى أيدى المسلمين:

و أخذ النبى (ص) فى طريقه ذاك رجلين من قريش، هما معاوية بن المغيرة بن أبى العاص، و أبو عزة الجمحى.

---

(۱) البحار ج ۲۰ ص ۹۹، و إعلام الورى ص ۸۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۰۶

أما أبو عزة فقد كان أسر فى بدر، ثم منّ عليه (ص) لبناته الخمس، و أخذ عليه العهد أن لا يعود إلى حرب المسلمين، و أن لا يظاهر عليه أحدا. فنقض العهد، و ألّب القبائل، و شارك فى معركة أحد.

فلما عادت قريش، و نزلت فى حمراء الأسد، ساروا و تركوه نائما، فأدركه المسلمون هناك، و أخذوه إلى النبى (ص)، فطلب الإقالة، فرفض (ص) ذلك حتى لا يمسح عارضيه بمكة، و يقول: سخرت من محمد مرتين. ثم أمر (ص) عليا- و قيل غيره- أن يضرب عنقه، ففعل.

و لكن ابن جعدبة قال: ما أسر يوم أحد هو و لا غيره. و لقد كان المسلمون فى شغل من الأسر. و لم ينكر قتله.

و قال ابن سلام: «قد قيل: أن النبى لم يقتل أحدا صبرا إلا عقبة بن أبى معيط يوم بدر» «۱».

و لكن المشهور هو خلاف ذلك، فهو المعتمد حتى يثبت خلافه.

أما ما ذكره بعضهم من: أن أبا عزة قد أسر يوم أحد.

فالظاهر أن مقصوده منه نفس ما ذكرناه، لأن حمراء الأسد من تتمة معركة أحد. فلا مجال لإشكال المعتزلى بأن حال المسلمين فى أحد لم يكن يساعد على أسر أحد «۲».

و أما معاوية بن المغيرة بن أبى العاص، فإنه انهزم فى أحد، و دخل المدينة، فأتى منزل عثمان بن عفان، ابن عمه. فقال عثمان له: أهلكتنى و أهلكت نفسك. ثم خبأه فى بيته، و ذهب إلى النبى (ص) ليأخذ له أمانا.

و كان (ص) قد علم به من طريق الوحى، فأرسل عليا (ع) ليأتى به من دار عثمان، فأشارت أم كلثوم زوجة عثمان إلى الموضع الذى صيره

---

(۱) طبقات الشعراء لإبن سلام ص ۶۴/ ۶۵.

(۲) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۴۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۰۷

عثمان فيه، فاستخرجوه من تحت حمّارة لهم، و انطلقوا به إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فشفع فيه عثمان، فقبل منه (ص)، و أجله ثلاثا، و أقسم إن وجده بعدها فى أرض المدينة و ما حولها ليقتلنه، فجهزه عثمان، و اشترى له بعيرا.

و سار (ص) إلى حمراء الأسد، و أقام معاوية إلى اليوم الثالث ليعرف أخبار النبى (ص)، و يأتى بها قريشا، فلما كان فى اليوم الرابع

أخبرهم (ص): أن معاوية بات قريبا، و أرسل زيدا و عمارا، فقتلاه.

و الصحيح عليا و عمارا، كما فى رواية الكافى.

و قال البلاذرى عن ابن الكلبى: «و يقال: إن عليا «عليه السلام» هو الذى قتل معاوية بن المغيرة» «۱».

و يذكر هنا: أن عثمان قد انتقم من أم كلثوم، لدلالتها على ابن عمه.

بل يقال: إن ما فعله بها كان سببا فى موتها فى اليوم الرابع، و بات ملتحفا بجاريتها «۲».

دوافع حمراء الأسد و نتائجها:

لقد اتضح مما تقدم بعض دوافع غزوة حمراء الأسد، و نتائجها، و للتذكير بذلك نعود فنقول:

---

(۱) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۳۳، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۴۶/ ۴۷ عن البلاذرى، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۱، و ليراجع الكامل لإبن الأثير ج ۲ ص ۱۶۵ ط صادر، و قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۴۰۷/ ۴۰۸، و البحار ج ۲۰ ص ۱۴۵، عن الكامل و المعتزلى، و أشار إلى ذلك ابن هشام، و تاريخ الخميس، و السيرة النبوية لإبن كثير، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۵۱ و غير ذلك.

(۲) الكافى ج ۳ ص ۲۵۱/ ۲۵۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۰۸

لقد عرف الرسول الأعظم (ص): أن نتائج حرب أحد، لو لا خروجه إلى حمراء الأسد سوف تكون:

۱- أن تستعيد قريش ثقتها بنفسها، و يزيد ذلك من إصرارها على حرب المسلمين، و تصلبها فى موقفها تجاههم.

۲- أن تستغل ذلك إعلاميا، بحيث تضعف من مكانة محمد (ص) فى نفوس القبائل، و يزيدون جرأة على مناجزته و مقاومته؛ و يسهل عليهم الإستجابة لدعوة حربه.

۳- أن يصبح سلطان النبى (ص) فى المدينة فى معرض التزلزل و الضعف، بعد أن كان قد استقر و أدخل الرعب فى نفوس كل مناوئيه فى داخلها، سواء من المنافقين أو من اليهود. و قد دل على ذلك شماتة المنافقين، و اليهود، و إظهارهم السرور بما جرى.

۴- أن يوجب ذلك تزلزل إيمان ذوى النفوس الضعيفة، و يجعلهم عرضة لا صطياد الآخرين لهم.

۵- توقف من كان مهيئا نفسيا للدخول فى الدين الجديد عن الدخول فيه، حتى تتضح له الأمور، و ينجلى الموقف. و لا سيما إذا كان إسلامه صوريا من أجل ضمان مصالحه، أو للحصول على مكاسب من نوع ما، حيث لا يبقى ثمة ضمانات للحصول على ذلك، إن لم يكن أصبح يخشى العكس.

و على ضوء ما تقدم:

فقد جاءت حمراء الأسد- التى ربما تبدو للوهلة الأولى غير معقولة- فغيّرت الكثير من النتائج المتقدمة، و حولتها لصالح المسلمين، لأن خروج هؤلاء الجرحى فى أثر قريش، و هم لا يزيدون على سبعين رجلا على ما يظهر، فى حين لم يكن فى هذه الغزوة طمع فى مال و لا فى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۰۹

غنائم، قد أوضح لكل أحد: أن هؤلاء مستميتون فى الدفاع عن دينهم و عقيدتهم؛ و أن جراحهم تلك لم تحل دون إقدامهم على ملاحقة عدوهم؛ فهم يطلبون الموت و يسعون إليه، فالوقوف فى وجه هؤلاء إنما يعنى الوقوف أمام خيارين: إما موت هؤلاء، و لا يموتون إلا بعد أن يموت معهم كل من يقدرون عليه، و إما موت عدوهم.

و إذا كان جرحاهم على استعداد لمثل هذا، فما حال غيرهم ممن وراءهم، ممن سوف لن يسكتوا عن إمدادهم و مساعدتهم؟!

و إذن فخروج الجرحى كان هو الأصوب، لأن رهبة العدو تكون أعظم، و خوفه يكون أشد، لأنه يعلم أن وراءهم من لا يحب الحياة أكثر منهم.

و لسوف يدرك عدوهم: أن ما جرى فى أحد ليس إلا نتيجة نزوة عارضة الّمت، و يصعب تكررها منهم، بعد الذى أصابهم بسببها.

كما و تصير حجة من يريد التشكيك بقدرتهم الطبيعية على المواجهة- من المنافقين أو اليهود- ضعيفة و واهية، يصعب تقبلها.

إذن، فمواجهة المسلمين و هم فى قدرتهم الطبيعية، و حين لا يكون ثمة حالة إستثنائية- كما جرى فى أحد- سوف يكون عملا انتحاريا، لا مبرر له، و لا منطق يساعده.

و لا سيما بعد أن تعلم المسلمون هذا الدرس الصعب، الذى كلفهم غاليا، فإن احتمال حدوث حالة إستثنائية بعده يكاد يلحق بالممتنعات.

و لذلك فقد أوقد المسلمون خمسمائة نار، فكبت اللّه بذلك عدوهم، و أرجع كل القبائل المحيطة بالمدينة إلى صوابها، و أفهمها: أن عليها أن لا تغتر بما جرى فى أحد.

كما أن عليها: أن تعرف: أنه لو كان ما جرى فى أحد طبيعيا، لما

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۱۰

آثرت قريش الفرار من وجه سبعين من الجرحى. و هى التى ينبغى أن تكون أشد طغيانا و تجبرا، و أكثر إقداما على المسلمين من ذى قبل. و كان ينبغى- لو كان يمكنها- أن تغتنمها فرصة للقضاء على هذه القلة القليلة، المنهكة، و المثخنة بالجراح. و تقتل مصدر متاعبها و آلامها، و أعنى به رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» ما دام أنه فى جماعة لا تستطيع أن تدفع عنه، و لا عن نفسها شيئا.

ففى حمراء الأسد هزيمة نفسية، و إعلامية لقريش، كما أن فى ذلك إعطاء الفرصة لسائر القبائل لتقييم معركة أحد تقييما صحيحا و سليما، بعيدا عن الغرور و التضليل.

و هى أيضا إبطال لكيد المنافقين و اليهود، و تأييد لسلطان المسلمين فى المدينة، و ربط على قلوبهم، و رفع لمعنوياتهم.

و هذا معنى قوله (ص): «فإنها إنكاء للعدو، و أبعد للسمع».

و يلاحظ أخيرا: أن معبد الخزاعى قد ذكر لقريش: أن عليا قد يدركهم قبل أن يرتحلوا، فدعاهم ذلك إلى التعجيل بالرحيل، قبل أن يدركهم أسد اللّه الغالب الإمام على بن أبى طالب. و هذا يؤكد على دوره الفريد و المتميز فى إلحاق الهزيمة النكراء بجيش المشركين فى أحد؛ حتى صار يطلبه المشركون بثارات أحدية «۱» أضيفت إلى ثاراتهم البدرية، كما ورد التصريح به فى أكثر من مورد فى تأريخ الصدام فيما بين الحق و الباطل بعد ذلك.

قتل الأسيرين:

و قصة قتل الأسيرين، و ملاحظة موقفه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»

---

(۱) البحار ج ۳۶ ص ۵۴ و ۵۵ و ج ۴۳ ص ۱۵۶، و المناقب لإبن شهر آشوب ج ۲ ص ۲۰۳، و فى ط أخرى ج ۱ ص ۳۸۱، و العوالم ص ۲۵۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۱۱

منهما تعطينا: أنه (ص) كان يعامل كل أحد- بالدرجة الأولى- على أنه إنسان. ثم يقاوم فيه شركه و انحرافه بالأساليب الإنسانية أولا أيضا.

أى أنه يعتبره يحوى سائر الخصائص الإنسانية؛ فيتعامل معه على أساس الصدق، و الوفاء، و الأمانة و غير ذلك من خصائص إنسانية. و

ذلك من أجل تشجيع هذه الخصائص، و إعطائها الفرصة للنمو و التكامل، على أمل أن يكون ذلك موجبا لتسهيل مهمته التبليغية و الإقناعية فى المستقبل، و من ثم لتلافى الكثير من المشكلات التى لا مبرر لها، و إنما تخلقها النزوات غير الإنسانية، فى طريق الدعوة إلى اللّه تعالى، و الإقناع بالحق و الخير.

و لكنه حين يثبت له (ص): أن الطرف الآخر، لا ينطلق فى مجمل مواقفه من خصائص إنسانية، و إنما من نزوات غير إنسانية، و من شيطنة، و مكر؛ فإنه (ص) حينئذ يقف منه الموقف الحازم الذى لا بد منه. و هو يحسن إليه و إلى مجتمعه حينما يقضى على تلك الروح البهيمية، و النزوات الشيطانية فيه؛ لأن اللّه قد خلقه ليكون إنسانا، لا ليكون حيوانا، يحمّل إنسانيته كل مشقات و متاعب النزوات الحيوانية تلك.

كما أنه يكون قد أحسن لبناته اللواتى لن يكون فى صالحهن: أن يكون المشرف على قضاياهن و شؤونهن مخلوقا لا يحمل- أو فقل- : لا أثر فى حياته للخصائص و المزايا الأولية للإنسان.

و عليه، فإذا قبل النبى (ص) أن يمنّ على أبى عزة الجمحى فى بدر من أجل بناته، ثم رفض ذلك هنا؛ فإنه لا يكون بين كلا موقفيه أى تناقض أو اختلاف؛ بل هو مصيب فى الحالتين، و هو قد أحسن لبناته أول مرة، و كان إحسانه لهن فى هذه المرة أعم و أعظم.

هذا كله عدا عن أنه (ص) يكون قد أعطى المثل الأعلى للمؤمن الواعى و اليقظ، الذى لا يخدع و لا يستغل فإنه: لا يلدغ المؤمن من جحر

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۱۲

مرتين. (راجع ما تقدم بعد بدر حول خصائص الشيعة).

وفاة أم كلثوم و ملابساتها:

و يقولون: إن أم كلثوم بنت النبى، بل ربيبته قد توفيت فى سنة تسع. و لكن ما يذكر فى سبب وفاتها يؤكد: أنها قد توفيت فى سنة ثلاث.

فقد جاء فى نوادر جنائز الكافى خبر طويل، تقدم شطر منه قبل صفحات قليلة، و نعود فنلخصه هنا على النحو التالى:

إن عثمان قد آوى الذى جدع أنف حمزة [و هو معاوية بن المغيرة بن أبى العاص كما تقدم] و خبأه فى مكان من داره، و أمر أم كلثوم: أن لا تخبر أباها فقالت: ما كنت لأكتم النبى (ص) عدوه.

و خرج عثمان إلى النبى (ص). و عرف النبى (ص) ذلك بواسطة الوحى؛ فأرسل عليه «عليه السلام» ليأتى به؛ فلم يجده؛ فجاء عثمان فأخذه، و طلب الأمان له بإلحاح، فقال له (ص): إن قدرت عليه بعد ثالثة قتلته؛ فأخذه عثمان، فجهزه، و انطلق.

و بعد ثلاث أرسل النبى (ص) عليا و عمارا، و ثالثا؛ ليقتلاه؛ لأنه بات قريب المدينة؛ فأتاه على (ع) فقتله.

فضرب عثمان بنت النبى (ص)، و قال: أنت أخبرت أباك بمكانه، فبعثت إلى النبى (ص) ثلاث مرات تشكو ما لقيت و النبى (ص) لا يستجيب. و فى الرابعة أرسل عليا ليأتى بها؛ فإن حال بينه و بينها أحد؛ فليحطمه بالسيف، و أقبل النبى (ص) كالواله إلى دار عثمان، فأخرجها على؛ فلما نظرت إلى النبى (ص) رفعت صوتها بالبكاء، و بكى النبى (ص)، و أخذها إلى منزله، و أرتهم ما بظهرها.

و بات عثمان ملتحفا بجاريتها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۱۳

و ماتت فى اليوم الرابع.

فأمر (ص) فاطمة؛ فخرجت، و نساء المؤمنين معها، و خرج عثمان يشيع جنازتها؛ فلما نظر إليه (ص)، قال ثلاث مرات: من أطاف البارحة بأهله، أو بفتاته، فلا يتبعن جنازتها، فلم ينصرف. فلما كان فى الرابعة، قال: لينصرفن أو لأسمين باسمه.

فأقبل عثمان متوكئا على مولى له، فقال: إنى أشتكى بطنى. قال:

انصرف إلخ «۱».

و نفس هذه القضية ذكرها الواقدى، و البلاذرى، و غيرهما، إلى أن انتهى إلى أنهم أصابوه قد أخطأ الطريق، فقتله عمار وزيد- و ذكروا: أنهم لما جاؤا ليأخذوه من منزل عثمان، أشارت أم كلثوم إلى الموضع الذى صيره عثمان فيه؛ فاستخرجوه «۲».

و لكنهم لا يذكرون القسم الأخير من القضية، لأسباب لا تخفى.

و جزم البلاذرى بأن عليا «عليه السلام» هو الذى قتله «۳».

و لعل عائشة تشير إلى هذه القضية بالذات، حينما قالت لعثمان عن رقية و أم كلثوم: «و لكن قد كان منك فيهما ما قد علمت».

---

(۱) راجع: الكافى ج ۳ ص ۲۵۱- ۲۵۳، و قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۴۰۸- ۴۰۹ عنه. و راجع: الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۴ ص ۳۰۱، و الإصابة ج ۴ ص ۳۰۴.

(۲) راجع: قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۴۰۷- ۴۰۸، و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۳۳، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۴۶ و ۴۷ عن البلاذرى، و ليراجع:

الكامل لإبن الأثير ج ۲ ص ۱۶۵ ط صادر، و بقية المصادر تقدمت قبل حوالى خمس صفحات.

(۳) أنساب الأشراف ج ۵ ص ۱۶۴، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۴۷ و ۱۹۹ عن الجاحظ، و ۲۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۱۴

فراجع ما ذكرناه فى ما تقدم حينما تحدثنا حول وفاة رقية رحمها اللّه.

و إلى ذلك أيضا يشير ما ورد فى دعاء شهر رمضان: «اللهم صل على أم كلثوم بنت نبيك، و العن من آذى نبيك فيها» «۱».

و يلاحظ هنا: أن التعبير ب «بنت نبيك» لا يدل على البنوّة الحقيقية، إذ قد يكون المقصود بالبنت: الربيبة، فراجع ما ذكرناه فى الرسالة الخاصة التى ألفناها حول هذا الموضوع، و هى بعنوان «بنات النبى (ص) أم ربائبه».

و بعد ما تقدم، فإن كل الأصابع لا بد و أن تمتد لتشير إلى عثمان،، حينما نقرأ رواية عبد الرزاق التى تقول: إن بعض بناته (ص) جاءت تشكو زوجها؛ فأمرها (ص) بالرجوع «۲»؛ لكن عليا «عليه السلام»- حسبما تقدم حين الكلام على تكنيته بأبى تراب- قد أقسم على أنه لم يغضب فاطمة الزهراء و لا أكرهها على أمر حتى قبضها اللّه تعالى. و هى أيضا كذلك.

فكل القرائن تشير إذن إلى صحة رواية جنائز الكافى؛ و تقوّى من مضمونها، الأمر الذى يجعلنا نطمئن إلى أنها رضوان اللّه تعالى عليها قد توفيت بعد واقعة أحد، و بالذات فى قضية الذى جدع أنف حمزة سيد الشهداء صلوات اللّه و سلامه عليه؛ و أنها لم تقم مع عثمان إلا قليلا.

ثم إننا لا نستبعد صحة ما نقله فى قرب الإسناد عن الصادق (ع):

---

(۱) رجال المامقانى ج ۳ ص ۷۴، و قاموس الرجال ج ۶ ص ۴۰۶ و ۴۰۷ و قال:

«أقول: أما الدعاء، فذكره الشيخان فى المقنعة، و التهذيب، عقيب تسبيح شهر رمضان، و نسبه الأول إلى مجىء الآثار به، لكن ليس فى نسخته الفقرة، نعم هى فى الثانى».

(۲) المصنف للحافظ عبد الرزاق ج ۱۱ ص ۳۰۰، و هامش ص ۳۰۱ عن سعيد بن منصور.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۱۵

من أن عثمان لم يدخل بأم كلثوم «۱»، و يكون ذلك قرينة على أنها لم تعش معه مدة طويلة، و يقرّب ذلك أنها ماتت بعد أحد

حسبما تقدم. و لعلها قد تزوجته لأيام قليلة فقط.

و أما أن أسماء بنت عميس قد غسلتها، و هى قد عادت من الحبشة عام خيبر؛ أى فى سنة سبع؛ فلعله اشتباه من الراوى. و يكون المراد أسماء بنت يزيد الأنصارية؛ لكن الراوى زاد كلمة بنت عميس من عند نفسه جريا على ما استقر فى نفسه، بسبب شهرة بنت عميس، و قد تقدم قبل وقعة أحد نظير ذلك فى ولادة الإمام الحسن «عليه السلام»، فليراجعه من أراد.

---

(۱) رجال المامقانى ج ۳ ص ۷۳/ ۷۴، و قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۴۰۶ و ۴۰۷ عن قرب الإسناد و الخصال.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۱۷

الباب الخامس: شخصيات و أحداث

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۱۹

الفصل الأول: أوسمة و همية لزيد بن ثابت

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۲۱

بداية:

إننا حين نتحدث عن بعض الشخصيات، و ما ينسب إليها من مواقف و يرتبط بها من أحداث. فإن سبب ذلك، إما أهمية ذلك الحدث بالذات. أو لأن مناسبة البحث قد اقتضت ذلك أحيانا، أو من أجل معرفة الدور الذى قامت به تلك الشخصية أو أريد لها: أن تنال شرف انتسابه إليها، لسبب سياسى، أو غيره.

و ليس هدفنا من حديثنا ذاك مجرد مجاراة المؤرخين، و لا تكميل نقص لربما يجد البعض فيه مستمسكا للتقليل من أهمية الكتاب بصورة عامة. و لا غير ذلك مما يدخل فى نطاق الشكليات و الهامشيات، التى تستند إلى بواعث غير مسؤولة، و لا هى ذات أهمية أو قيمة تذكر.

كما أن ذكرنا للحدث، قد يكون مرده بالإضافة إلى ذلك: إلى الرغبة فى تسجيل تحفظ على ما أوردوه على أنه حقيقة و واقع، أو تصحيح خطأ، أو إبراز الجانب السياسى، الذى هيمن على ذلك الحدث، و أثر فيه. أو تسجيل عبرة نجدها جديرة بالتسجيل للإستفادة منها فى الموقع المناسب.

هذا بالإضافة إلى أن جمع أطراف البحث، و ملاحقة عناصر متفرقة و وضعها فى مواضعها يساهم إلى حد كبير فى تسهيل التعرف على ملامح الصورة التى تمس الحاجة للتعرف عليها، و تتشوق النفوس إليها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۲۲

هذا إلى أمور أخرى، لا تبتعد كثيرا عن هذا المنحى فى مسارها العام.

و على هذا الأساس: فإننا قد أولينا قسطا من الأهمية لمتابعة الأحداث، التى ترتبط ببعض الشخصيات، التى عاشت فى العصر النبوى، و

بعده و كان لها دور رئيس فى صنع الأحداث، و فى تهيئة الأجواء و الظروف لها. على أمل أن نكون قد أسهمنا بدورنا فى حصحصة الحق، و كشف الزيف، و إزالة الشبهات.

و نبدأ هنا بالحديث عن أمر ذكر: أنه يرتبط بزيد بن ثابت، فعسى أن نجد فيه، و فيما يأتى من فصول. ما ينفع و يجدى. فنقول.

الحدث المشكوك:

إن المطالع للتأريخ الإسلامى، و لكتب التراث بصورة عامة يجد الكثير من الأمور، التى أصبح لها من الشيوع و الذيوع، بحيث تبدو من الحقائق الثابتة التى لا تقبل الجدل، و لا يجوز أن تخضع للمناقشة.

و أصبح الكتّاب و المؤلفون، يرسلونها إرسال المسلمات و يوردونها مستدلين بها، على ما يرونها قادرة على إثباته، أو الدلالة عليه. مع أن نفس هذه القضايا لو أخضعها الباحثون للبحث، و للتحقيق و التمحيص، لخرجوا بحقيقة: أنها من الأمور الزائفة و المجعولة، التى صنعتها الأهواء السياسية، و التعصبات المذهبية، أو العرقية، أو غيرها.

أو على الأقل لوجدوا الكثير مما يوجب الشك و الريب فيها، و من ثم ضعفها، و وهنها، أو لوقفوا على كثير من موارد التحريف و التلاعب فيها.

و قد يجوز لنا القول: إن ما يروى، من أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أمر زيد بن ثابت بتعلم اللغة العبرانية أو السريانية، يصلح مثالا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۲۳

لهذا الأمر، و لأجل ذلك فقد رأينا من المناسب أن نشير إلى بعض ما تلزم الإشارة إليه فى هذه القضية و غيرها تاركين الحكم فى ذلك نفيا أو إثباتا، إلى القارىء الكريم، الذى يملك كامل الحرية فى أن يقبل، و فى أن يرد، إذا اقتضى الأمر أيّا من الرد، أو القبول. فنقول:

روايات تعلم زيد العبرانية أو السريانية:

تؤرخ بعض المصادر: أنه فى السنة الرابعة للهجرة أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» زيد بن ثابت بتعلم السريانية أو العبرانية، معللا ذلك: بأنه لا يأمن اليهود على كتابه «۱»؛ فقد روى الترمذى، عن زيد بن ثابت، قال: أمرنى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن أتعلم كتاب يهود، قال: ما آمن يهود على كتاب. قال: فما مر بى نصف شهر، حتى تعلمته له.

قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، و إذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح «۲».

و فى نص آخر: لما قدم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» المدينة،

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۴، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۱، و السيرة النبوية لإبن كثير ج ۳ ص ۱۷۶، و راجع: الكامل لإبن الأثير ج ۲ ص ۱۷۶، و راجع:

بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۳۰.

(۲) الجامع الصحيح للترمذى ج ۵ ص ۶۷، ۶۸، و مشكل الآثار ج ۲ ص ۴۲۱، و السنن الكبرى للبيهقى ج ۶ ص ۲۱۱، و فتوح البلدان للبلاذرى ص ۵۸۳ و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۲۰۳ و ۲۰۴، عن البخارى، و عن الطحاوى فى مختصره و مسند احمد ج ۵ ص ۱۸۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۲۴

قال لى: تعلّم كتاب اليهود؛ فإنى و اللّه ما آمن اليهود على كتابى «۱» و لم يذكر قوله: فلما تعلمته الخ.

قال الترمذى: و قد روى من غير هذا الوجه، عن زيد بن ثابت.

قال: أمرنى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن أتعلم السريانية «۲».

و فى نص آخر: عن زيد بن ثابت، قال: قال لى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إنه يأتينى كتب من ناس، لا أحب أن يقرأها أحد؛ فهل تستطيع أن تتعلم كتاب العبرانية، أو قال: السريانية؟

فقلت: نعم.

قال: فتعلمتها فى سبع عشرة ليلة «۳».

و مثله فى نص آخر، عن زيد بن ثابت، لكنه جزم بأنه أمره بتعلم السريانية و لم يردد فى ذلك «۴».

---

(۱) طبقات ابن سعد ج ۲ قسم ۲: ۱۱۵، و منتخب كنز العمال- بهامش مسند أحمد ج ۵ ص ۱۸۵، و حياة الصحابة ج ۳ ص ۲۱۶ عن أبى يعلى، و ابن عساكر، و سنن أبى داود ج ۳ ص ۳۱۸ و مستدرك الحاكم ج ۱ ص ۷۵ و تلخيصه للذهبى بهامشه، و صحيح البخارى ج ۴ ص ۱۵۶ و ليس فيه ذكر لمدة تعلمه.

(۲) الجامع الصحيح للترمذى ج ۵ ص ۶۸.

(۳) طبقات ابن سعد ج ۲ قسم ۲ ص ۱۱۵، و كنز العمال ج ۱۶ ص ۹ عن ابن عساكر، و ابن أبى داود فى المصاحف، و تذكرة الحفاظ ج ۱ ص ۳۱، و تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۴۶ عن أحمد، و أبى يعلى؛ و منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ۵ ص ۱۸۵ و حياة الصحابة ج ۳ ص ۲۱۶، و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۱۲۰ و ۲۰۴ و راجع: مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۴۲۲ و تهذيب الكمال ج ۱۰ ص ۲۸.

(۴) راجع: كنز العمال ج ۱۶ ص ۹ عن إبن عساكر و ابن أبى داود، و غيرهما و تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۴۶ و ۴۴۷ عن أحمد، و أبى يعلى؛ و مسند أحمد ج ۵ ص ۱۸۲ و الإصابة ج ۱ ص ۵۶۱، و مشكل الآثار ج ۲ ص ۴۲۱، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۴۲۲، و تلخيصه للذهبى- بهامشه، و السنن الكبرى للبيهقى ج ۶

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۲۵

و فى رواية أخرى: عن زيد بن ثابت أيضا، قال: أتى بى النبى «صلى اللّه عليه و آله» مقدمه المدينة، فعجب بى، فقيل له: هذا الغلام من بنى النجار، قد قرأ مما أنزل عليك بضع عشرة سورة، فاستقرأنى، فقرأت (ق) فقال لى: تعلّم كتاب يهود، فإنى ما آمن يهود على كتابى:

فتعلمته فى نصف شهر «۱»، إلى آخر ما تقدم فى الرواية الأولى.

و عن عبد اللّه بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، قال: كان زيد بن ثابت يتعلم فى مدارس ماسكة، فتعلم كتابهم فى خمس عشرة ليلة، حتى كان يعلم ما حرّفوا و بدلوا «۲».

و قال الكتانى: «قلت فى بهجة المحافل لإبن عبد البر: أنه تعلمها

- ص ۲۱۱، و منتخب كنز العمال- بهامش مسند أحمد ج ۵ ص ۱۸۵، و حياة الصحابة ج ۳ ص ۳۵۰، و الإستيعاب- بهامش الإصابة ج ۱ ص ۵۵۲، و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۲۰۳ و ۲۰۴ عن بعض من تقدم، عن ابن أبى داود فى المصاحف، و الأحكام الصغرى لأبى بكر ابن شيبة و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۲۹ و بهجة المجالس ج ۱ ص ۳۵۶.

(۱) راجع تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۴، ۴۶۵، و قال: كذا رواه ابن أبى الزناد، و احمد، و يونس، عند أبى داود و داود بن عمرو

الضبّى، و سعيد بن سليمان الواسطى، و سليمان بن داود الهاشمى، و عبد اللّه بن وهب، و على بن حجر، و حديثه عند الترمذى كذا ذكره السخاوى فى الأصل الأصيل.

و كنز العمال ج ۱۶ ص ۸ عن ابن عساكر، و غيره.، و مسند أحمد ج ۵ ص ۱۸۶ و الإصابة ج ۱ ص ۵۶۱ عن البخارى و البغوى و أبى يعلى؛ و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۲۰۳، ۲۰۴، عن البخارى. و تذكرة الحفاظ ج ۱ ص ۳۱ و سير اعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۲۸، ۴۲۹ و تهذيب الكمال ج ۱۰ ص ۲۸ و راجع الثقات ج ۱ ص ۲۴۶.

(۲) كنز العمال ج ۱۶ ص ۸، ۹ عن ابن عساكر، و راجع: السيرة النبوية لإبن كثير ج ۳ ص ۱۷۶، و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۲۰۴ عن ابن عساكر. و تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۴۶ عن ابن سعد و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۲۶

فى ثمانية عشر يوما» «۱».

و قالوا عن زيد بن ثابت: «و كان يكتب بالعربية و العبرانية» «۲»، أو «السريانية» «۳».

و قال ابن الأثير الجزرى: «كانت ترد على النبى «صلى اللّه عليه و آله» كتب بالسريانية، فأمر زيدا، فتعلمها» «۴».

و قال الذهبى: «قدم النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و زيد صبى ذكى نجيب، عمره إحدى عشرة سنة، فأسلم، و أمره النبى «صلى اللّه عليه و آله»: أن يتعلم خط اليهود؛ فجود الكتابة، إلى آخره». «۵».

المناقشة:

و بعد، فإن لنا على تلكم الروايات ملاحظات عدة، توجب لنا الشك و الريب فى سلامتها و صحتها، و نذكر من هذه الملاحظات ما يلى:

أ: إننا نجدها مختلفة فيما بينها، بصورة واضحة، الأمر الذى يشير إلى أنه لا يمكن أن تصح جميعها، فواحدة تقول: إنه أمره بتعلم السريانية، و أخرى: العبرانية، بل لقد وقع الترديد بينهما حتى فى الرواية

---

(۱) التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۲۰۳ و راجع: سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۲۹ و بهجة المجالس ج ۱ ص ۳۵۶.

(۲) تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۴۹، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۴۲۱، و تلخيصه للذهبى بهامش ص ۴۲۲ منه، و فتوح البلدان للبلاذرى ص ۵۸۳ و المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ۸ ص ۱۶۰.

(۳) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ۸ ص ۱۶۰.

(۴) أسد الغابة ج ۲ ص ۲۲۲، و عنه فى قاموس الرجال ج ۴ ص ۲۳۹، و تنقيح المقال ج ۱ ص ۴۶۲، و مكاتيب الرسول ج ۱ ص ۲۱ عنه أيضا.

(۵) تذكرة الحفاظ ج ۱ ص ۳۰ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۲۷، ۴۲۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۲۷

الواحدة.

و رواية تذكر: أنه قد تعلمها فى أقل من نصف شهر، و أخرى: إنه تعلمها فى خمسة عشر يوما، و ثالثة، فى سبعة عشر يوما، و رابعة: فى ثمانية عشر يوما.

و رواية تقول: إنه أمره بتعلمها لأنه لا يأمن يهود على كتابه، و أخرى تقول: إنه أمره بذلك، لأنه تأتيه كتب لا يحب أن يطلع عليها كل أحد.

و رواية تفيد: أنه قد أمره بذلك حين مقدمه المدينة. بينما تذكر أخرى: إنه إنما أمره بذلك فى السنة الرابعة، و تعلمها حينئذ.

هذا كله مع أن الراوى لذلك كله رجل واحد، و هو المصدر الوحيد لما قاله و يقوله الكتاب و المؤرخون على الظاهر، فى هذا المجال.

ب: إننا نلاحظ: أن الراوى لهذه القضية هو خصوص زيد بن ثابت بطل القصة نفسه، و لم نجدهم نقلوا ذلك عن غيره، رغم أهمية هذا الأمر و كونه ملفتا للنظر، و رغم أننا نجدهم يسجلون لنا حتى أبسط الحركات التى تصدر عن النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله».

و واضح: أن هذه القضية ترمى إلى إثبات فضيلة لنفس ناقلها، فليلاحظ ذلك.

ج: إننا- رغم تفحصنا- لم نعثر و لو على نص واحد، لرسالة واحدة أرسلها النبى «صلى اللّه عليه و آله»، أو وصلت إليه من غيره تكون مكتوبة بغير العربية.

كما أننا لم نجد حتى و لو إشارة واحدة إلى أية رسالة وصلت إليه من أحد أو أرسلها إلى أحد قيل إنها ترجمت له «صلى اللّه عليه و آله» من أى لغة أخرى إلى اللغة العربية، أو بالعكس.

بل قد وجد عدد من الرسائل المنسوبة إليه «صلى اللّه عليه و آله» فى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۲۸

بعض المتاحف و المكتبات الخاصة؛ كان قد أرسلها إلى كسرى، و إلى النجاشى، و إلى المقوقس. و يميل العلماء و المحققون إلى الجزم بأنها هى بعينها، التى كان «صلى اللّه عليه و آله» قد أرسلها إليهم.

نعم، لقد وجدت هذه الرسائل و كانت كلها مكتوبة باللغة العربية خاصة، و بالخط العربى، فراجع مجموعة الوثائق السياسية للبروفيسور حميد اللّه لتطلع على صور هذه الرسائل، و راجع أيضا مكاتيب الرسول للعلامة البحاثة الشيخ على الأحمدى الميانجى. و غيرهما من الكتب و المصادر.

و مما يدل على ذلك: أن الرواية تنص على أن قيصر قد طلب ترجمانا ليقرأ له كتاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۱».

نعم، هناك رسالة واحدة مكتوبة باللغة العبرية، حكم العلماء و الباحثون عليها بصورة قاطعة بالوضع و الإختلاق، فراجع الكتابين آنفى الذكر.

فأين ذهبت تلكم الرسائل التى كتبها زيد بن ثابت باللغة العبرية أو السريانية، أو ترجمها منها إلى العربية! و لماذا لم يشر التاريخ، و لو إلى واحدة منها؟ إن ذلك لعجيب حقا؟! و أى عجيب!!!

د: و الأعجب من ذلك أن بعض المصادر تذكر: أن زيد بن ثابت كان من أكثر كتاب النبى «صلى اللّه عليه و آله» كتابة له «۲».

و عبارة إبن عبد االبرّ: «كان كاتبه المواظب له فى الرسائل و الأجوبة» «۳» و يذكرون أيضا: أنه كان مختصا بالكتابة إلى الملوك «۴»، و أنه

---

(۱) راجع: مكاتيب الرسول ج ۱ ص ۱۰۹.

(۲) تهذيب الأسماء ج ۱ ص ۲۹، و الرصف ج ۱ ص ۱۴۸.

(۳) بهجة المجالس ج ۱ ص ۳۵۶.

(۴) راجع: التنبيه و الإشراف ص ۲۴۶، و الوزراء و الكتاب ص ۱۲، و العقد الفريد-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۲۹

كان يكتب له «صلى اللّه عليه و آله» إذا كتب إلى اليهود، و يقرأ له كتبهم.

فإذا كان كذلك فما بالنا نجد إسم كثير من الكتّاب فى أسفل الكتب التى كتبوها، فيقول فى آخر الكتاب: و كتب فلان، أو: و كتب

فلان و شهد، أو نحو ذلك- و هى طائفة كثيرة- و لا نجد إسما لزيد بن ثابت فى أى من الكتب التى وصلتنا، إلا على صفة الشاهد على بعض الكتب النادرة جدا؟!

نعم، إننا لم نجد له إسما لا على الكتب إلى الملوك، و لا على الكتب إلى اليهود، مع وجود أسماء كثيرين من الكتاب الآخرين على طائفة كبيرة منها. بل، لقد وجدنا أسماء آخرين كانوا قد كتبوا إلى الملوك، و إلى اليهود أيضا فليلاحظ: كتاب مفاداة سلمان من عثمان بن الأشهل اليهودى القرظى، فقد كتبه أمير المؤمنين على «عليه السلام».

و كتابه «صلى اللّه عليه و آله» إلى جيفر، و عبد، إبنى الجلندى، و هما من الملوك، و هو بخط أبى بن كعب.

و كتابه إلى المنذر بن ساوى، و هو من ملوك البحرين، بخط أبى.

و معاهدة يهود مقنا، هى أيضا بخط أمير المؤمنين على عليه الصلاة و السلام.

و كتابه «صلى اللّه عليه و آله» ليهود بنى عاديا من تيماء، كتبه خالد بن سعيد.

و كذا كتابه ليهود بنى عريض، كتبه خالد بن سعيد أيضا.

و يقال: إن معاوية أيضا قد كتب إلى المهاجر بن أبى أمية، و ربيعة

- ج ۴ ص ۱۶۱، و المفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ۸ ص ۱۳۴، و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۲۰۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص: ۳۳۰

بن ذى الرحب من حضر موت «۱».

كما أن كتابه «صلى اللّه عليه و آله» الذى أجاب به النجاشى الأول، قد كتبه أمير المؤمنين على بن أبى طالب «عليه الصلاة السلام» «۲».

و لعل المتتبع يجد أمثلة كثيرة سوى ما تقدم، فأين كان زيد بن ثابت عن ذلك، و عن سواه يا ترى؟!

ه: إننا نجد أن بعض الروايات المتقدمة تقول: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد علل طلبه من زيد تعلم اللغة العبرانية، أو السريانية، بأنه تأتيه كتب، و لا يحب أن يطلع عليها كل أحد، فاحتاج إلى أن يأمر زيدا بذلك، مع أنه قد كان آخرون غير زيد بن ثابت يعرفون العبرانية أو السريانية، و فيهم من هو من فضلاء الصحابة و ثقاتهم، و من مثل سلمان الفارسى! الذى هو من أهل البيت، فإنه كان قد قرأ الكتابين «۳»، فلماذا لا يعطيه النبى «صلى اللّه عليه و آله» كتبه التى لا يحب أن يطلع عليها كل أحد، ليقرأها له، فإنه لا ريب فى أمانته و دينه، و كونه عبدا لذلك القرظى لا يمنعه من ذلك، كما لم يمنعه من حضور حرب بدر و أحد. (كما سيأتى).

مع أن مراسلاته «صلى اللّه عليه و آله» للملوك قد بدأت بعد ذلك كما هو معلوم من التاريخ.

أضف إلى ذلك: أنه قد تحرر قبل غزوة الخندق، و هى فى الرابعة كما هو الظاهر أو فى الخامسة على أبعد تقدير كما تحدثنا عن ذلك فى

---

(۱) راجع فيما تقدم: مجموعة الوثائق السياسية، و مكاتيب الرسول.

(۲) راجع مكاتيب الرسول ج ۱ ص ۳۱.

(۳) راجع ذكر أخبار أصبهان ج ۱ ص ۴۸، و تاريخ بغداد ج ۱ ص ۱۶۴، و الطبقات الكبرى لإبن سعد ج ۴ قسم ۱ ص ۶۱، و حلية الأولياء ج ۱ ص ۱۸۷، و قاموس الرجال ج ۴ ص ۴۲۴ و ۲۳۳ عن الجزرى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص: ۳۳۱

كتابنا «حديث الأفك». و ستأتى الإشارة إلى ذلك فى موضعه من هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

و قد تقدم أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أمر زيدا بتعلم تلك اللغة فى السنة الرابعة.

أضف إلى ذلك: أنهم يقولون: إن الحبر اليهودى عبد اللّه بن سلام قد أسلم فى أول قدوم النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى المدينة، و قد ادّعوا نزول الآيات فى تقريضه و مدحه، فلماذا لا يقرء للنبى «صلى اللّه عليه و آله» ما سوف يأتيه من رسائل؟!

كما أنهم يقولون: إن عبد اللّه بن عمرو بن العاص، كان يقرأ بالسريانية «۱».

و يقول الدكتور جواد على: «و منهم مثل زيد بن ثابت من كتب له بالعربية، و بالعبرانية، أو السريانية، و ذكر أن بعضهم كان مثل زيد بن ثابت يكتب بغير العربية أيضا» «۲».

فلماذا ذكر إسم زيد بن ثابت و لم تذكر أسماء أولئك؟.

و: قد ذكروا: أن حنظلة بن الربيع كان يقوم مقام جميع كتابه (ص) بما فيهم زيد بن ثابت، إذا غاب أحد منهم حتى سمّى حنظلة الكاتب «۳»، الأمر الذى يشعر بأنه كان أيضا يحسن الكتابة بغير العربية، كزيد. كما أنه يدل على أنه كان ينوب عن زيد فى الكتابة إلى اليهود،

---

(۱) طبقات ابن سعد ج ۴ قسم ۲ ص ۱۱. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۶ ۳۳۱ المناقشة: ..... ص : ۳۲۶

(۲) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ۸ ص ۱۲۰.

(۳) راجع: التنبيه و الإشراف ص ۲۴۵، و الوزراء و الكتاب ص ۱۲- ۱۳، و العقد الفريد ج ۴ ص ۱۶۱، و المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ۸ ص ۱۲۶ و ۳۰۹ و ۱۳۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۳۲

و إلى الملوك. (راجع الهامش) «۱».

فإذا كان كذلك، فلماذا لم يعتمد النبى «صلى اللّه عليه و آله» على حنظلة، أو على غيره ممن أشار إليهم الدكتور جواد على، فإن الحاجة ترتفع بهم، و لا يبقى «صلى اللّه عليه و آله» بحاجة إلى اليهود (الذين كانوا غير مأمونين) لا فى الترجمة، و لا فى الكتابة.

و يلاحظ هنا: أنهم لم يبخلوا على زيد فى هذا المجال، فقد أتخموه بالأوسمة، و أغرقوه بآيات الثناء، و يكفى أن نذكر: أنهم جعلوه عالما، ليس فقط بالعربية قراءة و كتابة، و كذلك بالعبرانية، أو السريانية، و إنما أضافوا إلى ذلك: أنه كان يترجم للنبى «صلى اللّه عليه و آله» بالفارسية و الرومية و القبطية و الحبشية «۲».

و أنه قد تعلم الفارسية من رسول كسرى، و الرومية من حاجب النبى، و الحبشية من خادم النبى «صلى اللّه عليه و آله» و القبطية من خادم النبى أو خادمته «صلى اللّه عليه و آله» «۳».

و لا ندرى لماذا لم يتعلم الفارسية من سلمان، و الرومية من صهيب و الحبشية من بلال، فإن كلا منهم كان يجيد هذه اللغات بما لا مزيد عليه؟!

---

(۱) و لكنّنا لم نعثر حتى على رسالة واحدة، أو على أى شىء ذكر فيه إسم حنظلة هذا على أنه قد كتبه، و هذا أمر يثير العجب حقا!! فلعلّ خصوم أهل البيت قد منحوه هذا الوسام لأنه اعتزل عليا «عليه السلام» و لم يشترك فى حروبه.

(۲) راجع التنبيه و الإشراف ص ۲۴۶، و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۲۰۲ عن:

«العمدة» للتلمسانى، و عن ابن هشام فى «البهجة» و عن كتاب: «التعريف برجال مختصر ابن الحاجب» لإبن عبد السلام، و عن «الأعلام بسيرة النبى «صلى الله عليه و آله»، و المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ۸ ص ۱۳۳.

(۳) العقد الفريد ج ۴ ص ۱۶۱، و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۲۰۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۳۳

كما لا ندرى لماذا لم نجد أية إشارة لكتاب مترجم من هذه اللغات إلى العربية أو من العربية إليها، أو غير ذلك، مما يحتاج إلى الترجمة؟!

ز: لقد روى عن أبى جعفر «عليه السلام»: قال: كان غلام من اليهود، يأتى النبى «صلى اللّه عليه و آله» كثيرا حتى استخفه (استحقه) و ربما أرسله فى حاجة، و ربما كتب له الكتاب إلى قوم؛ فافتقده أياما فسأل عنه، فقال له قائل: تركته فى آخر يوم من أيام الدنيا، فأتاه النبى «صلى اللّه عليه و آله» الخ «۱».

ح: و أخيرا، فلا ندرى ما حاجة النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى الترجمة، مع أن جمعا من المحققين قد أثبتوا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان يعرف جميع اللغ الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۶ ۳۳۳ المناقشة: ..... ص : ۳۲۶

ات، فلا يحتاج إلى مترجم و لا إلى غيره، و قد كلم سلمان بالفارسية، و تكلم بغيرها من اللغات أيضا الخ .. «۲»

ط: و أما قوله فى الرواية: إنه «صلى اللّه عليه و آله» أمره بذلك حين قدومه المدينة، ثم روايتهم: أنه كان يكتب فى الجاهلية «۳»، فينافيه قولهم: إنه تعلم الكتابة من أسرى بدر «۴».

ملاحظتان:

الأولى: قال العلامة المحقق الشيخ على الأحمدى الميانجى، بعد أن تكلم حول معرفته «صلى اللّه عليه و آله» باللغات، عربيّها، و عجميّها،

---

(۱) الأمالى للصدوق ص ۳۵۶ و البحار ج ۷۸ ص ۲۳۴ و ج ۶ ص ۲۶.

(۲) راجع التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۲۰۹- ۲۰۸، و لعل احسن من تكلم فى هذا الموضوع: العلامة المحقق الشيخ على الأحمدى فى كتابه، مكاتيب الرسول ج ۱ ص ۱۵- ۱۶ فليراجع.

(۳) المفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ۸ ص ۱۲۰.

(۴) المفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ۸ ص ۱۳۳ و ۲۹۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۳۴

و أيّد ذلك بنقل المؤرخين و المحدثين أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان يتكلم مع كل قوم بلسانهم، قال حفظه اللّه: «و لكنه «صلى اللّه عليه و آله» كتب إلى ملوك العجم كقيصر، و كسرى، و النجاشى بلغة العرب، مع أنّ الجدير أن يكتب إلى كل قوم بلسانهم؛ إظهارا للمعجزة، و إستحداثا للألفة؛ فما الوجه فى ذلك؟! و أىّ فائدة فى الكتابة بالعربية؟ و أى وازع فى الترقيم بالعجمية؟!

و الذى يقضى به التدبر، و ينتهى إليه الفكر: أن الفائدة فى ذلك هو حفظ شؤون الملة الإسلامية، و صونا لجانب الإستقلال و العظمة، ألا ترى أن الأمم الراقية المتمدنة يسعون فى إنتشار لسانهم فى العالم، حتى تصير لغتهم لغة عالمية، إعمالا للسيادة، و تثبيتا للعظمة.

فكأنه «صلى اللّه عليه و آله» يلاحظ جانب الإسلام، و أنه يعلو و لا يعلى عليه، و أن لغة القرآن لا بد و أن تنتشر، و تعم العالم، لأن القرآن كتاب للعالم؛ فعظمة القرآن، و عموم دعوته، و عظمة النبى الأقدس، و رسالته العالمية، تقضى أن يكتب إليهم بلغة القرآن.

فعلى ملوك العالم، و العالم البشرى أن يتعلموا لسانه المقدس.

و لغته السامية، لغة القرآن المجيد، تثبيتا لهذا المرمى العظيم، و الغرض العالى» «۱».

الثانية: و بعد، فإننا لا ننكر أن يكون زيد بن ثابت قد تعلم شيئا من العبرانية أو السريانية، قليلا كان ذلك أو كثيرا، و لكننا نشك فى أن يكون النبى (ص) هو الذى طلب منه ذلك، و نشك كذلك فى ان يكون قد كتب له «صلى اللّه عليه و آله» بهذه اللغات، أو

ترجم له شيئا من الكتب التى أتته، فإن الروايات المتقدمة لا تكفى لإثبات ذلك على الإطلاق بل قدمنا ما يوجب ضعفها و وهنها و لا بد لإثبات ذلك من اعتماد أدلة و شواهد

---

(۱) مكاتيب الرسول ج ۱ ص ۱۶- ۱۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۳۵

أخرى، لا نراها متوفرة فيما بأيدينا، من نصوص و مصادر، بل إن ما بأيدينا يؤيد إن لم يكن يدل على خلاف ذلك، كما ألمحنا إليه.

و الظاهر: أن الهدف هو إثبات فضيلة لزيد بن ثابت، و إن كانت كل الدلائل و الشواهد تشير إلى خلافها، ما دام لا يخطر ببال أحد: أن يبحث حول ثبوت ذلك و صحته بنظرهم.

و سنتكلم عن سر تكرمهم بالفضائل لهذا الرجل فى آخر هذا الفصل إن شاء اللّه تعالى.

و نذكر من الفضائل التى أضيفت إلى زيد بن ثابت أيضا ما يلى:

علم زيد بالفرائض:

سيأتى أن عمر و عثمان ما كانا يقدّمان على زيد فى الفرائض أحدا.

و قد خطب عمر الناس، فكان مما قال: «و من أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت» «۱».

و ادّعوا: أنه كان أعلم أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالفرائض «أى فرائض الإرث» «۲».

و لكننا نقول: إننا نجد فى مقابل ذلك:

۱- أن مسروقا- و إن كنا نعتقد أن ذلك لدوافع سياسية- يقول عن عائشة: أنه رأى: «أكابر أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يسألونها

---

(۱) راجع: مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۲۷۲- ۲۷۳ و سنن البيهقى ج ۶ ص ۲۱۰، و طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۱۱۵، و مجمع الزوائد ج ۱ ص ۱۳۵، و الغدير ج ۶ ص ۱۹۱- ۱۹۲، و راجع ج ۵ ص ۳۶۱ و ج ۸ ص ۶۴ ففيه مصادر أخرى.

(۲) تهذيب الأسماء ج ۱ ص ۲۰۱ و راجع المصادر المتقدمة، و ترجمة زيد بن ثابت فى مختلف المصادر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۳۶

عن الفرائض» «۱».

۲- إن أئمة أهل البيت «عليهم السلام» قد رفضوا دعوى أعلمية زيد بالفرائض، فقد روى عن الإمام الباقر «عليه السلام»، قال: الحكم حكمان: حكم اللّه، و حكم الجاهلية، و أشهد على زيد بن ثابت لقد حكم فى الفرائض بحكم الجاهلية «۲».

۳- و قد ألف سعد بن عبد اللّه القمى كتاب: إحتجاج الشيعة على زيد بن ثابت فى الفرائض «۳».

و قد ذكر إبن شاذان فى الإيضاح طائفة من مسائل الإرث لم يوفق زيد للصواب فيها، فليراجعه من أراده «۴».

و قال: «... و أما فرائض زيد، فلم يبق أحد من الصحابة، إلا و قد اعترض عليه فيما فرض».

۴- عن سعيد بن وهب، قال: قال عبد اللّه: أعلم أهل المدينة بالفرائض على بن أبى طالب «عليه السلام» «۵».

و هذا هو الحق الذى لا محيص عنه، فإنه «عليه السلام» باب مدينة العلم، و لكن قاتل اللّه السياسة و ألاعيبها.

---

(۱) الزهد و الرقائق ص ۳۸۲.

(۲) التهذيب للشيخ الطوسى ج ۶ ص ۲۱۸، و الكافى ج ۷ ص ۴۰۷، و الوسائل ج ۱۸ ص ۱۱، و قاموس الرجال ج ۴ ص ۲۳۹. و تنقيح المقال ج ۱ ص ۴۶۱ و بحوث فى تاريخ القرآن و علومه ص ۱۱۸.

(۳) رجال النجاشى ص ۱۷۸ و قاموس الرجال ج ۴ ص ۲۴۰.

(۴) الإيضاح ص ۳۱۵ فما بعدها.

(۵) أنساب الأشراف بتحقيق المحمودى ج ۲ ص ۱۰۵، و فى هامشه عن: الفضائل لأحمد بن حنبل حديث رقم ۱۱ من فضائل على، و عن أخبار القضاة ج ۱ ص ۸۹ بثلاثة طرق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۳۷

ملاحظة:

بالنسبة لشهادة الإمام الباقر «عليه السلام» بأن زيد بن ثابت قد حكم فى الفرائض بحكم الجاهلية. لعله لأن زيد بن ثابت كان يفتى برأيه، حسب اعترافه فيما سيأتى، و لعل عامة ما كان يفتى به كان خطأ، على حد قوله نفسه، و كذلك وجود بعض الرواسب فى نفسه و فى فكره و كون دين اللّه لا يصاب بالعقول- لعل كل ذلك- هو السبب فى أن زيدا قد حكم فى الفرائض بحكم الجاهلية.

و قد جرت بين زيد و بين أمير المؤمنين «عليه السلام» بعض المساجلات فى مجال الفرائض لم يستطع زيد أن يقدم الجواب الكافى فى مقابل ما بينه له أمير المؤمنين «عليه السلام» فى تلك المسألة، فإن مكاتبة زنت، و قد عتق منها ثلاثة أرباعها، فقال «عليه السلام»: يجلد منه بحساب الحرية و يجلد منها بحساب الرق، و قال زيد بن ثابت: تجلد بحساب الرق، فاعترض عليه أمير المؤمنين «عليه السلام» بأنه هلّا جلدها بحساب الحرية، فإنها فيها أكثر، فقال زيد: لو كان ذلك كذلك لوجب توريثها بحساب الحرية. فقال «عليه السلام»: أجل ذلك واجب، فافحم زيد «۱».

و لكن عثمان خالف عليا، و صار إلى قول زيد رغم ظهور الحجة عليه. و لعل هذه الإرهاصات فى علم زيد بالفرائض قد أريد منها أن يعوض عن فشله ذاك بمنحه أوسمة الجدارة مضادة لعلى «عليه السلام» و تنكرا له.

أبو عمر و الراية لزيد فى تبوك:

قال أبو عمر: «... و كانت راية بنى مالك بن النجار فى تبوك مع

---

(۱) راجع قاموس الرجال ج ۴ ص ۲۴۰ عن إرشاد المفيد.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۳۸

عمارة بن حزم، فأخذها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و دفعها إلى زيد بن ثابت.

فقال عمارة: يا رسول اللّه، أبلغك عنى شيء؟!

قال: لا و لكن القرآن مقدم، و زيد أكثر منك أخذا للقرآن.

و هذا عندى خبر لا يصح، و اللّه اعلم «۱».

و نزيد نحن هنا: أنه لو كان الأمر كذلك للزم ان يعطى الراية إلى أبى بن كعب، سيد القراء؛ فلماذا خص بها زيدا دونه. فإن كلا منهما من أبناء مالك بن النجار، فهل كان زيد أقرأ من أبى؟! الذى وصفه رسول اللّه (ص) كما فى بعض الروايات بأنه أقرأ الأمة «۲»، أم أن أبيا تخلف عن غزوة تبوك، فلماذا لم يعامل معاملة المتخلفين، مع أنهم يقولون: إنه شهد بدرا، و المشاهد كلها «۳».

و لماذا لا يجرى النبى «صلى اللّه عليه و آله» هذه القاعدة فى سائر الموارد، و ذلك بالنسبة لإبن مسعود فى المهاجرين، و كذا غيره ممن نص التاريخ على أنهم قد حفظوا القرآن، و جمعوه فى عهد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟!.

زيد، و جمع القرآن:

و قد أشارت رواية أخذه الراية فى تبوك، إلى كثرة أخذ زيد للقرآن،

---

(۱) الإستيعاب بهامش الإصابة ج ۱ ص ۵۵۲، و الخبر فى مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۴۲۱ و مغازى الواقدى ج ۳ ص ۱۰۰۳ و الإصابة ج ۱ ص ۵۶۱ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۴۹ و تهذيب الأسماء ج ۱ ص ۲۰۱ و أسد الغابة ج ۲ ص ۲۲۲.

(۲) راجع كتابنا حقائق هامة حول القرآن فصل: ماذا عن جمع القرآن فى عهد الخلفاء.

(۳) الإصابة ج ۱ ص ۱۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۳۹

كما أنهم يذكرون لزيد مقاما فريدا بالنسبة لجمع القرآن، فى عهد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؛ إذ يقال: «إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة، التى بين فيها ما نسخ، و ما بقى، و كتبها الرسول، و قرأها عليه، و كان يقرىء الناس بها حتى مات، و لذلك اعتمده أبو بكر و عمر، و جمعه، و ولاه عثمان كتب المصاحف» «۱».

و قال ابن قتيبة: «و كان آخر عرض رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» القرآن على مصحفه» «۲».

و صحح أبو عمر حديث أنس: أن زيد بن ثابت أحد الذين جمعوا القرآن على عهد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۳».

و نقول: لقد تحدثنا عن دور زيد فى جمع القرآن على عهد الخلفاء بعد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى كتابنا «حقائق هامة حول القرآن» و قلنا هناك.

إن جمع القرآن قد حصل فى زمن النبى «صلى اللّه عليه و آله» نفسه، و أثبتنا ذلك بالأدلة الكثيرة.

و قلنا أيضا: إن محمد بن كعب القرظى لم يذكر زيد بن ثابت فى عداد من جمع القرآن فى عهد النبى «صلى اللّه عليه و آله». و قلنا كذلك:

إن رواية جمع زيد للقرآن فى عهد أبى بكر تعانى من إشكالات أساسية لا مجال لتجاهلها، و أن الصحيح: هو أنه قد جمع مصحفا

---

(۱) الإتقان ج ۱ ص ۵۰ عن البغوى فى شرح السنة و راجع تاريخ القرآن للزنجانى ص ۳۹- ۴۰.

(۲) المعارف ص ۲۶۰ و عنه فى المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ۸ ص ۱۳۴ و راجع البرهان للزركشى ج ۱ ص ۲۳۷.

(۳) الإستيعاب بهامش الإصابة ج ۱ ص ۵۵۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۴۰

شخصيا للخليفة، الذى لم يكن يملك مصحفا تاما.

و قال أبو عمر: عن حديث جمع زيد للقرآن فى عهد الرسول «صلى اللّه عليه و آله»:

«... و قد عارضه قوم، بحديث ابن شهاب، عن عبيد بن السباق، عن زيد بن ثابت: أن أبا بكر أمره فى حين مقتل القراء باليمامة، بجمع القرآن، قال: فجعلت أجمع القرآن من العسب، و الرقاع، و صدور الرجال، حتى وجدت آخر آية من التوبة، مع رجل يقال له: خزيمة، أو أبو خزيمة.

قالوا: فلو كان زيد قد جمع القرآن على عهد رسول اللّه لأملاه من صدره، و ما احتاج إلى ما ذكر.

قالوا: و أما خبر جمع عثمان للمصحف؛ فإنما جمعه من الصحف، التى كانت عند حفصة؛ من جمع أبى بكر ...» «۱» إنتهى كلام أبى عمر.

و أما بالنسبة لشهود زيد للعرضة الأخيرة؛ فإننا نجد فى المقابل مصادر كثيرة تذكر: أن إبن مسعود هو الذى شهد العرضة الأخيرة «۲».

و على كل حال. فإن تفصيل الكلام فى هذا الأمر موجود فى كتابنا:

الذى المحنا إليه آنفا، فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

---

(۱) الإستيعاب بهامش الإصابة ج ۱ ص ۵۵۲.

(۲) راجع طبقات ابن سعد ج ۲ قسم ۲ ص ۱۰۴ و ص ۴ و كنز العمال ج ۲ ص ۲۲۴- ۲۲۵ عن ابن عساكر، و كشف الأستار عن مسند البزار ج ۳ ص ۲۵۱ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۸۸ عن أحمد، و البزار، و رجال أحمد رجال الصحيح، و فتح البارى ج ۹ ص ۴۰ و ۴۱ و الإستيعاب بهامش الإصابة ج ۲ ص ۳۲۲، و مشكل الآثار ج ۱ ص ۱۱۵ و ج ۴ ص ۱۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۴۱

الفضائل و السياسة:

و بعد، فإننا قد تعودنا من المخالفين لأهل البيت عليهم السلام، إبتداء من الأمويين ثم العباسيين، محاولاتهم الدائبة للحطّ من على «عليه السلام»، و أهل بيته صلوات اللّه و سلامه عليهم و التستر على فضائله و مزاياه، و إظهار العيب له. و قد قال المغيرة بن شعبة لصعصعة: «و إياك أن يبلغنى عنك: أنك تظهر شيئا من فضل على، فأنا أعلم بذلك منك، و لكن هذا السلطان قد ظهر و قد أخذنا بإظهار عيبه للناس» «۱».

و النصوص الدالة على هذه السياسة كثيرة جدا، بل هى فوق حد الإحصاء.

و من جهة أخرى فإنهم يعملون على إظهار التعظيم الشديد، لكل من كان على رأيهم، و يذهب مذهبهم، و يصنعون لهم الفضائل، و يختلقون لهم الكرامات، و ذلك أمر مشهود، و واضح و قد أشرنا إليه غير مرة.

و المراجع لحياة زيد بن ثابت، و لمواقفه السياسية يجد: أنه كان منحرفا عن أمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام.

كما و يجد أنه ممن تهتم السلطة برفع شأنهم، و تأكيد فضلهم و نسبة الكرامات إليهم.

الخط السياسى لزيد بن ثابت:

و بعد، فإن الذى يراجع حياة زيد بن ثابت و مواقفه، يجد: أنه كان عثمانيا، و منحرفا عن أمير المؤمنين على «عليه السلام».

فعدا عن أنه كان له موقف فى السقيفة، يؤيد فيه صرف الأمر عن

---

(۱) راجع الكامل لإبن الأثير ج ۳ ص ۴۳۰ و تاريخ الأمم و الملوك طبع الإستقامة ج ۴ ص ۱۴۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۴۲

الأنصار إلى المهاجرين، و قد أثنى عليه أبو بكر، و مدحه لأجله «۱» فإنه:

كان أحد الذين لم يبايعوا عليا أمير المؤمنين عليه آلاف التحية و السلام «۲».

بل لقد كان زيد بن ثابت مع عمر حينما ذهب للإتيان بعلى «عليه السلام» من بيته لأجل البيعة «۳».

و «كان زيد عثمانيا، و لم يشهد مع على شيئا من حروبه» «۴».

و قد قطع أمير المؤمنين «عليه السلام» العطاء عمن لم يشهد معه، و أقامهم مقام أعراب المسلمين «۵».

و كان زيد عثمانيا، يحرض الناس على سب أمير المؤمنين «عليه السلام» «۶».

و «كان عثمان يحب زيد بن ثابت» «۷».

«و الذين نصروا عثمان، كانوا أربعة، كان زيد بن ثابت أحدهم،

---

(۱) راجع سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۳۳ و مسند أحمد ج ۵ ص ۱۸۶ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۴۹ و التمهيد فى علوم القرآن ج ۱ ص ۲۴۴ عنه.

(۲) راجع تاريخ الأمم و الملوك طبع دار المعارف ج ۴ ص ۴۳۰ و ۴۳۱ و الكامل فى التاريخ ج ۳ ص ۱۹۱.

(۳) أنساب الأشراف ج ۱ ص ۵۸۵. (قسم حياة النبى «صلى اللّه عليه و آله»).

(۴) أسد الغابة ج ۲ ص ۲۲۲ و الاستيعاب بهامش الإصابة ج ۱ ص ۵۵۴ و قاموس الرجال ج ۴ ص ۲۳۹ و تنقيح المقال ج ۱ ص ۴۶۲ و راجع الكامل لإبن الأثير ج ۳ ص ۱۹۱.

(۵) دعائم الإسلام ج ۱ ص ۳۹۱- ۳۹۲.

(۶) سفينة البحار ج ۱ ص ۵۷۵.

(۷) الاستيعاب بهامش الإصابة ج ۱ ص ۵۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۴۳

و لم ينصره أحد من الصحابة غيرهم» «۱».

و كان على قضاء عثمان «۲»، و على بيت المال و الديوان له «۳».

و كان عثمان يستخلفه على المدينة «۴».

و كان يذب عن عثمان حتى رجع لقوله جماعة من الأنصار «۵».

و قد قال للأنصار: إنكم نصرتم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فكنتم أنصار اللّه، فانصروا خليفته تكونوا أنصارا للّه مرتين؛ فقال الحجاج بن غزية: و اللّه إن تدرى هذه البقرة الصيحاء ما تقول، إلى آخره.

و فى نص آخر: أن سهل بن حنيف أجابه؛ فقال: يا زيد، أشبعك عثمان من عضدان المدينة؟! و العضيدة: نخلة قصيرة، ينال حملها «۶».

و كان بنو عمرو بن عوف قد أجلبوا على عثمان، و كان زيد يذب عنه، فقال له قائل منهم:

---

(۱) الكامل لإبن الأثير ج ۳ ص ۱۵۱ و راجع ص ۱۶۱، و أنساب الأشراف ج ۵:

ص ۶۰، و الغدير ج ۹ ص ۱۵۹ و ۱۶۰ عن المصادر التالية: تاريخ الطبرى ج ۵ ص ۹۷ و تاريخ ابن خلدون ج ۲ ص ۳۹۱ و تاريخ أبى الفداء ج ۱ ص ۱۶۸.

(۲) الكامل لإبن الأثير ج ۳ ص ۱۸۷.

(۳) راجع الكامل لإبن الأثير ج ۳ ص ۱۹۱ و أسد الغابة ج ۲ ص ۲۲۲ و أنساب الأشراف ج ۵ ص ۵۸ و ۸۸ و الاستيعاب بهامش الإصابة ج ۱ ص ۵۵۳ و ۵۵۴ و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۱۲۰ و تهذيب الأسماء ج ۱ ص ۲۰۱ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۴ ص ۴۳۰ طبع دار المعارف.

(۴) راجع المصادر المتقدمة بإستثناء الأول منها. و البداية و النهاية ج ۷ ص ۳۴۷ و شذرات الذهب ج ۱ ص ۵۴ و أسد الغابة ج ۲ ص ۲۲۲.

(۵) تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۵۱.

(۶) أنساب الأشراف ج ۵ ص ۹۰ و ۷۸، و راجع الكامل لإبن الأثير ج ۳ ص ۱۹۱، و تاريخ الأمم و الملوك ج ۴ ص ۴۳۰ طبع دار المعارف.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۴۴

و ما يمنعك؟! ما أقل و اللّه من الخزرج من له من عضدان العجوة مالك!

فقال زيد: إشتريت بمالى، و قطع لى إمامى عمر، و قطع لى إمامى عثمان.

فقال له ذلك الرجل: أعطاك عمر عشرين ألف دينار؟

قال: لا، و لكن كان عمر يستخلفنى على المدينة، فو اللّه، ما رجع من مغيب قط إلا قطع لى حديقة من نخل «۱».

و إستخلاف عمر له فى أسفاره معروف و مشهور «۲».

هذا و قد أعطاه عثمان يوما مائة ألف مرة واحدة «۳».

و قد بلغ من ثراء زيد أن خلّف من الذهب و الفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال و الضياع بقيمة مائة ألف دينار «۴».

و كان محل العناية التامة من قبل عمر، فعدا عن استخلافه له فى كل سفر يسافره و إقطاعه الحدائق، فإنه كان كاتب عمر «۵»، و كان على قضائه

---

(۱) تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۵۱ و راجع ص ۵۵۰ و راجع الإصابة ج ۱ ص ۵۶۲، و راجع سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۳۴ و اخبار القضاة ج ۱ ص ۱۰۸.

(۲) راجع فى ذلك عدا عمّا تقدّم و سيأتى: تذكرة الحفاظ ج ۱ ص ۳۱ و الإصابة ج ۱ ص ۵۶۲، و الاستيعاب بهامشها ج ۱ ص ۵۵۳ و ۵۵۲ و البداية و النهاية ج ۷ ص ۳۴۷ و شذرات الذهب ج ۱ ص ۵۴ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۲۷ و ۴۳۴ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۵۰ و تهذيب الأسماء ج ۱ ص ۲۰۱ و أسد الغابة ج ۲ ص ۲۲۲.

(۳) أنساب الأشراف ج ۵ ص ۳۸ و ۵۲، و الغدير ج ۸ ص ۲۹۲ و ۲۸۶.

(۴) الغدير ج ۸ ص ۲۸۴ عن مروج الذهب ج ۱ ص ۴۳۴.

(۵) تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۴۸ و أشار الى كتابته فى المعارف ص ۲۶۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۴۵

و فرض له رزقا «۱».

و يكفى أن نذكر هنا عبارة ابن سعد، و ابن عساكر، و هى:

«كان عمر- يستخلف زيدا فى كل سفر، و قلّ سفر يسافره و لم يستخلفه، و كان يفرّق الناس فى البلدان و ينهاهم أن يفتوا برأيهم، و يحبس زيدا عنده- إلى أن قال: و كان عمر يقول: أهل البلد- يعنى المدينة- محتاجون إليه، فيما يجدون إليه، و فيما يحدث لهم مما لا يجدونه عند غيره» «۲».

«و ما كان عمر و عثمان يقدمان على زيد أحدا، فى القضاء و الفتوى، و الفرائض و القراءة» «۳».

ثم كان زيد فى زمن معاوية على ديوان المدينة، فقد قال ابن قتيبة، عن عبد الملك بن مروان، الذى ولد سنة أربع و عشرين هجرية:

«كان معاوية جعله مكان زيد بن ثابت على ديوان المدينة، و هو إبن ست عشرة سنة» «۴».

ثم كان عبد الملك بن مروان من الذين يقولون بقول زيد «۵».

---

(۱) طبقات ابن سعد ج ۲ قسم ۲ ص ۱۱۵- ۱۱۶، و تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۵۱، و تذكرة الحفّاظ ج ۱ ص ۳۲ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۳۵.

(۲) راجع تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۵۰، و طبقات ابن سعد ج ۲ قسم ۲ ص ۱۱۶ و ۱۱۷، و كنز العمال ج ۱۶ ص ۷، و حياة الصحابة ج ۳ ص ۲۱۸ و راجع: سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۳۴.

(۳) تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۵۰، و طبقات ابن سعد ج ۲ قسم ۲ ص ۱۱۵، و راجع: تذكرة الحفاظ ج ۱ ص ۳۲، و كنز العمال ج ۱۶ ص ۶ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۳۴.

(۴) المعارف ص ۳۵۵.

(۵) تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۵۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۴۶

أما أبوه مروان، فكان قد بلغ من اهتمامه بزيد: أن دعاه، و أجلس له قوما خلف ستر، فأخذ يسأله، و هم يكتبون ففطن لهم زيد، فقال: يا مروان اعذر، إنما أقول برأيى «۱».

و أتاه أناس يسألونه، و جعلوا يكتبون كل شيء قاله، فلما أطلعوه على ذلك قال لهم: «لعل كل الذى قلته لكم خطأ، إنما قلت لكم بجهد رأى» «۲».

و مع أنه يعترف بأنه إنما يفتى لهم برأيه، فقد بلغ من عمل الناس بفتواه المدعومة من قبل الحكام: أن سعيد بن المسيب يقول: «لا أعلم له قولا لا يعمل به، فهو مجمع عليه فى المشرق و المغرب» «۳».

فانظر ماذا ترى!؟

و آخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

---

(۱) تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۵۲، و طبقات ابن سعد ج ۲ قسم ۲ ص ۱۱۶ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۳۸ و فى هامشه عن الطبرانى.

(۲) تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۵۲.

(۳) تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۴۵۱، و طبقات ابن سعد ج ۲ قسم ۲ ص ۱۱۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۴۷

الفهارس

اشاره

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۴۹

۱- الدليل الاجمالى للكتاب

الفصل الرابع: غزوات و سرايا دفاعية ۵- ۲۰

الفصل الخامس: غدر اليهود و مرحلة الاغتيالات المنظمة ۲۱- ۵۴

الفصل السادس: حروب علنية بين المسلمين و اليهود ۵۵- ۶۹

الباب الرابع: غزوة أحد ۷۱- ۳۱۵

الفصل الأول: قبل نشوب الحرب ۷۳- ۱۳۴

الفصل الثانى: نصر و هزيمة ۱۳۵- ۱۹۸

الفصل الثالث: فى موقع الحسم ۱۹۹- ۲۴۸

الفصل الرابع: بعد ما هبت الرياح ۲۴۹- ۲۹۷

الفصل الخامس: غزوة حمراء الأسد، و إلى السنة الرابعة ۲۹۹- ۳۱۵

الباب الخامس: شخصيات و أحداث ۳۱۷

الفصل الأول: أوسمة و همية لزيد بن ثابت ۳۱۹- ۳۴۶

الفهارس ۳۴۷

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۵۱

۲- الدليل التفصيلى للكتاب

الفصل الرابع: غزوات و سرايا دفاعية ۵- ۲۰

غزوات و سرايا ۷

غزوات لبنى سليم و غطفان ۷

غزوة السويق ۸

غزوة ذى أمر ۹

سرية القردة ۱۰

وقفات مع ما تقدم: أ: الأعمى و القضاء ۱۱

ب: من أهداف تلك السرايا و الغزوات ۱۲

ج: العتق و الصلاة ۱۳

د: التورية بالغزوات ۱۵

ه: قريش فى مواجهة الأخطار ۱۶

و: مناقشة قضية دعثور ۱۶

الفصل الخامس: غدر اليهود و مرحلة الاغتيالات المنظمة ۲۱- ۵۴

مع عقائد اليهود و آثارها ۲۳

ملاحظة ۲۶

من أسباب عداء اليهود للإسلام ۲۷

اليهود فى مواجهة الإسلام ۳۰

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۵۲

موقف النبی (ص) من الیهود ۳۴

العملیات العسکریة فی مرحلتین ۳۴

الاغتیالات المنظمة: ۳۵

۱- قتل أبی عفک ۳۵

۲- قتل العصماء بنت مروان ۳۶

۳- قتل کعب بن الأشرف ۳۷

۴- قتل ابن سنینة ۴۱

۵- قتل أبی رافع ۴۱

أ: الإسلام قید الفتک ۴۳

جریمة معاویة ۴۶

ب: رعب الیهود ۴۷

ج: مع موقف عمیر فی أصالته و نبله ۴۷

د: ابن الأشرف و أبو سفیان ۴۹

ه: تساؤل حائر ۵۰

و: التنافس القبلی ۵۲

ز: جهل و غرور ابن الأشرف ۵۲

ح: الإسلام و الإنسان ۵۲

الفصل السادس: حروب علنیة بین المسلیمن و الیهود ۵۵- ۶۹

قریش تحرض الیهود علی نقض العهد ۵۷

تصعید التحدی ۵۸

أ: نزول الآیة فی ابن أبی ۶۰

حقیقة القضیة ۶۱

ب: حول الرایة ۶۲

ج: الخمس ۶۳

د: بعض أهداف و نتائج حرب بنی قینقاع ۶۴

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۶،ص:۳۵۳

ه: الحجاب ۶۵

و: الغرور و الإیمان ۶۶

ز: الاستجابة لابن أبی ۶۷

ح. بنو قینقاع تحت الأضواء ۶۷

الباب الرابع: غزوة أحد ۷۱- ۳۱۵

الفصل الأول: قبل نشوب الحرب ۷۳- ۱۳۴

أجواء و مواقف ۷۵

جیش المشرکین إلی أحد ۷۷

سؤال و جوابه ۷۹

وصول الخبر إلی المدینة ۷۹

سؤال یحتاج إلی جواب ۸۰

المشرکون و أزمة الثقة ۸۱

عنصر السریة لتلاقی الأخطار المحتملة ۸۴

المشرکون فی طریق المدینة ۸۵

الأول: معرفة النبی (ص) بواقع أصحابه ۸۵

الثانی: الافلاس علی کل صعید ۸۶

النبی (ص) یستشیر أصحابه ۸۶

أ: هل النبی (ص) یحتاج إلی رأی أحد ۸۹

الجواب عن السؤال الأول ۹۰

ب: من أهداف استشارته (ص) لأصحابه ۹۳

و أما الجواب عن السؤال الثانی ۹۴

ج: نظریة خلافة الإنسان و شهادة الأنبیاء ۹۶

مناقشة ما تقدم ۹۹

د: ما هو رأی النبی (ص) فی أحد ۱۰۵

ه: لبس لأمة الحرب یعنی القتال ۱۱۲

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۶،ص:۳۵۴

و: من الأکاذیب ۱۱۳

عقد الألویة ۱۱۴

اللواء مع علی (ع) فقط ۱۱۵

لا فرق بین اللواء و الرایة ۱۲۰

عدة و عدد المسلمین ۱۲۱

رجوع المنافقین ۱۲۲

الخیانة و آثارها ۱۲۳

سؤال و جوابه ۱۲۵

إرجاع الصغار ۱۲۸

الریب فیما ینقل عن سمرة ۱۲۹

الحراسة و قصة ذکوان ۱۳۲

الشک فی قصة ذکوان ۱۳۳

الفصل الثانی: نصر و هزیمة ۱۳۵- ۱۹۸

التعبئة للقتال ۱۳۷

أ: المظاهرة بين درعين ۱۳۸

ب: المنطق القبلى لدى أبى سفيان ۱۳۹

أبو دجانة و السيف ۱۳۹

ملاحظات على هذه الرواية ۱۴۰

نشوب الحرب و قتل أصحاب اللواء ۱۴۳

أ: بنو مخزوم و أهل البيت ۱۴۵

ب: الزبير و المقداد على الخيل ۱۴۶

ج: إخلاص على (ع) و عطفه على كبش الكتيبة ۱۴۶

د: من قتل أصحاب اللواء ۱۴۷

لماذا التزوير ۱۴۸

ه: مبارزة أبى بكر لولده ۱۴۹

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۵۵

و لنا على ما ذكر ملاحظات ۱۵۰

هزيمة المشركين ۱۵۲

أ: لماذا لم يسب من نساء قريش أحد ۱۵۳

ب: مقارنة ۱۵۵

الهزيمة بعد النصر ۱۵۶

تصحيح و توضيح ۱۵۸

الرسول يدعوهم فى أخراهم ۱۵۸

على (ع) و كتائب المشركين ۱۵۹

أ: استشهاد حمزة رضوان اللّه عليه ۱۶۱

استطراد حول وحشى ۱۶۲

ب: هل يدعو النبى (ص) على قومه ۱۶۶

استطراد هام ۱۶۹

و لا تذهب نفسك عليهم حسرات ۱۷۳

لم يثبت فى أحد غير على ۱۷۴

إنه منى و أنا منه ۱۷۵

لا سيف إلا ذو الفقار ۱۷۷

الفارون فى أحد ۱۸۰

فرار سعد ۱۸۱

فرار طلحة ۱۸۲

فرار أبى بكر ۱۸۳

فرار عمر ۱۸۶

فرار الزبیر ۱۹۰

فرار عثمان ۱۹۱

لم یثبت من المهاجرین سوی علی ۱۹۲

سر الاختلاف فی من ثبت ۱۹۳

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۶،ص:۳۵۶

ثبات أبی دجانة ۱۹۳

نحن و شعر حسان المتقدم ۱۹۴

تأویلات سقیمة للفرار ۱۹۵

لماذا کانت الهزیمة ۱۹۵

الفصل الثالث: فی موقع الحسم ۱۹۹- ۲۴۸

الرعب القاتل ۲۰۱

عودة المسلمین إلی القتال ۲۰۲

مواقف و بطولات ۲۰۳

۱- مع أنس بن النضر و ابن السکن و أصحابه ۲۰۳

۲- أبو دجانة ۲۰۴

۳- أم عمارة و مقام فلان و فلان!! ۲۰۵

جهاد المرأة ۲۰۷

۴- أم سلیط ۲۰۹

۵- حنظلة الغسیل ۲۰۹

۶- بین مواقف عبد اللّه بن جحش، و ابن أبی وقاص ۲۱۲

مواقف و بطولات سعد الموهومة ۲۱۳

إشارة هامة ۲۱۷

کرامات طلحة ۲۱۸

إشارة هامة ۲۲۲

تجمیع القوی و إعادتها إلی مراکزها ۲۲۳

أ: فاطمة أم أبیها ۲۲۹

ب: النبی (ص) و المسلمون فی الجبل ۲۳۰

ج: روایات لم تثبت ۲۳۴

د: عمر فی قفص الاتهام ۲۳۵

العباس فی أحد ۲۳۷

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۶،ص:۳۵۷

من مشاهد الحرب ۲۳۸

ملاحظات ۲۴۲

الصبر فی الجهاد ۲۴۴

الفصل الرابع: بعد ما هبت الریاح ۲۴۹- ۲۹۷

ما جری علی حمزة و الشهداء ۲۵۱

أ: موقف الرسول (ص) من المثلة بحمزة ۲۵۶

ما هو الصحیح فی القضیة ۲۶۴

ب: هند و کبد حمزة ۲۶۶

ج: المنع من البکاء علی المیت ۲۶۶

السیاسة و ما أدراک ما السیاسة ۲۶۹

التوراة و المنع من البکاء علی المیت ۲۷۰

د: حزن النبی (ص) علی حمزة ۲۷۱

ه: موقف أبی سفیان من قبر حمزة ۲۷۳

و: مواساة الأنصار للنبی (ص) ۲۷۴

ز: صبر صفیة ۲۷۴

التعصیب ۲۷۵

الاختصام فی ابنة حمزة ۲۷۶

الصلاة علی الشهداء و تغسیلهم و دفنهم ۲۷۶

لماذا تقدیم الأقرأ؟! ۲۷۸

أنا شهید علی هؤلاء ۲۷۹

عدد شهداء أحد ۲۸۰

أکثر القتلی من الأنصار ۲۸۱

زیارة القبور ۲۸۲

عدد قتلی المشرکین ۲۸۳

أکثر القتلی من علی ۲۸۴

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۶،ص:۳۵۸

أویس القرنی فی أحد ۲۸۵

صفیة و الیهودی ۲۸۷

بعض الحکم فی معرکة أحد ۲۸۷

من مشاهد العودة إلی المدینة ۲۸۸

علی یناول فاطمة سیفه ۲۸۹

شماتة المنافقین و سرورهم بنتائج أحد ۲۹۱

أ: التمحیص ۲۹۲

ب: أجواء النفاق و دوافعه ۲۹۳

دعنی أقتله یا رسول اللّه ۲۹۴

الفصل الخامس: غزوة حمراء الأسد و إلى السنة الرابعة ۲۹۹- ۳۱۵

قريش تفكر فى المدينة، ثم تعدل عنها ۳۰۱

غزوة حمراء الأسد ۳۰۲

المجروحون فقط ۳۰۳

أسيران يقعان فى أيدى المسلمين ۳۰۵

دوافع حمراء الأسد و نتائجها ۳۰۷

و على ضوء ما تقدم ۳۰۸

قتل الأسيرين ۳۱۱

وفاة أم كلثوم و ملابساتها ۳۱۲

الباب الخامس: شخصيات و أحداث ۳۱۷

الفصل الأول: أوسمة و همية لزيد بن ثابت ۳۱۹- ۳۴۸

بداية ۳۲۱

الحدث المشكوك ۳۲۲

روايات تعلم زيد العبرانية أو السريانية ۲۲۳

المناقشة ۲۲۶

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۶،ص:۳۵۹

ملاحظتان ۲۳۳

علم زيد بالفرائض ۳۳۹

ملاحظة ۳۴۱

ابو عمر و الراية لزيد فى تبوك ۳۴۱

زيد و جمع القرآن ۳۴۲

الفضائل و السياسة ۳۴۵

الخط السياسى لزيد بن ثابت ۳۴۵

الفهارس ۳۴۹

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۷،ص:۵

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ ُبنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه

المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بِساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/ "بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩